ديوان

سميح القاسم

دار العودة - بيروت

ديوان

سميح القاسم

دار العودة - بيروت

- ١٩٨٧م

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE
ص . ب ١٤٦٢٨٤

مقدمة

بقلم : مطاع صفدي

لم يعش الشعر مهرجاناً شعبياً ويكسر طوق العزلة عن بضع مئات من النسخ ، تباع لنخبة مثقفين ، ويتحرر من العوز والتجريد ، ويكسر استعباد الألفاظ ، ليختلط بتراب الحياة وعرق كادحي الثورات الجديدة ، ويمتزج بأهازيج الناس في حلبات اليأس والندب ، وترجيع لهاث الحزن القديم على إيقاع الحقد الجديد .. كما يفعل الشعر المقاوم بنا وبثقافتنا اليوم .

.. لم يكن للشعر العربي منـــذ أيام الجاهلية سوق عكاظ حقيقية مليئة بفروسية الكلمة الفعالة والفعل المتكلم ، كما كان له من عكاظ المقاومـــة وشعرائها ، في زمن بوار كل شيء ، واحتمال الآتي من كل شيء ، زمننـــا الماثل الجامد هذا ، في لحظة انتظار ما لا يعرف ، ويعرف .

ما زلنا تحت الانبهار مما يفجر جدبنا التاريخي ، ما زلنا لا نعي المقاومة ، ولا شعر المقاومة . إننـــا تحت وطأتها منبهرين ، كما لم نزل منبهرين تحت عبء الأيام الستة الصفراء .

وإذا كانت بنادق المقاومين على أشواك الحدود ، وأغاني شعراء الأرض المحتلة داخـــل الحدود قد بنت حربنا الضائعة فوق البوار المسطح الذي تنزلق عليه إرادتنا لتقبع في قبور الفضاء ، فـإن العزّيف يتجاوز العزف ، وإن النشيد يسحق الأغنية ، وإن شعلة الإبداع مرة أخرى تبدأ عندنا وكما كانت دائماً ، من بعث الـكلمة المكوّنة كشيء الأشياء ، وليس كلفظ الألفاظ .

لقد كان المقاومون شعراءاً يخطون إعلانهم الخاص بعـــد

البوار ، عما لم يكن ليستسلم إلى البوار ، ويشارك في المناحة العامــة .

كانت كؤوسهم فارغـة من دماء الآخرين ، ويطلبون دم الذات ، وبذلك تعود إلى الشعب سكينه ، ليكون المذبوح بسكينه ، وليس بهزائم الآخرين .

فإن للمقاومة شعراً ، قضية التوحيد بين اللفظ والفعل ، وتلك هي المهمـــة الأشق والأصعب ، في مشكلة الوجود التاريخي للشعب المناضل ، ذلك أن التعامل مع حقائق الواقع يؤلف مرحلة لم تنضج أبعادها حتى الآن . وقد بقي التعامل مع أصوات الألفاظ هو وسيلتنــا التاريخية الوحيدة للمواجهة الخيالية ، مع جمود اليد . والشعر وحده ، من دون بقيـــة وسائل التعبير اللفظي والفني عامـــة ، يعايش تجاربنا منذ جاهليتنا وإسلاميتنـــا وانحلالنا ونهضتنا ، معايشة داخلية عضويــة ، توحد بين مادة هذه المعايشة وبين أساليب التعبير عنهـــا ، في ممارسة العمل واللاعمل ، اللفظ العامل واللفظ العاجز في آن واحد .

ومنذ مطلع الخمسينيات خاصة ، والشعر يتابع دوره اللحمي ذاك ، متطابقاً مع عظم التجربة في الخواء والملاء معاً . وكان نضاله ، كنضال التجربة ، سعياً دائماً للانفصال عن مادة الركود والانفعال بالركود وتجاوزه بمسافة تقييم ووعي وتحرر . وكان سعي الرواد الأوائل ، من بدر شاكر السياب الى عبد الصبور وخليل حاوي والجيل بكامله ، من حملة الأقلام ، هو جعل الثقافة دماً ثانياً للأبداع فوق دم المعناة . فاختلفت نسب الدمين بين شاعر وشاعر ، كاتب وكاتب . ولكن معجزة الانسلاخ عن نمطية اللفظة وتقاليدها البلاغية ، قد تحقق الفعل الحاسم المطلوب منها ، وهو عودة عملية النظم الى ذات الكاتب لا كمغارة ترديد الأصوات الخارجية ، ولكن كمحور عكس وإنعكاس لعالم التجربة كمعايشة وتعبير .

ولقد اهتدى هذا الجيل الى مفاصل هيكل الوضع التاريخي ، فحاولوا أن يفصلوا على مقاييسه ، منشوراتهم المحرضة على المعايشة الجديدة للفعل ، ولأصل الفعل .

واكتشفوا صلصال المادة الأولى الضرورية ، وشرعوا في اقامة معابد الترتيل البريء لدين لم تتضح عقائده الكلية بعد ، بغير رفض الكليات السابقة ، والحفر على مباجس الينابيع الميتة تحت صلصال الهياكل الخربة المنقضية روحاً وتاريخاً .

والخمسينيات عهد تاريخي حقيقي ، انه البدء بالنكبة والرد على النكبة بذروة الوحدة . وأن الستينيات عهد تاريخي حقيقي كذلك ، أنه البدء بالنكبة الثانية في الانفصال ، والوصول الى النتائج الشاملة للنكبة الانفصالية ، في هزيمة حزيران الشاملة . والشعر العربي الحديث واكب هذه الأحداث . دعا لأهدافها وافتخر وانتكس وتصاعد معها وارتجف لقلقها وخوفها ، وقنوطها وتمردها أخيراً ، ولم يكن الشعر مواكباً لها من الخارج ، ولكنه داعية وجدانية لنبضها الذاتي من داخل . فلم يكن لينتظر ، ولكنه كان ليكون مسؤولاً معها عن الفرح والقنوط .

ولم يسمع أحد بشعراء الأرض المحتلة إلا بعد أن ساح وامتد الاحتلال حتى أصبح هو الحقيقة ، وسواه الظل والوهم أو ما

يشبههما الى حين أن تسربت الأصوات من داخـــل ، وعم الانبهار ، وانطلق شيء جديد اسمه شعر المقاومة ، وكان لفلسطين من قبـــل شعر الندب . وبين الشعرين انقلاب في المعاناة ، تبعه ذلـك التسريح الخصب لمواهب مكبوته تلاقت تلاقياً عفوياً مع معطيات التحدي المباشر ، للعربي على أرض الاحتلال ، إما أن يصبح غريباً الى الأبد في وطنه ، وإما أن يصبح الآخرون غرباء في وطن مـــا كان ولن يكون لهم ، هكذا ولد شعر المقاومة مواكباً في الواقع لتفتح موجة الشعر الحديث منذ أواسط الخمسينيات ، ولم ينضج الشعر المقاوم إلا بعد الهزيمة الشاملة في حين أن مدرسة السياب وعبـد الصبور وحاوي كانت تلاقي درجة معينة من الاشباع يؤذن بانتهاء نضج وابتداء نضج جديد لولا أن السياب اختطفه موته المادي في أوج شبابه الشعري .

لقد كانت ملحمة الحلاج عند عبـد الصبور و (لعازر) عند حاوي نذيري البوار المدقع في الانهزام الذاتي عند الأمة، قبل أن يتحقق الانهزام الأسود على الجبهات .

كان « الحلاج » صوت الحقيقـة يواجه طغيان الزيف في

صميم الخلايا المراد بها نسج الكيـان الجديد . وكان (لعازر) صديق المسيح الذي مات وعاد الى حياة عاجزة عن مطارحة أمها الأرض صبوة الانبعاث الحقيقي . كان (لعازر) يكذّب حياته الجديدة ويدعو الى موت حقيقي تخلفه حياة حقيقية .

بعض الضمائر المبدعـة نادوا بـ (بشرى) هزيمة لا تبقي ولا تذر ، منذ أطلال الوحدة . ولم يكن ثمة مــا يعمل . والـكلمة وحدها للضمائر هذه ، طغى عليها زبد الإعلام ..

وإذا حلت الهزيمة أخيراً لم يكن إلا التبشير بالاستسلام ، أو الصريخ على القبور ، وكان كل صوت للـكلمة ينطلق مــن البلاد المنهزمة لا يثير إلا قشعريرة الاشمئزاز .

ولا أحد اعتقد بـأن ثمة موطناً آخر لكلمة تثير الثورة ثانيــة .

كانت بندقية الفدائي ، وشعر المقاومين من الداخل ، هما وحدهما ، ومعاً لأول مرة ، دليل العقيدة المفقودة في حياة أخرى ، لم تعرفها نهضة العرب من قبل . فالانفصام بين القولِ والفعــل – مرة قول ، ومرة فعل – كان مشكلة الأدب الثوري العربي . وكان القوالون غير فعالين ، ليس لديهم فعل

الثقافة في الوعي، ولا فعل يدهم في عالم الأشياء . وكان صوت الضمائر القليلة يختنق في ازدحام الإعلام . والأقلام نصبت لها خياماً في سوق النخاسة . والازدحام على التأجير . وعهّرنا المذياع والجريدة والتلفزيون كل صباح ومساء .

ذلك أن المقاومين شعراً ولدوا مع المقاومين دماً ، وفي مقر الهزيمة ، انبجس بترول الحريق الشامل الرهيب .

وتهاوى الشباب عشقاً للموت الجديد ، وللشعر الجديد . وأشرقت ابتسامة درويش وبراءة سميح فوق أعلام العباسيين السود المستسلمين للتتر – وليت السياب كان معنا مرة أخرى.

وما زال القراء والنقاد يحبون أطفال الشعر الجدد ، يفرطون في الحب حتى ينادي بعضهم بدفع الحب عن صدورهم. وينادي آخرون بالتقييم الموضوعي لشعرهم ولكن هيهات ، وكيف يقيم الأب العاقر صوت طفل له ، ولد بعد سنوات المحل والوحدة مع الغبار .

كل ما كتبه جيل السياب وحاوي وعبد الصبور ، عاد أطفال الشعر المقاوم ليكفوا عنه أسر التجريد ، ويكشفوا عنه أستار الثقافة ويردوا اليه صبوة الفسق والدم والحقد

والعاصفة الحقيقية ، وينطلقوا بـه مرتلين ، دعاة مبشرين ، جوالين بين خيام القلوب النازحة .

إنهم سوّقوا شعرنا ، وعمموا مرة أخرى لغـة الأفعال ممتزجة بالأقوال القليلة ، المحتشمة العفيفة ، المزدهرة بكآبـة خلاقـة لا تعترف بالأطلال والرماد ، إلا بدءاً لمولد القبيلة الموعودة .

لقد حلم نزار قبـاني ابن دمشق الخضراء ، بأن يعمم شعر الحب كالخبز منذ ثلاثين عاماً ، ونجح ، حتى جـاء الشعراء المقاومون ليعمموا شعر النضال ليصبح الشمس والهـواء لجميع المساجين خلف القضبان وبلا قضبان .

وبرهن الشعر ثانية أنه دم آخر للشعب العربي ، وأنه الرد الانساني على الاعلام . فصوت حق واحد يخرس .

وتلـك ظاهرة الصحة في قصائد درويش وقاسم وزياد والمجموعة كلها ، التي تعزف وتتكامل، كالأوركسترا الفاغنرية : لحن واحد أساسي تردده حنجرات متعددة ليصبح صوتاً خاصاً لكل حنجرة ، في الوقت ذاته .

فالجميع يعزفون من قاموس الحرية اللغوية ، ويتفننون في صقل الألفاظ اليومية ، وردّها الى تحريضها الشعري .

والجميع يتحررون ويحررون ، من أساطير الشعب المتخلف ، ومن أنماط الركود ، في الاعتقاد والقول والممارسة.

وجميعهم محرضون لحياة فوق الجثث ، وانبهار أخّاذ بما يرونه هم ولا يراه الآخرون .

وهم في الشعر يثورون – موضوعياً . وتلك هي معجزة الانبهار بشعر هؤلاء الأطفال المتصايحين المتعاركين المتنافسين على الحرق الموضوعي ، والتبشير الموضوعي ، والاندماج العفوي بين لحم وعظم الرد التاريخي ، ليس على الهزائم ، بل على أصل الهزائم فينا ومنا ، وفي أرضنا ودمنا ، وخرافات الجثث في أرواحنا وعقولنا .

ذلك وجه الانبهار ، وحقيقة الصبوة الجديدة التي تتصاعد في الوعي ، وليس من الفورة . وصبوة الوعي هي روح الشعر المقاوم . والفرق بين صبوة الفورة ، وصبوة الوعي ، هو الحد الفاصل الدقيق بين ممارسة الثرثرة في الشعر الحماسي والخطابي السابق ، وبين ممارسة التغيير في الشعر المقاوم .

والحماسيات تعيش من جلبة الألفاظ الكبيرة ، وألاعيب البلاغة المجردة ، وتتغذى من إمكانيات الخبث لدى الناظم . والمقاومات تجسم اللفظ في العالم كإرادة تغيير وتسلك سلوك الخطابيات ، إلا أنها تتوجه الى الوعي لتجعله ينبهر من بلادته أولاً في خضوعه لآليات الركود ، ثم يتساءل عن أصل الركود ويكتشفه في نفسه أولاً ، ثم يتصاعد التساؤل ليصبح جلبة في أصول الأشياء كلها .

وهذا هو الفرق بين جبال من ألفاظ الشعر الحماسي ومقالات الإعلام وإذاعياته وصحافته وكتبه ، وبين أصوات المقاومة المتسربة من ما وراء الحدود .

ولولا الاستسلام الطويل لخطط الكذب الجماعي ، لما أمكن للصحو أن يتحقق على همسات الشعر المقاوم. فلقد جاء درويش وقاسم وجوقتهما ليؤسسا مؤسسة صعبة ، كانت عناصرها تبدو من التناقض والتباين بحيث أعجزت إمكانيات شعرية كبيره وكثيره .

فكيف تظل للشعر نكهة الأغنية ، ويظل يحفر في الجمجمة ، يختصر الثقافة ، ويعايش عشب الأرض ، ينذر

الظالمين ويبشر المظلومين ، يتحدى ويتصاعد من موقف التحدي المحدود ليمتزج بالتحدي الانساني والتاريخي لأصول الظلم كلها ..

هكذا كان شعراء المقاومة ينسجون فنهم الخاص . وكان سميح لا يني يقرأ التجربة كلها ويعيد . ويحاول من قصيدة الى قصيدة ، أن يضمن الأبعاد كلها ، وأن يتجاوز معطيات العمل الفني في شعرنا المعاصر ، ليأتي بمعطيات جديدة لشعر جماهيري ، يمكن قراءته بدون جماهير ، ويمكن للجماهير كلها كذلك ، أن تردده كنشيد واحد متحد الإيقاع والظل والصدى .

يلجأ فن المقاومة عند سميح الى الحكاية العربية ، ويخلع منها « كان يا ما كان » ويرصعها بالأهزوجة تارة ، والموال تارة أخرى. ويربط مقاطعها بعبارات مألوفة ، ولكنها تأخذ بريقاً جديداً على أوتار الوجدان المقاوم الذي بدأ ينمو في صدر كل منا . انه شعر عائلي بيننا وبين أنفسنا ، في غابات هزائمنا المعروفة والمجهولة ، وتحت جبال من رماد المعارك غير

المفتوحة ، غير المدخولة ، إلا على صفحـــات الوهم واللفظ الاعلامي .

كيف يتأسس الوجدان المقاوم. ان سميح لا يسأل ولكنه يشرع في التأسيس بقدر ما يجعل كلماته شعراً عائلياً ، انـــه شعر القرية والقبيلة ، والبيت والمقهى ، والوحدة والكآبة ، ومع ذلك يتحرر ليكون الشعر العائلي المدافع عن كل العائلة بأساطيرها وخرافاتها ذاتها ، وقد تحولت الى ما يشبه بنادق المقاتلين .

ذلك الرفض الواعي الرشيق ، الذي ينبثق من المقاومين جميعاً ، ومن سميح القاسم بخاصة . انه الذكاء « الموضوعي » القادر على قلب جميع رموز الذل والتخلف الى أدوات حرب، بدلاً من أدوات كبت وانقضاء خارج التاريخ .

في قصيدة « ليلى العدنية » هـــذه الأغنية الملحمية التي لا تريد أن تحكي إلا عن « فزعة » بدوية ، تتصاعد لتصبح فزعة حضارية . وخلال الثأر والقتل ، تفكر ليلى بالحصاد . وخلال دفن الأبناء والأعداء ، ترثي ليلى كل الموتى .

في هذه القصيدة يكتشف الشاعر أعمق الدوافع الموضوعية للتغيير الانساني ، تحت ركام التقاليد المتخلفة . وذلـــك هو الرفض الواعي ، ذلـــك هو الكشف عن الصيرورة الخالقة تحت آفـات الجمود والركود . وفي كل القصائد الأخرى التي يستعين فيها سميح بمناظر التخلف وممارساته اليومية،ويستخدم فيهـا معطيات الوجدان الأسطوري والغيبي ، فانه يوهج من هذه العقبات جمرة احتراق العرس فيها لينبجس ضوء الوعي ، ويؤسس الوجدان المقاوم ، فوق أساطير العنـاد والبطولات الجوفـاء ، وعلى مستوى المعرفة بالذات المهزومة ، والطريق الحقيقي لدفع الهزيمة ، وأسباب كل هزيمة .

غير أن سميح إذ تأخذه حماسة تأسيس الوجدان المقاوم ، فانــه ، ومعه الجوقة كلها ، يعي التحرر من مضمون أدوات الركود ، ولكنه في الفن ، ينزلق إلى الرتابة ، ذلك أن الموضوع الواحد الذي يشد أعصابه ، يفرض نفسه على المخيلة دائماً ، فلا يتحرر النمو العضوي من المنعزل الأصلي ، ويظل ينداح حوله حلقات وحلقات متشابهة الشحن العاطفي والرمز العقلي بألفاظ متغايرة بل مترادفة .

لأنه يخطب ، ولأنه يغني الموال ، ولأنـه يكرر أقاصيص الفـلاح والبدوي ، ويعيش المشـكلة الواحدة موزعة على أوتار منضدة ملء جوه الذاتي المرنان ، فهو ليس دائماً بمنتصر على رتابة مادته ، وليس دائماً بمتحرر من المباشرة ، والدوران الكلامي حول النبضة الواحدة ، فليس كل ما يكتبه الشاعر نبضات ، وما يقع في أسر الكلمات يجب أن يحذف أو يهمل. وسميح متعجل تأخذه تسارعات المعركة وتلاهثها المضني ، فلا وقت يضيعه في الترميم والتغميس .

والشعراء المقاومون جميعـاً هم كالمقدمة الموسيقية تمشي في طليعة الجيش المقاوم والهنات الفنية مغفورة في أرض التسارع والتلاهث . ولكن سميح القاسم مع ذلـــك لا يرضى لنفسه الصياغة السهلة، وهو يجتهد من ديوان الى آخر بنوعية صياغته. وبالصبر على اندفاعاته عليها تبرد قليلاً لتخرج من مرحلة المعاناة الفردية الى مرحلة المثال الفني الموضوعي .

ولأن هذا الشعر المقاوم لا يحتاج الى رموز شمولية ، فإن فرسانه محتاجون الى المباشرة. انهم مضطرون غالباً الى تسمية

الأشياء بأسمائها ، واذا عمدوا الى الرموز فليس لضرورة فنية دائماً ، بل قد تكون ضرورة احترازية .

وكلمة فنية واحدة تبني خاطرة مقاومة شمولية ، فيغتني التعبير المباشر بالدلالة الوجوديـــه . كتلك اللفظة المتوهجة المشبعة المتداخلة الرنين والشعاع والمعنى : **أطلع في الأمطار ، أطلع في البرق الأزرق ، في النسمة وفي الأعصار ، أطلع من جرح فتحته قذيفة في صدر جدار، أطلع من عطش الآبار، أطلع من قنطرة صامدة ، في وجه الريح ، من نصبة لوز صامدة ، في وجه النار ، أطلع من توقيع الحاكم في ذيـــل التصريح ..**

فليست الرتابة التي تحكم هذا الشعر ، ولكنها ضجة الإيقاع الذي يفجر المكان بشواهد المعنى ومؤلفاته العضوية . انــه يلتقط الرموز الطبيعية والمكانية ، لينتهي الى الموقف الانساني « **أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح** » لتجيء لفظـة « **أطلع** » كالرد الاشراقي المنتصر بإصرار الطبيعـة ذاتها على تكرار الشكل، وصمود الآثار التاريخية لمكان الشعب: الآبار،

القنطرة .. البيت الطيني ، وكل رموز القرية العربية الصغيرة الباقية في ذلك « المستنقع » على حد تعبير سميح .

وإذا يشغل الشعراء المقاومون ، قبل الرد الفدائي بتأصيل حجة البقاء في الأرض ضد الرحيل ، فإن سميح يكشف عن صفحة من المعاناة الخصبة الشاقة ، في قصيدة رائعة تتشخص من خلال حوار بين أخوين ، أحدهما اجتذبه المنفى واستغرق في «نجاحات» المنفى ، والآخر يضرب بجذوره في «المستنقع» المتبقي لعرب الأرض المحتلة .

وهنا يصبح النظم عملاً عقلياً وإبداعياً متكاملاً،لا تتجاوز فيه الألفاظ والأوزان ، ولكنها تنبني بناء داخلياً محكماً ، وتتتابع عن جرف بركاني هائل ، لتتكثف بدلالات مختصرة معبرة مكتفية بذاتها .

تفيد القصيدة من ايماءات الواقع ، ومن إطارات الحياة اليومية ، وتنتقي زوايا من الشارع والمكتب ، وتبني مسافاتها الخاصة من أساس مسافات الشارع وأرض البشر الهندسية ، وتتحدث بلغة الحوار والمخاطبة ، وتمسرح المنظر الدرامي بين

الشقيق المصمم على غرس رجليــــه بمستنقع فلسطين الباقية ، والشقيق الممارس لشبقيات الاغراء والاغــواء في بيروت . وتصبح القصيدة في النهاية أشبه بوثيقة عن الفن والتاريخ معاً، والفلكلور العائلي والريف العربي .

ذلك الموقف الرحب من كل سيئات الأمة والوطن داخلياً وخارجياً ، وتجديد محبة أشياء هذه الأمة ، وتجديد طقوس وجدانها التراثي ، على وهج البراكين الواقعية الجديدة ، ذلك التحويـــل الابداعي لأدوات الحضارة المنقرضة الى أدوات لحضارة الثورة ، هو الممارسة الوجوديـة والفنية التي تؤسس الوجدان الشعري المقاوم، لدى قاسم ورفاقه. وهو لذلك فجر الانبهار به مرة أخرى وبرسالة الشعر التي كادت تتلفها الثرثرة، ومضامين الرفض العبثي ، والتحلل العقيم .

وفي جحيم البقـــاء داخل مستعمرة إسرائيل على أرض فلسطين ، والبقاء عربياً ، والبقاء تقدمياً ، حتى مرحلة البقاء مقاوماً وثائراً . وأن يكون الصامـــد شاعراً ، ومتمسكاً بثقافـــة الشعر العربي ، ومتشبعاً بفروسية هذا الشعر ولغته

المتجددة على ألسنة المبدعين ، كل ذلك يؤلف في حد ذاته جوهر تلك الممارسة الخارقة ، الفريدة من نوعها في موسوعة الثوريات . لأن مثل هذا البقاء هو الدحض اليومي لأكذوبة إسرائيل كلها .

ولأن هذا البقاء الذي يمارسه مثقفو رموزنا العربية ، على أرض فلسطين ، هو الخميرة الصحيحة لقضية تجدد الثورة العربية من أرض المجابهة . يقول سميح : **قلت لي – أذكر من أي قرار ، صوتك المشحون حزناً وغضب ، قلت يا حبيَ من زحف التتار ، وانكسارات العرب ! قلت لي : في أي أرض حجرية ، بذرتك الرياح من عشرين عام ، قلت : في ظل دواليك السبية ، وعلى أنقاض أبراج الحمام ! قلت : في صوتك نار وثنية، قلت : حتى تلد الريح الغمام ، جعلوا جرحي دواة ، ولذا فأنا أكتب شعري بشظية ، وأغني للسلام !**

إن التواجد القومي والتقدمي والثوري كله تواجد عضوي متداخل متوحد في تجربة تأسيس الوجدان الشعري المقاوم لدى هذه الطليعة . وبدون مفارقات واصطناعات لحرب

الألفاظ الإيديولوجية ، تم لهم وعي موقفهم الثوري والفني . فليس لديهم أسطورة القطر ضد الشمول القومي ، وليس لديهم أسطورة العنصر القومي ضد الكفاح الانساني . وبالكلمة المقاتلة يدعون للبندقية ويدعون للسلام .

وبالكلمة المكافحة يكشفون عن وجه الثورة العربية الجديدة ، من أعماق الانسلاب الاسرائيلي ، ويؤكدون عناصر الفكر الثوري من معاناتهم اليومية دون تطفل ولا تراكم أمواج ، ولا صراع مزايدات .

فإن سميح ودرويش وزيّاد وجميع مثقفي عربنا في المستعمرة الإسرائيلية على أرضنا ، يرسون في الحقيقة أسس مدرستنا الثورية الجديدة . وحتى لو لم يكتمل وعيهم بما يعملون،إلا أنهم عناصر حيوية في تجربة الريادة هذه وإذا كانوا يجربون فنياً ، فإنهم يبنون كذلك تجربة حل التناقضات القاتلة التي مزقت طلائع كثيرة خارج فلسطين ، حاولت أن تبدأ من معاناة الانتكاب الى تحقيق الانتصارات ، وتساقطت على درب الهزائم المتوالية .

كيف تكون الكلمـــة أساساً لوجود أصيل ولا تغطية لوجود موهوم،غيبي، أو أسطوري ، أو وجود كاذب خادع ، هذا هو سؤال شعرائنا المقاومين . ولقد أعطوا حتى الآن الانبهار ، وبقي فيض الرعد يخلفه طائر الرعد ، في أعراس سميح القاسم ومحمود درويش وطليعتهم المظفرة الجديدة .



أغاني الدروب

« ونفـخ في الصور ذلك يوم الوعيد ★
وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد ★
لقـــد كان في غفلة من هـذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ★ »

الإهداء

« إلى الذين سدَّ لهواتهم غبارُ الدروب

« لعلهم يجهرون !! ..

أغاني الدروب

مِنْ رُؤى الأثلام في موسمٍ خصبِ
ومن الخيْبَةِ في مأساةِ جدْبِ
من نجومٍ سهرت في عرشهـــا
مُؤنِساتٍ في الدجى قصةَ حبِّ
من جنون الليل .. من هدأتهِ
من دم الشمس على قُطنة سُحْبِ
من بحار هدرتْ .. من جـدولٍ
تاهَ .. لم يحفل به أيُّ مَصَبِّ

مـــن ذؤابات وعت أجنحـــةً
جرفتهـــا الريح في كل مهبِ
من فراش هامَ في زهر وعشبِ
ونسورٍ عَشقت مسرحَ شهُـــب

* * *

من دمى الأطفال .. من ضحكاتهم
من دموع طهَّرتهـــا روحُ رَبِّ
من زنود نَسَّقَتْ فردوسَهـــا
دعوةً فضلى على أنقاض حرب
من قـــلوب شعشعت أشواقهـــا
شعـــلاً تعبرُ من رحب لرحب
من عيـون سَمَّمت أحداقهـــا
فوهةُ البركان في نظرة رُعب
من جراحاتٍ يُضرِّي حقدَهـــا
ما ابتنى شعبٌ على أنقاض شعب

من دمي .. من ألمي .. من ثورتي
من رؤاي الخضرِ .. من روعة حبي

من حياتي أنتِ .. من أغوارهـــا
يا أغـــانيَّ ! فرودي كل درب

جيل المأساة

هنا .. في قرارتنا الجائعه
هنا .. حفرت كهفها الفاجعه
هنا .. في معالمنا الدارسات
هنا .. في محاجرنا الدامعه
نبوخذ نصر والفاتحون
وأشلاء رايتنا الضائعه

* * *

فباسمكَ يــا نسلَنا المرتجى
وباسمكِ يا زوجنــا الضارعه
نردُّ الزمان إلى رشده
ونبصق في كأسه السابعـه
ونرفع في الأفق فجر الدمــاء
ونلهمه شمسنا الطالعـه !

ما زال

دم أسلافي القدامى لم يزل يقطرُ مني
وصهيل الخيل ما زال ، وتقريعُ السيوفْ
وأنا أحمـــلُ شمساً في يميـــني وأطوف
في مغاليقِ الدجى .. جرحاً يغني !!

لأننــــا

أحسُّ أننــــا نموت

لأننا .. لا نُتقن النضال

لأننا نَعيد دون كيشوت

لأننا .. لهفي على الرجال!

في القرن العشرين

أنا قبل قرونْ
لم أتعوّد أن أكره
لكني مُكره
أن أشرِعَ رمحاً لا يَعيَى
في وجه التنين
أن أُشهر سيفاً من نار
أشهره في وجه البعل المأفون

أن أصبح ايليّا [١] في القرن العشرين

* * *

أنا .. قبل قرون
لم أتعود أن أُلحد !
لكني أجلدْ
آلهةً .. كانت في قلبي
آلهةً باعت شعبي
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
لم أطرد من بابي زائر
وفتحت عيوني ذات صباح
فإذا غلاّتي مسروقه

(١) نبي يهودي حارب الأوثان ، وينسب إليه أنه قتل كهنة بعل .

ورفيقةُ عمري مشنوقه
وإذا في ظهر صغيري .. حقل جراح
وعرفت ضيوفي الغدّارينْ
فزرعوا ببابي ألغاماً وخناجر
وحلفتُ بآثار السكّينْ
لن يدخل بيتي منهم زائر
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
ما كنت سوى شاعر
في حلقات الصوفيينْ
لكني بركان ثائر
في القرن العشرين !!

أمطار الدم

« النار فاكهة الشتاءْ »
ويروح يفرك بارتياحٍ راحتين غليظتينْ
ويحرك النار الكسولةَ جوفَ مَوْقدِها القديم
ويُعيد فوق المرّتين
ذكر السماء
والله .. والرسلِ الكرامِ .. وأولياءٍ صالحين
ويهزّ من حين لحين

في النار .. جذع السنديان وجذعَ زيتون
عتيق
ويضيف بُنّاً للأباريق النحاس
ويُهيلُ حَبَّ (الهَيْلِ) في حَذَرٍ كريم
« الله .. ما أشهى النعاس
حول المواقد في الشتاء !
لكن .. ويُقلق صمت عينيه الدخان
فيروح يشتم .. ثم يقهره السُّعال
وتقهقه النار الخبيثة .. طفلةً جذلى لعوبه
وَتَنِزّ ضاحكةً شراراتٌ طروبه
ويطقطق المزراب .. ثم تصيح زوجته الحبيبه
– قم يا أبا محمود .. قد عاد الدوابّ
ويقوم نحو الحوش .. لكن !!
– قولي أعوذُ .. تكلمي ! ما لون .. مـــا لون
المطر ؟

ويروح يفرك مقلتيه
– يكفي هُراءً .. إنّ في عينيك آثارِ الكبَر ؟
وتلولبت خطواته .. ومع المطر
ألقى عباءته المبللة العتيقة في ضجر
ثم ارتمى ..
– يا موقداً رافقتَني منذ الصغر
أتُراك تذكر ليلة الأحزان . إذ هزّ الظلام
ناطور قريتنا ينادي الناس : هبوا يا نيام
دَهَم اليهود بيوتكم ..

دهم اليهود بيوتكم ..
أتُراك تذكرُ ؟.. آه .. يا ويلي على مدن
الخيام !
من يومها .. يا موقداً رافقته منذ الصغر
من يوم ذاك الهاتف المشؤوم زاغ بِيَ البصر
فالشمس كتلة ظلمة .. والقمح حقل من إبر

يا عسكرَ الإنقاذ ، مهزوماً !
ويا فتحاً تـكلل بالظفر !
لم تخسروا !.. لم تربحوا !.. إلا على أنقاض
أيتام البشر !!
من عِزوتي .. يا صـــانعي الأحزان ، لم
يَسلـَم أحدْ
أبناء عمي جُندلوا في ساحة وسط البلد
وشقيقتي .. وبنات خالي .. آه يا موتى من الأحياء
في مدن الخيام !
ليثرثر المذياع « في خير » ويختلق « السلام » !!
من قريتي .. يا صانعي الأحزان ، لم يَسلـَم أحدْ
جيراننا .. عمال تنظيف الشوارع والملاهي
في الشام ، في بيروت ، في عمَّـان ، يعتاشون ..
لطفك يا إلهي !

وأنا هنا ..

وتصيح عند الباب زوجته الحبيبه
– قم يا أبا محمود .. قد عاد الجُباة من الضريبه
ويصيح بعض الطارئين : افتح لنا هذي الزريبه
أعطوا لقيصر ما لقيصر !!

* * *

ويجالدُ الشيخ المهيب عذاب قامته المهيبه
وتدفقت كلماته الحمراء .. بركانا مفجَّر
– لم يبق ما نعطي سوى الأحقاد والحزن المسمَّم
فخذوا .. خذوا منا نصيب الله والأيتـــام
والجرح المضرَّم
هذا صباحٌ .. سادن الأصنام فيه سوف يُهدم
والبعلُ .. والعزّى تُحطَّم

* * *

وتَدمدِم الأمطـــارُ .. أمطار الدم المهدوم ..
في لغةٍ غريبهْ

ويهز زوجته أبو محمود .. في لغة رهيبه
– قولي أعوذُ .. تكلمي !
ما لون .. ما – لون المطر ؟
– . . . . .
ويلاه .. من لون المطر !!

أطفال سنة ١٩٤٨

كَوَمٌ من السمك المقدَّد في الأزقة . في الزوايا
تلهو بما ترك التتار الانـكليز من البقايا
أُنبوبةٌ .. وحطام طائرةٍ .. وناقلةٌ هشيمه
ومدافع محروقة .. وثياب جنديٍّ قديمه
وقنابل مشلولة .. وقنابل صارت شظايا

* * *

« يا اخوتي السمر العراة .. ويا روايتيَ الأليمه

غنّوا طويلاً وارقصوا بين الكوارث والخطايا »
لم يقرأوا عن « دنْ كِشوت » وعن خرافات القتالِ
ويجنّدون كتائباً تفني كَتائب في الخيال
فرسانها في الجوع تزحف .. والعصيُّ لها بنادق
وتُشَدّ للجبناء ، في أغصان ليمونٍ ، مشانق
والشاربون من الدماء لهم وسامات الرجال

* * *

يا اخوتي !
آباؤنا لم يغرسوا غير الأساطير السقيمه
واليتم .. والرؤيا العقيمه
فلنجنِ من غرس الجهالة والخيانة والجريمه
فلنجنِ من خبز التمزّقِ .. نكبة الجوع العضالِ

* * *

يا اخوتي السمر الجياع الحالمين ببعض رايه
يا اخوتي المتشردين ويا قصيدتيَ الشقيه
ما زال عند الطيّبين ، من الرثاء لنا بقيه
ما زال في تاريخنا سطر .. لخاتمة الروايه !

غربــاء

وبكينا .. يوم غنـّى الآخرون
ولجأنا للسماء
يوم أزرى بالسماء الآخرون
ولأنـّا ضعفاء
ولأنـّا غرباء
نحن نبكي ونصلي
يوم يلهو ويغني الآخرون

* * *

وحملنا .. جرحنا الدامي حملنا
وإلى أُفق وراء الغيبِ يدعونا .. رحلنا
شرذماتٍ .. من يتامى
وطوينا في ضياعٍ قاتم .. عاماً فَعاما
وبقينا غرباء
وبكينا يوم غنى الآخرون

* * *

سنواتُ التيهِ في سيناءَ كانت أربعين
ثم عاد الآخرون
ورحلنا .. يوم عاد الآخرون
فإلى أين ؟.. وحتامَ سنبقى تائهين
وسنبقى غرباء ؟!

القصيدة الناقصة

أمرُّ ما سمعت من أشعارْ
قصيدةٌ .. صاحبها مجهول
أذكر منها ، أنها تقول :
سربٌ من الأطيارْ
ليس يهمّ جنسُه .. سرب من الأطيار
عاش يُنَغِّمُ الحياه
في جَنَّةٍ .. يا طالما مرَّ بها إله

* * *

كان إذا نشنَشَ ضوءْ
على حواشي الليل .. يوقظ النهار
ويرفع الصلاه
في هيكل الخضرة ، والمياه ، والثمر
فيسجد الشجر
ويُنصت الحجر
وكان في مسيرة الضحى
يرود كل تلّة .. يؤم كل نهرْ
ينبّه الحياة في الثرى
ويُنهِض القرى
على مَطلّ خير
وكان في مسيرة الغيابْ
قبل ترمُّد الشعاع في مجامر الشفق
ينفض عن ريشاته التراب
يودّع الوديان والسهول والتلال

ويحملُ التعب
وحزمة من القصب
ليحبك السلال
رحيبةً .. رحيبةَ .. غنيَّة الخيال
أحلامُها رؤى تراود الغلال
وتحضن العِشاشُ سربَها السعيد
وفي الوهاد ، في السفوح ، في الجبال
على ثرى مطامحٍ لا تعرف الكلال
يورق ألف عيد
يورق ألف عيد ..

* * *

وكان ذات يوم
أشأم ما يمكن أن يكون ذات يوم
شرذمةٌ من الضِّلال
تسرَّبت تحت خِباءِ ليلْ

إلى عِشاشٍ .. دوحها في ملتقى الدروب
أبوابها مشرَّعهْ
لكل طارقٍ غريب
وسورها أزاهرٌ وظل
وفي جِنان طالما مرَّ بها إله
تفجَّرت على السلام زوبعهْ
هدَّت عِشاشَ سربنا الوديع
وَهَشَّمَتْ حديقةً .. ما جدَّدت « سدوم »[١]
ولا أعادت عار « روما » الأسودَ القديم
ولم تدنِّس روعة الحياه
وسربُنا الوديع ؟!
ويلاه .. إنَّ أحرفي تتركني

---

(١) سدوم وعمورة ، مدينتان على البحر الميت ينسب دمارهما لاهوتياً، إلى غضب الله لشدة ما اقترف أهلهما من الخطايا .

ويلاه .. إنَّ قدرتي تخونني
وفكرتي .. من رعبها تضيع
وينتهي هنا ..
أمر ما سمعت من أشعار
قصيدة .. صاحبها مات ولم تتم
لكنني أسمع في قرارة الحروف
بقية النغم
أسمعُ يا أحبَّتي .. بقيَّة النغمْ

بوابة الدموع

أحبابُنا .. خلف الحدود
ينتظرون في أسى ولهفة مجيئنا
أذرعهم مفتوحة لضمنا لِشَمِّنا
قلوبُهم مراجل الألم
تدقّ .. في تمزُّق أصم
تحارُ في عيونهم .. ترجف في شفاههم
أسئلة عن موطن الجدود

غارقة في أدمع العذاب والهوان والندم

* * *

أحبابنا .. خلف الحدود
ينتظرون حبّةً من قمحهم
وقطرة من زيتهم .. ويسألون
كيف حال بيتنا التريك
وكيف وجه الأرض .. هل يعرفنا إذا نعود ؟!
يا ويلنا ..
حطامَ شعب لاجىء شريد
يا ويلنا .. من عيشة العبيد
فهل نعود ؟ هل نعود ؟!

صوت الجنة الضائعة

صوتها كان عجيباً
كان مسحوراً قوياً .. وغنياً ..
كان قداساً شجياً
نغماً أفلته الفردوس في آفاقنا
لفّنا وانساب في أعماقنا
فاستفـاقت جذوة من حزننا الخـــامد
من أشواقنا

وكما أقبل فجأه
صوتها العذب ، تلاشى ، وتلاشى ..
مُسْلِماً للريح دِفئَه
تاركاً فينا حنيناً وارتعاشا
صوتها .. طفل أتى أسرتنا حلواً حبيبا
ومضى سراً غريبا
صوتها .. ما كان لحناً وغناءا
كان شمساً وسهوباً ممرعه
كان ليلاً ونجوما
ورياحاً وطيوراً وغيوما
صوتها .. كان فصولاً أربعه
لم يكن لحناً جميلاً وغناءا
كان دنياً وسماءا

* * *

واستفقنا ذات فجر
وانتظرنا الطائر المحبوب واللحن الرخيما
وتَرقَّبنا طويلاً دون جدوى
طائر الفردوس قد مدَّ إلى الغيب جناحا
والنشيد االساحر المسحور .. راحا ...
صار لوعه
صار ذكرى .. صار نجوى
وصداه حسرةً حرَّى .. ودمعه

* * *

نحن من بعدك شوق ليس يهدا
وعيونٌ سُهَّدٌ ترنو وتندى
ونداءٌ حرق الأفْقَ ابتهالاتٍ ووجْدا
عُدْ لنا يا طيرنا المحبوب فالآفاق غضبى
مدلهمَّه

عد لنا سكراً وسلواناً ورحمه
عد لنا وجهاً وصوتا
لا تقل : آتي غداً
إنا غداً .. أشباح موتى !!

رسالة الى الله

« بلد الأحزان
« التاريخ .. ما دمنا حزانى

سيدَ الكونِ أبانا
ألف آمنّا ، وبعد .
من حقول البؤس هذي الكلمات
من سفوحٍ جُوّعتْ ، من قممٍ
نسرُها أهوى على الشمروخ في يأس .. ومات !

من بحار لم تعد فيها جزيره
لم يعد فيها سوى أشرعة الذكرى المريره
من جَنينٍ كُبِّلت فيه الحياة
كل ما تحمل هذي الكلمات
يا أبانا ، يا أباً أيتامُهُ مَلُّوا الصلاة
يا أبانا ، نحن ما زلنا نصلّي من سنين
يا أبانا ، نحن ما زلنا بقايا لاجئين

* * *

أرضنا ،
من عسل – يُحكى – بها الأنهارُ – يُحكى – من حليب
أنجبتْ – يُحكى – كبار الأنبياء
وعشقناها
ولكنا انتهينا في هوانا أشقياء
وحملنا كل آلام الصليب

يا أبانا ، كيف ترضى لبنيك البسطاء
دون ذنبٍ - كلَّ آلام الصليب !!

* * *

يا أبانا ، نحن بعد اليوم لسنا بسطاء
لن نصلي لكَ كي تُمطِر قمحا
لن نداوي بالحِجابات وبالرقْيَةِ جرحا
نحن أنجبنا على الحزن كبار الأنبياء
وخلقنا من أمانينا التي تكبر .. رَبَّا
شقَّ من مأساتنا للفجر دربا

* * *

عفوكَ اللهم إن كانت حروفي مستفزَّه
أنا إنسانٌ من الطين
أنا الخاطىء مذ كنت
ومولايَ المنزَّه !!

انتيجونا

« ابنة أوديب — الملك المنكوب — التي رافقته في رحلة العذاب .. حتى النهاية ! » (١)

خطوه ..

ثنْتانِ ..

ثلاث ..

(١) انتيجونا هي بطلة المسرحي الاغريقي سوفوخليس ، التي تمثل رمز الوفاء للأب . والتضحية في سبيله . ظلت تقود خطوات أبيها الأعمى ، الملك أوديب ، إلى أن حكم عليها بالإعدام ..

أقدِمْ .. أقدِمْ !
يا قربانَ الآلهة العمياء
يا كبشَ فداء
في مذبحِ شهواتِ العصرِ المظلم
خطوه ..
ثِنْتانِ ..
ثلاث ..
زندي في زندك
نجتاز الدرب الملتاث !

* * *

يا أبتاه !
ما زالت في وجهك عينان
في أرضك ما زالت قدمان
فاضرب عبر الليلِ
بِأشأمِ كارثةٍ في تاريخ الإنسان

عبرَ الليل .. لنخلقَ فجر حياه !

* * *

يا أبتاه !

إن تُسْمِلْ عينيك زبانيةُ الأحزان

فأنا ملءُ يديك

مِسْرَجَةٌ تشربُ من زيت الإيمان

وَغداً يا أبتاه أُعيد إليك

قسَماً يا أبتاه أعيد إليك

ما سلبتك خطايا القرصان

قسماً يا أبتاه

باسم الله .. وباسم الإنسان

* * *

خطوه ..

ثِنْتانِ ..

ثلاث ..

أقدِمْ .. أقدِمْ !

بابل

أنا لم أحفظ عن الله كتــابا
أنا لم أبنِ لقديسٍ قبابـــا

أنا ما صليت .. ما صمت .. وما
رهبت نفسي لدى الحشر عقــابا

والدم المسفوك من قـــافيتي
لم يراود من يَدَيْ عدنٍ ثوابا
فهــو لو ساءلتَــه عن مَطْمَحٍ
ما ارتضى إلا فدى النور انسكابا !

* * *

غضبتي .. غضبة جرح أنشبت
فيه ذؤبانُ الخنا ظفراً ونابا

وانتفاضاتي عذابٌ .. ودَّ لو
ردَّ عن صاحبِهِ الشرقُ عذابا

وأنا أومن بالحــق الذي
مجدُه يؤخذ قسراً واغتصابا

وأنا أومن أني باعثٌ
في غدي الشمسَ التي صارت ترابا

فاصبري يا لطخة العار التي
خطـَّها الأمسُ على وجهي كتابا

وانظري النارَ التي في أضلعي
تهزم الليل وتجتاح الضبابا

شعشعت في آسيا فاستيقظت
وصحت افريقيا..غاباً فغابا !

* * *

يا حمام الدوح ! لا تعتب أسىً
حسبنا ما أجهش الدوحُ عتابا

نحن لم نَزجُرْك عن بستاننا
لم نُحكِّمْ في مغانيك الغرابا

نحن أشباهٌ وقد أوسَعنا
غاصب الأعشاش ذلاً واغترابا

فابكِ في الغربة عمراً ضائعاً
وارثِ عيشاً كان حلواً مُستطابا

علّ نار الشجو تُذكي نخوةً
في الأُلى اعتادوا مع الدهر المصابا

فتهد اللحدَ عنها جُثثٌ
ويمور البعث شِيباً وشبابا

* * *

يا قرى .. أطلالُها شاخصةٌ
تتقرّى غائباً أبكى الغيابا

يا قرىً يُؤسي ثرى أجداثهـا
أنَّ في النسل جراحاً تتغابى
يا قرانا .. نحن لم نَنسَلْ .. ولم
نغدر الأرض التي صارت يبابا
خصبها يهدر في أعراقنـــا
أملاً حراً ، ووحياً ، وطِلابا
والذرى تشمخ في أنفسنـــا
عزةً تحتطبُ البغي احتطـابا !.

* * *

يا بلاداً بلَّلتْ كلَّ صَـــدىً
وصـــداهـــا لم يَرِدُ إلا سرابا
يا بلادي نحن مـــا زلنا على
قَسم الفدية شوقاً وارتقـــابا
يا بلادي ! قبل ميعاد الضحى
موعدٌ ينضو عن النور حجـابا !

* * *

نكبةُ التيهِ التي أودت بنا
فطرقنا في الدجى باباً فبابا
عمّقت سكّينها في جرحنا
وجرت في دِمنا سُماً وصابا
وتهاوينا على أنقاضنا
فخرابٌ ضمّ في البؤسِ خرابا
ومن الأعماق .. من تُربتنا
هتف التاريخ .. والمجد أهابا
فإذا أيامنا مشرقةٌ
بدمٍ .. من لونه أعطى الترابا
وإذا روما نداءٌ جارحٌ
طاب يومُ النارِ يا نيرونُ طابا !

* * *

أيها العاجمُ من أعوادنا
نحن ما زلنا على العَجمْ صِلابا

فاسأل الجرح الذي عذّبنـــا
كيف ألـّبنا على الجرح العـــذابا

نكبةُ التيه التي سَدّت بنـــا
كل أُفق ضَوّأت فينـــا شهابا

فأفـاقت من سُباتٍ أعـينٌ
وُلِدَ الدهرُ عليهنّ وشابـــا

واشرأبّت في المـــدى ألويةٌ
خفقت في الأربـع الجـُرد سحـابا

وعلى وقعُ خطـــانا التفتت
أمم أغضت هوانـاً واكتئابا

ورؤانــا أخصبت فاخضوضرت
أعصُرٌ ناءَت على الشرق جِدابا ؟

* * *

شعَفَاتُ الشمس من غـــاياتنا
فازرعي يا أُمتي الليلَ حِرابا

وإذا الأسداف أهوت ُجثثاً
وإذا أحنى الطواغيتُ رقابا
وإذا َفجَّرْتِ أنهارَ السنى
وسنون الجدبِ بُدِّلن ِخصابا
فانشري النور على كل مدى
وابعثي أمجاده عجباً عجابا
نحن أحرى مستجيباً إن دعا :
من يُفَدِّي؟ وهو أحرى مُستجابا!

أكثر من معركة

في أكثر من معركةٍ دامية الأرجاءْ
أشهر هذي الكلمات الحمراء
أشهرها .. سيفاً من نارِ
في صفِّ الإخوة .. في صفِّ الأعداء
في أكثر من درب وعْرِ
تمضي شامخةً .. أشعاري
وأخافُ .. أخاف من الغدرِ

من سكين يُغمد في ظهري
لكني ، يا أغلى صاحب
يا طيِّبُ .. يا بيتَ الشعرِ
رغم الشكّ .. ورغم الأحزانِ
أسمعُ .. أسمعُ .. وقع خطى الفجرِ !
رغم الشكّ .. ورغم الأحزانِ
لن أعدم إيماني
في أنَّ الشمس ستشرقُ ..
شمس الانسانِ
ناشرةً ألوية النصرِ
ناشرة ما تحمل من شوقٍ وأمانِ
كلماتي الحمراء ..
كلماتي .. الخضراء !

الساحر والبركان

« أسطورة مهداة إلى الحكم العسكري »

وشَعوذ الساحر فانطلقْ
من قُمقُمِ البحار .. ماردٌ صغير
يريد للزورق .. أن يُقبِّل الغرق
يريد للحرية الحمراء
أن تقطن في كوخ .. من الورق
يريد للجذور أن تحيا بلا شجر

يريد للأشجار أن تحيا بلا ثمر
يريد للانسان أن يموت في الحياة !
يريد أن ...
وانفجر البركان !
والتهمت ساحِرَهُ النيران
فعاد للقمقمِ يستجير
بساحرٍ جديد
بساحرٍ .. ليسَ له وجود !!

اخوة

« إلى الذين يعرون الاخوة من جلدها ..
« ويتركونها مرتجفة في صقيع الزيف !

أيا سائلي في تحـــدٍّ وقوَّهْ
أتـُنشدُ ؟ أين أغـاني الأخوَّه ؟
قصائدك السود بركان حقد
ومرجل نار ، وسخط وقسوه
فأين السلام ؟ وأين الوئــام
أتجني من الحقد والنار نشوه ؟!

وصوتُكَ هـذا الأجشُّ الجريح
سئمنا صداهُ الكئيبَ وشَجْوَه
فهلّا طرحت رداء الحـداد
وغنيت للحبِّ أعـذبَ غنوه !

* * *

أيا سائلي ! خلِّ عنك العتاب !
تلوم جريحاً إذا مـا تأوَّه ؟
أخوكَ أنا ! هل فككت القيود التي
حفرتْ فوق زنـديَّ فجوه !
أخـوك أنا ؟! من ترى زج بي
بقلب الظلام .. بلا بعض كوَّه ؟
أخوك أنـا ؟ من ترى ذادني
عن البيت والكرْم والحقل.. عنوه
تُحمّلني من صنوف العـذاب
بمـا لا أطيق وتغشاك زهوه

وتشتمني .. وتـُعَلـِّمُ طفلـَك
شتمَ نَـبي . بأرضِ النبوه
تشكُّ بدمعي إذا ما بكيت
وُتسرف في الظن ان سِرتُ خطوه
وُتحصي التفاتاتيَ المُتعَبات ..
فيوماً « أشارَ » ويوماً « تفوَّه »

* * *

وإن قام ، من بين أهلك ، واعٍ
يبرِّئـُني .. تزدريه بقسوه
وتزجره شاجباً « طيشه »
وتعلن أنـّى توجَّهتَ « لغُوَه »!
وإما شكوتُ .. فمنك إليك ..
لتحكم كيف اشتهت فيك شهوه
فكيف أغني قصائد حبٍ
وسلمٍ .. وللكُره والحربِ سطوه؟

وأنشد أشعـــار حريـــة ..
لقضبان سجني الكبير المشوّه
أيا لائمي ! أنتَ باللوم أحرى !
إذا شئتَ أنتَ .. تكون الأخوه!!

السلام

ليُغنِّ غيري للسلامْ
ليُغنِّ غيري للصداقة ، للأخوَّةِ ، للوئامْ
ليُغنِّ غيري .. للغراب
جذلانَ ينعقُ بين أبياتي الخراب
للبوم .. في أنقاضِ أبراجِ الحمام !
ليُغنِّ غيري للسلام
وسنابلي في الحقل تجهشُ بالحنين

للنورج المعبود يمنحها الخلود من الفناء
لصدى أغاني الحاصدين
لِحُداء راعٍ في السفوح
يحكي إلى عنزاته .. عن حُبه الخَفِرِ الطموح
وعيونِها السوداء .. والقدّ المليح

* * *

ليُغنِّ غيري للسلام
والعينُ ما عادت تبلُّ صدى شُجيرات العنب
وفروعُ زيتوناتنا .. صارت حطب
لمواقد اللاهين .. يا ويلي .. حطب !
وسياجُنا المهدودُ أوحشهُ صهيل الخيل
في الطِّفَلِ المهيب
والجُرن يشكو الهجرَ .. والإبريقُ يحلم
بالضيوف
بالـ « يا هلا » !.. عند الغروب

ورؤى البراويز المُغَبَّرةِ الحطيمه
تبكي على أطرافها ، نُتفٌ من الصور القديمه
وحقائبُ الأطفال .. أشلاءٌ يتيمه
لبثت لدى أنقاضِ مدرسةٍ مهدَّمةٍ حزينه
ما زال في أنحائها .. ما زال يهزأُ بالسكينه
رَجعٌ من الدرس الأخير ..
عن المحبة والسلام !!

* * *

ليغنِّ غيري للسلام
وهناك .. خلف حواجز الأسلاك .. في قلب
الظلام
جثمت مدائن من خيام
سُكّانُها ..
مستوطنات الحزن والحمَّى ، وسلّ الذكريات
وهناك .. تنطفىء الحياة

في ناسِنا ..
في أبرياء .. لم يسيئوا للحياة !
وهنا ..!
هَمَت بيَّارةٌ من خلقهم .. خيراً كثير
أجدادهم غرسوا لهم ..
ولغيرهم ، يا حسرتي ، الخير الكثير
ولهم من الميراث أحزان السنين !
فليشبع المتضورون !
وليشبع الأيتام من فضلات مأدبة اللئام !!

* * *

ليغن غيري للسلام ..
وعلى ربى وطني ، وفي ودیانه .. قُتِل السلام ؟

(الأسطر الثمانية الأخيرة من هذه القصيدة محذوفة
(بالشكل التالي :

× × × × × × × ×

لا نُصبَ .. لا زَهرةَ .. لا تذكار
لا بيتَ شعرٍ .. لا ستار
لا خرقة مخضوبة بالدم من قميص
كان على إخوتنا الأبرار
لا حَجَرٌ خطَّت به أسماؤهم
لا شيءَ .. يا للعار

* * *

أشباحُهم ما برحت تدورْ
تنبش في أنقاض كفْر قاسم القبور

(الأسطر الثمانية الأخيرة من هذه القصيدة أيضاً محذوفة بإشارة الرقيب الصهيوني ..)

روما

روما احترقت قبل قرون
لكنَّ الجذرَ الضارب في أرضهْ
لم يفقد في النكبة معنى نبضه
روما عادت .. يا نَيرون !..

كرمئيل

« مدينة الحقد والجوع والجماجم »

صباحَ مساء
يطالعنا .. وجهُها والسماء
ونبسمُ .. لا بسمةَ الأغنياء
ولكنها بسمةُ الأنبياء
تَحدّاهمُ صالبٌ تافه
يغطي الشموس .. ببعض رداء !

* * *

غداً .. يا قصوراً رست في القبور
غداً يا ملاهي .. غداً يا شقاء
سيذكر هذا التراب ، سيذكرُ
أنـّا منحناهُ لون الدماء

وتذكر هذي الصخور رعاةً
بنوها بأدعية من حداء

وتذكر أنـّا ..

* * *

هنا سِفرُ تكوينهم ينتهي
هنا .. سفر تكويننا .. في ابتداء !

من وراء القضبان

السجين الأول

دوريةُ البوليس لا تنامْ
ما فتئت تبحر في مستنقع الظلام
تجوس كل قرية .. تطرق كل بابْ
وتَنْكُتُ العتمةَ في الأزقة السوداء
من غيظها .. تكاد أن تُقلّب الجيوب

لعابرٍ .. كان لدى أصحاب !

* * *

« يا بيتنا الوديع .. يا شبَّاكنا المضاء
« ما أجمل السلامَ في حَلْقةِ أصدقاء
« يطالعون الشعرَ ، يشربون ، يَروَون من النُّكات
« ما يُضحك الأحياءَ من بليَّةِ الحياة !
« وبينهم من جحفل الحرية الحمراء
« محارب مخضَّبُ اللواء
« سلاحه .. أشعار
« تقطر من حروفها الدماء !

* * *

وداهمت مجلسَهم دوريةُ البوليس

لتلقيَ القبض على محارب ِوجهتُهُ النهار

. . . .

وباتت الخمرة في الكؤوس

(حذف الرقيب الصهيوني المقطعين الثاني والثالث من هذه القصيدة وهما على سعة سبع صفحات من الديوان) .

٤ ـــ رسالة من المعتقل

ليس لديَّ ورقٌ ، ولا قلمْ
لكنني .. من شدَّة الحرّ ، ومن مرارة الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
فقلت : ماذا لو تسامرتُ مع الأشعار
وزارني من كوّةِ الزنزانةِ السوداء
لا تستخفّوا .. زارني وطواط
وراح ، في نشاط

يُقبِّل الجدران في زنزانتي السوداء
وقلتُ : يا الجريء في الزُوّار
حدِّث !.. أما لديك عن عالمنا أخبار ؟!
فإنني يا سيدي ، من مدّةٍ
لم أقرأ الصحف هنا .. لم أسمع الأخبار
حدث عن الدنيا ، عن الأهل ، عن الأحباب
لكنه بلا جواب !
صَفـّق بالاجنحة السوداء عبر كوّتي .. وطار !
وصحت : يا الغريب في الزوّار
مهلاً ! ألا تحملُ أنبائي الى الأصحاب ؟..

* * *

من شدّة الحرِّ ، من البقِّ ، من الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
والحارس المسكين ، ما زال وراء الباب
ما زال .. في رتابةٍ يُنقّل القدم

مثليَ لم ينم
كأنه مثليَ ، محكوم بلا أسباب !

* * *

أسندتُ ظهري للجدار
مُهدَّماً .. وغصت في دوَّامةٍ بلا قرار
والتهبتْ في جبهتي الأفكار

. . . .

أماه ! كم يحزنني !
أنكِ ، من أجليَ في ليلٍ من العذاب
تبكين في صمتٍ متى يعود
من شغلهم إخوتيَ الأحباب
وتعجزين عن تناول الطعام
ومقعدي خالٍ .. فلا ضِحْكٌ .. ولا كلام
أماه ! كم يؤلمني !
أنك تجهشين بالبكاء

إذا أتى يسألكم عنيَ أصدقاء
لكنني .. أومن يا أُماه
أومن .. .. أن روعة الحياه
تولد في معتقلي
أومن أن زائري الأخير .. لن يكونْ
خفـَّاش ليلٍ .. مدلجاً ، بلا عيون
لا بدَّ .. أن يزورني النهار
وينحني السجان في إنبهار
ويرتمي .. ويرتمي معتقلي
مهدماً .. لهيبُه النهار !!

يهوشع مات

* على حد ما يبدو من القصيدة ، فان يهوشع هو اللفظ الآخر الذي يقصد الشاعر به يشوع بن نون ، القائد العسكري اليهودي الذي عبر الأردن من تيه سيناء ، واحتل أريحا ، وأحرقها ... « وكان بعد موت موسى ، عبد الرب ، أن الرب ، كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً * موسى عبدي قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني اسرائل * كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى * من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم *» ..

(العهد القديم – يشوع – الاصحاح الأول) .

يا حائرين في مفارق الدروب !
لا تسجدوا للشمسِ
لن يرقى لها صدى صَلاتكم
بينكُمُ وبينها سقفٌ من الذنوب
لا تسكبوا الدموع ، لن ينفعكم ندم
الشمس في طريقها .. راسخةُ القدم
لا تركعوا .. لا ترفعوا أيديكم إلى السماء
تدمّرتْ واندثرت أسطورة السماء
وأطرقتْ على متاه بؤسكم جنازة الهباء
يا حائرين في مفارق الدروب !
أغواركم خاوية .. إلا من الخواء
صلاتكم خاوية .. إلا من الخواء
يا ويلكم ! يا ويلكم
سرعان ما تغوص في أعماقكم
أظافر الغروب !

* * *

يهوشَعُ ماتَ
فلا تستوقفوا الشمس ، ولا تستمهلوا الغروب
سور أريحا شامخٌ في وجهكم إلى الأبد
يا ويلكم ! يا ويلكم !
سرعان ما تغوص في أعماقكم
أظافر الغروب
يَهوشعُ راح .. ولن يؤوب
يهوشع مات !!

الذئاب الحمر

حُمّت سراياك فاشربْ من سرايانا
كأساً تَجرّعت بهـــا للذلّ ألوانا
واشحذ مُداكَ على الجرح الذي عصفت
دمـــاؤه بقلاع البغي نـــيرانا
أركانُ عرشِكَ ، آلينـــا نقوّضها
فاحشد فلولَكَ .. حيّاتٍ وعُقبانا
يا طامعاً بالذئاب الحمر ، ما غنمتْ
أطماعُك السود ، إلا بعض قتلانـــا

أسطورةُ الأسَدِ المهزوم تمهرهـــا
جداولٌ من دمٍ تجتـــاح « ردفانا »

يا غازياً غُسِلَتْ بالنار حملتُـــه
لقد فتحتَ لدفنِ التاج كثبانا

بلادنا .. القَدَرُ المحتوم قاطنهـــا
مُذ كانت الشمسُ، ما لانت وما لانا

وطـــارفُ المجدِ أقسمنا نشيّده
على التليد الذي شادت ضحايانا

يا عابد النـــار ! ما زالت مُؤَرَّثةً
على القَنال .. فمـــاذا تعبد الآنا

توتم

« توتم – رقصة إفريقية . تمثـل صراع القبيـلة
« مع وحش أسطوري مخيف .. يهاجم مضاربها من
« الغابة ولكنها تنتصر عليه !..

ألسنةُ النارِ تزغردُ في أحشاءِ الليلْ
ويُدمدم طبلْ
وتهدُّ بقايا الصمت طبولٌ ضارية وصنوج
ويَهيجُ الإيقاعُ المبحوحُ .. يهيج

فالغابة بالأصداء تموج
صرخاتُ وحوشٍ تطفو فوق هدير السيل
وأفاعٍ جائعةٌ تحت الأعشاب العملاقة تنسَلّ
ويُحَلّقُ حولَ النار زنوج !
أشباحٌ ترقص حول النار
وإلى أطراف الغابة يمتد الظل
بخطى تترددُ .. هيابه
ويمزّق قلب الليل دويٌّ الثار
تَوْتَمْ .. تَوْتَمْ .. تَوْتَم !
وأكفٌ سودٌ تُلهب جلدَ طبول
فتدمدم من ألمٍ .. وتدمدم
دُم دُم .. دُ .. دُ .. دُم
دُم دُم .. دُ .. دُ .. دُم
أحقاد قرون تتضرَّم
ويعود يمزق قلب الليل دوي الثار

تَوْتَمْ .. تَوْتَم .. تَوْتَم !
وتُشَرَّعُ في وهجِ النيران رماح
تنقضُّ لتغسل عار عصور الظلمةِ بالدمّ
« الغابةُ قبركَ .. يا استعمار !!

باتريس لومومبا

« شاعر الحرية ورسولها . في مجاهل
غابات الكونغو الزنجي المعذب ! »

لاطم الريح بالجناحين .. واصعد .. يا حبيب الحرية المتمردْ !
أيهذا النسر الذي راعه العيشُ بوادِ كابٍ .. ذليلٍ .. مقيَّد
فتلوَّى في بؤرة الوحل والشوك .. بشوقٍ إلى السنى متوقِّد
وأضاءت أحلامُه برؤى موسى ، وعيسى ، وأُمنيـــات محمد
وأضاءَ الحنينَ للذروة الشماءِ .. بـــين النجوم .. أعلى وأبعد

فنَزا للعــــلاء .. ميناؤه الشمروخ ، في قمة الإباء الموطـَّد

* * *

يا هتافا ، لوقعه زُلزِلَ الكونغو الحزينُ المعذبُ المـُستعبَد
أغفلته عصابــةٌ ساقت الشعب عبيداً .. لأجنبيٍّ مسوَّد
نسرَ إفريقيا العظيمَ ..نداءُ الشمسِ دوَّى على الوجود وأرعد
فاستجبتَ النداءَ .. لبيكِ يا أمي .. غداً في أفق البطولات
موعد
وشددتَ الجناح ، في القلبِ نبضٌ لهيٌ .. وأدمعٌ تتجلـَّد
بعد عهد من الظلامِ ، طويلٍ ، في سماء العبيد أشرقت فرقد
فاحمل المشعل العظيم ومزِّقْ ما أراد الغزاةُ ليـــلا مُخلـَّد !

في صف الأعداء

أمس استوقفني في الشارعِ يسأل عن « بارْ »
يقضي فيه بقيةَ ليله
زنجي بحَّار
يعمل عتالاً في إحدى سفن الدولار
وتحدثنا فإذا بي أستلطف ظلَّهْ
– هل نشرب كأساً يا صاحب ؟..
ولدى مائدةٍ واجمةٍ في المقهى الثرثار

كان صديقي يشربُ .. يشرب باستهتار !
هذا الزنجيُّ يحب النسيان
فلماذا ؟.. من أيةِ أغوار
ينبع هذا الانسان ؟
– قل لي .. حَدِّثني عنكم في أميركا الحرَّه
عن مدرسة البِيض ، كنيستهِم ، فندقهم ،
وعبارات
كتبتْ بالفوسفور وجابت كل الحارات :
« ممنوعٌ إدخال كلاب ويهودٍ وزنوج » !
– او .. وه .. اتركني باسم الشيطان
هل حولَكَ لي أُنثى ؟ فقُبَيْلَ الفجر
سنُسيِّبُ هذا الميناء .. ونمضي عبر الأخطار !
– حسناً ! حدثني عن وطنِ النارِ السوداءْ
هل تسمع عن أسدٍ يُصطاد

عن أدغالٍ تهوي تحت الليل رماد
عن حقل مزروع شهداء
عن شعب يَنـْبَتُ في أرضٍ
بدماء القتلى مرويَّه
عن شمسٍ تولـَد حاملةً
خبزاً .. أحلاماً .. حريَّهْ
هل تسمع عن إفريقيه ؟!
ـ أسمع .. أسمع .. دقاتِ طبول « السمبا »
وأرى الحسناء الزنجيه
تترجرج كالنار الغضبى
في رقصة حبّ دمويه
ـ حسناً .. حسناً .. حَدِّث عن كوبا
هل تعرف شيئاً عن شعبٍ
ما عاد مسيحاً مصلوبا

لو أنشد هذي الليلةَ أغنيَّه
ـ كوبا ؟ لو أحمل هذه الليلة قيثاره أغنيَّه
فتزاح ستاره
عن جسدٍ بضّ في إحدى الشرفات

* * *

يا ساقية الحانه
وَيْـلمِّكِ .. فارغة ٌ كأسي
وأنا ما زلتُ أُحُسُّ على عنقي ، رأسي
ورفيقُكِ .. ما لرفيقِكِ أخمدَ ألحانه ؟..
أمس استوقفني في الشارع يسأل عن بار
واليوم صباحاً كان من الأخبار
أمريكيٌ أبيضُ مات
مات وفي شفتيه نداءٌ :
فلتسقط كلمات

كتبت بالدمِّ وبالأحزان
فليسقط عارُ الانسان
يرفعه الفاشست على وحلِ الرايات
« ممنوع إدخال كلابٍ ويهود وزنوج » !!

من أجل

من أجل صباح !
نشقى أياماً وليالي
نحمل أحزان الأجيالِ
ونـُكوكِبُ هذا الليل جراح !

* * *

من أجل رغيف !
نحمل صخرتنا في أشواك خريف

نعرى .. نخفى .. ونجوع
ننسى أنـَّا ما عشنا فصلَ ربيـع
ننسى أنـَّا ..
خطواتٌ ليس لهنَّ رجوع !!

الجنود

قوموا اخرجوا من قبوركم ، يا أيها النيام !
اليوم للأعراس
دُقّوا له الأجراس
وارفعوا الأعلام
لاقُوه في حماس
لاقوه بالهتاف .. بالأفراح .. بالأغاني
هبُّوا اصنعوا أعظم مهرجانِ

غَطّوا المدى بأغصنِ الزيتون

وطيّروا الحمام

جاءكم السلام

يا مرحبا .. جاءكم السلام !

نحن على الحدود

نحن على الحدود .. لا ننام

أكُفّنا لصيقةٌ على مقابض الحديد

عيوننا ساهرةٌ .. تجود في الظلام

قلوبنا تدق في انتظارهم ..

أعدائنا الغزاة

نحن تعلمنا .. تعلمنا ..

أن نسلب الحياه !

* * *

نحن على الحدود .. كالكلاب ، كالقرصان !
لا نعرف الهدوء .. لا ننام
فاستقبلوه .. استقبلوا السلام
عاش السلام .. عاش السلام !!

عروس النيل

أسمعهُ .. أسمعهُ !
عبرَ فيافي القحط ، في مجاهلِ الأدغال
يهدرُ ، يَدْوي ، يستشيط
فاستيقظوا يا أيها النيام ..
ولْنبتنِ السدود قبل دهمة الزلزال
تنبهوا .. بهذه الجدران

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان !

* * *

لمن تُزَيِّنونَها .. حبيبتي العذراء !
لمن تبرِّجونها ؟
أحلى صبايا قريتي .. حبيبتي العذراء !
حسناؤنا .. لمن تُزَفّ ؟
يا ويلكم ، حبيبتي .. لمن تُزَفّ
لِلطَّمْيِ ، للطحلب ، للأسماك ، للصَّدف ؟
نقتلها ، نُحْرَمُها ، وبعد عام
تنزل فينا من جديدٍ نكبةُ الطوفان
ويومها لن يشفع القربان
يا ويلكم ، أحلى صبايا قريتي قربان
ونحن نستطيع أن نبتنيَ السدود

من قبل أن يدهمنا الطوفان !

* * *

بَدارِ .. باسم الله والانسان
فانني أسمعُهُ .. أسمعُهُ :
ولي أنا .. حبيبتي العذراء !!

الى صاحب ملايين

نَمْ بين طَيَّاتِ الفراش الوثيرْ
نَمْ هانىءَ القلبِ ، سعيداً ، قرير
فكل دنيـــاكَ أغَـاني سرور !

* * *

المـــال في كفَّيك نهر غزير
والقوت ، أغلاهُ ، وأغلى الخمور

وألفُ صنفٍ من ثياب الحرير
والصوف والسجاد ، منه الكثير
« وكادِلاك » .. في رحاب القصور
والغيد ، واللحن وسحر الدهور !
نَمْ خالياً .. لا قارَبَتْك الشرور
وكل ما تبغيه .. حتمــاً يصير
إن شئت .. فالليل صبــاح منير
أو شئت .. فالقفر ربيع نضير
والقبر إن ترغبْ .. حياةٌ ونور
واطلب .. ففي الجلمود يصفو غدير
والآن ! يا نجلَ العلى يا أمير
يا عالي المقـــامِ .. يا .. يا خطير
يا تاجَ رأسي .. يا زعيميَ الكبير
إسمحْ لهذا الشيء .. هذا الفقير

إسمـــح له بكلمةٍ لا تضـــير
عندي سؤالٌ مثل عيشي حقير
أرجوك أن تسمعه ، ألاّ تثور
من أين هذا المال .. يا « مليونير» ؟!

المطر والفولاذ

وينتصب المصنع الماردُ
إلهاً .. كلانا له عابدُ
وتَدوي الدواليبُ مزهوةً
ويدوي بنا شوقُنا الصامدُ
فيا سُحبَ الغيثِ مُدّي يداً
سحابُ مداخننا صاعد
وصبّي الحياة على شرقنا
فقد هيّأَ المنجل الحاصد

وآلتنا وَعَدَتْ طفلَنا
بكعكٍ.. فهل يكسف الواعد ؟

* * *

تَهلَّل بنا يا غداً لم يكن
سوى مطمحٍ .. فالسنى عائد
تَهلَّل ! ستخضرُّ أشواقُنا
ويذبض شريانُها الخامدُ
ففي كل أُفقٍ لنا مشرقٌ
وفي كلِّ دربٍ لنا رائد
ومِغْزَلُنا بعد طولِ انتظارٍ
تحرَّكَ منوالُه البارد
وضم غيوم البحار وغيم الـ
مصانعِ .. منهجُنا الواحد
إذا ماتَ من يأسِهِ عاجزٌ
فإنَّ الرجاءَ .. بنا خالد

السرطان

« إلى قايين وهابيل العصر اللـــذين
لم يصرع بعد ، أحدهما الآخر!..»

- ١ -

شواهد الرخام
تجثمُ في الطين ، تغطي الشاطىءَ المديد
ولم تزل سفائن العبيد
مُثقَلةً بالنارِ ، بالسموم ، بالحديد
تَمخرُ بحر الدمع والصديد

وخلفها مدائن الموتى
والصمتُ ، والخراب ، والدخان
وفي مغاور المدى الدفينِ في الظلام
يَعوِي مخاضُ الرعب والقَتام
والسرطان يُطفىءُ الشمس ويستفيق
يشبُّ من شهوتِه حريق
متى تزلزل الوجود صرخة اللئام ؟
إلى الأمام .. إلى الأمام !!..

- ٢ -

من ألفِ ألفِ عام
لا يَنشفُ السكينُ .. والجراحُ لا تنام
حمائِمُ القماش في الفضاء
مطلقة بالمعدنِ الممسوخِ .. بالرياء
وخلف بيرق السلام

تَغلي صنابيرُ الدماء
ويرجف التراب في الأعماق
ويَبلَعُ الاسفنجُ في القِيعان
والرعب يُقلِقُ النجوم
والسرطان يطفىءُ الشمس ويستفيق
ينتظر الدم المراق
وفُضلة الجذورِ والعظام
من ألف ألف عام

- ٣ -

مفترق الطريقِ
من أين يا قوافلَ الرقيق ؟
في أي شعْبٍ تزحفين ؟
لأي أُفْق ترحلين ؟
تمهلوا يا حاملي الصخور
تمهلوا .. مفترق الطريق

والبحر من ورائكم يموجُ
والعدو من أمامكم يموج
والشواظ .. والحريق
يُفَزِّع الغِلالَ والمروج
والصخرُ في الأغوار
يضخمُ .. يعلو .. ينذرُ الخليج
وخلفكم ، يا ضائعون ، ماتت الشطآن
ولم يعد مكان
تُغرَسُ في جراحه شواهد الرخام
خلفكمو لم يبق غير البومِ والديدانِ والغربان
والرعبِ ، والأوباءِ ، والظلام
والقيظ ، والصدى ، والازدحام
وخطوة المصير في مفترق الطريق
والسرطان !
يطفىء الشمس ويستفيق !!

طفل يعقوب

« إلى فمك بالبوق ، كالنسر على بيت
الرب ، لأنهم قد تجاوزوا عهدي ،
وتعدوا على شريعتي » . (التوراة)

من هذا الصخر .. من الصلصالْ
من هذي الأرض المنكوبه
يا طفلاً يقتُل يعقوبَهْ
نعجن خبزاً للأطفال !

من ترمي في ليلِ الجبِّ !
أُنظر .. واحذر
من حفرة غدرٍ تحفرها في دربي
يا خائنَ عهدِ الربِّ !!

اقطاع

يا ديداناً تحفر لي رمسي
في أنقاض التاريخ المنهار
لن تسكت هذي الأشعار
لن تخمد هذي النار
ما دامت هذي الدنيا
ما دمنا نحيا
في عصر الاقطاع النفسي

فسأحمل فأسي
سأشُجُّ حماقات الأوثان
وسأمضي .. قُدماً ، قُدماً ، في درب الشمسِ
بإسم الله الطيب .. بإسم الانسان !!

الانسان الرقم

رَفَعَ المقعدُ لي نظارتيه
سيدي ماذا تريد ؟
ومضى .. بالقلمِ المسلول ، والوجه الكليل
يحرث الأوراق في صمت بليد
والحروف الصمّ والأرقام ثلجٌ في يديه :
سيدي .. ماذا تريد ؟

* * *

وتنحنحتُ .. أنا أبحث عن نفسي هنا
رَقَمي .. خمسةُ آلافٍ وتسعه

* * *

ومضى يبحث عن خمسةِ آلافٍ وتسعه
ليس يعنيه « أنا » !

* * *

ثم عاد الأخطبوط الأصفر الشاحبُ من وعرِ الرحيل
غاضباً .. بالقلم المسلول والوجه الكليل :
« سيدي .. ليس له أي وجود » !!

* * *

ثم عاد المقعد الميِّتُ يجثو من جديد
كُوَمَ الأوراقِ
يغتالُ الحروفَ السودَ والأرقامَ في صمتٍ بليد

* * *

رقمي ليس له أي وجود
و « أنا » .. ليس له .. أي وجود !!

مرثية أغنية قديمة

كم استثرتِ عندهم كوامنَ الأشواق
كم كنتِ بينهم حمامة السلام
فعاودتْ قلوبَهم نوازعُ الغرام
ودمعت عيونُهم من الفرح
فاختصروا العتاب
وعمَّروا مجالس الشراب

* * *

من سنةٍ .. آخرهم .. يرحمه اللهُ
ويومها ..
– ولم يكن يفهم ما تحكين إلا ّهُ –
من سنةٍ يرحمكَ الله !
يا طابعاً أهمله البريد
فلن يُعيد
من حلوةٍ جواب
لمدنفٍ مُتيَّمٍ .. لن يجمع الأحباب

* * *

لن تستثيري عندهم كوامنَ الأشواق
لن تبعثي أجدادَنا العشاق
يا جدّةً طاهرةَ الرفات
يا حيَّةَ الممات ..
يا مَيْتَةَ الحياة !!

درب الحلوة

عيناك !!.. وارتعش الضياء بسحر أجمل مقلتين
وتلفَّتَ الدربُ السعيد ، مُخدَّراً من سكرتين
وتبرَّجَ الأُفقُ الوضيء لعيـــد مولد نجمتين
والطير أسكتها الذهول ، وقد صدحتِ بخطوتين
والوردُ مـــال على الطريق يودُّ تقبيل اليدين
وفراشةٌ تاهت إلى خديكِ .. أحـــلى وردتين
ثم انثنت للنور في عينين .. لا .. في كوكبين

وُنحَيلةٌ همتْ لتمتص الشذى من زهرتـــين
رحمـــاك !.. ردّيها .. ولا تقضي بموتي مرتين
فـــأنا .. أنا دوّامةٌ جُنّت ببحرٍ من لُجين
أصبحتُ ، مذ نادى بعينيك السبيل .. كما ترين
سُكرٌ غريب الخمر .. منكِ .. اجتاحني قلباً وعين
ماذا ؟.. أحُلْماً ما أرى .. أم واقعاً .. أم بين بين
يا طلّة الأسحـــار قلبي ذاب في غمّـــازتين
وثوى هنالك ناسكاً ، مـــا حَمَّلَ المعبودَ دَين
يا حلوة العينين ، إنكار الهوى زورٌ ، ومَيْن
فتَشَجّعي !.. وبقبلةٍ صغرى أبيعك قبلتين
وتشجّعي !.. والحبّ يخلقُ هيكلاً من هيكلين
إن تعطِني عينـــاك ميعاداً ألمّ الفرقدين
أيكون من حظي لقاءٌ يا ترى ؟ ومتى ؟ وأين ؟..

يوم الأحد

« إلى الجنة الحزينة.. واللقاء الأول..
وشجرة الكرمل ! »

المواعيدُ سَهتْ عن موعدي
فتشرَّدتُ بتيـــه الأبَدِ
أنكرتْ سود الليالي أرَقي
وجناح الدفء جافى مرقدي
والتقينـــا صدفةً قِدّيسةً
جمعتْ قلبين يومَ الأحـــدِ

فغدا يوم المسيح المفتدى
بدءَ تاريخي ، وذكرى مولدي

* * *

حلوتي ، يا جنةً محزونةً
أنا من قبلُ ، بها لم أنشد
طائري ما كان يبني عُشَّه
في جنانِ الحب لو لم توجدي
فاحضنيني .. أدمعاً حائرةً
أقسم الحرمان ألاَّ تهتدي
رُوِيتْ منها قلوبٌ جَمَّةٌ
وأنا .. منبعُها الثرُّ .. الصدي
عانقيني بهجةً ناسكةً
غير أرباب الهوى لم تعبدِ
وخيالاتٍ تجلَّت في دُنىً
لم تطُفْ أشباحها في خلَدِ

عالمٌ للروح طوَّفت بــه
شطه استعصى على كل يــد

أنا أهواكِ .. هوىً نيرانُـه
تخذت أحطابهـا من جسدي

طهَّرتْ روحي ، ومسَّتْ شفتي
فإذا فيها الذي لم يُعهَدِ

قُبَلٌ تسألني عــن شفةٍ
لم تُنَلْ .. كالوهم في ظنِّ الغد

وحروف يسجد الوحيُ لهـا
لسوى عـــاطفتي لم تسجد

يا ابنة الأحلام في غيبوبتي
جسِّدي أحلامَ حبي .. جسِّدي

المواعيـــد التي لم نَحْيَها
أمسِ .. نحياها غداً .. في موعدِ

رماد

ألا تشعرين ؟..
بأنّـا فقدنا الكثير
وصار كلاماً هوانا الكبير
فلا لهفةٌ .. لا حنين ..
ولا فرحةٌ في القلوب ، إذا ما التقينا
ولا دهشةٌ في العيونْ ..
ألا تشعرين ؟..

بأن لقاءاتنا جامده
وقبلاتنا بارده
وأنّا فقدنا حماس اللقاء
وصرنا نجامل في كل شيءٍ .. وننسى
وقد يرتمي موعدٌ .. جثة هامده
فنكذب في عذرنا .. ثم ننسى
ألا تشعرين ؟..
بأن رسائلنا الخاطفه
غدت مُبهماتٍ .. قصيره
فلا حِسَّ .. لا روح فيها .. ولا عاطفه
ولا غمغماتٌ خياليّةٌ
ولا أمنياتٌ .. ولا همسات مثيره !
وأن جواباتِنا أصبحت لفَتاتٍ بعيده
كعبءٍ ثقيلٍ .. نخلّصُ منه كواهلنا المُتعَبَهْ
ألا تشعرين ؟..

بدنيا تهاوت .. ودنيا جديده
ألا تشعرين ؟..
بأن نهايتنا مُرَّةٌ .. مرعبه ؟!..
لأن نهايتنا .. لم تكن مُرَّة .. مرعبه ؟!..

قربان

هــذي الحروف المدلهمَّهْ
يا سيدي ، أحزانُ أمَّه
سطّرتُهـا بتمرُّدي
في فجرِ آتٍ لم أضُمَّه
وبهـا أروّي غرسةً
بلظى جحيمِكَ مستحمّه
لأصيد من وادي الأسى
والدمعِ ، للأطفال ، بسمه

لأردّ للثكلى ابنهـــا
لأعيد للمفجوع أمَّـــه
يا سيدي !.. فأغضب وثـُر
واقطع عليّ طريق لقمه
حسبي من الزاد الصمود
ومن جَنى الإيمان نعمه
يا سيدي !.. أنا لن أجوع
وبي من الأحقـــادِ تُخمه
فاشحذ مُداكَ على جراحي
إنني قربان كِلـْمَهْ !!

دخان البراكين

دخان البراكين

« حين يفرغ الحاكمون من كلامهم
« فسوف يتكلم المحكومون !! ..

ليلى العدنية

« قصيدة دم .. على ربابة شهدائنا »
إلى واحد من فدائيي الشمس في جنوبنا المقاتل ..
واحد .. من الرجال الذين أرادوا الحرية ، فاخترقوا إليها الموت !..
الى الجندي الذي صنع من عظام أطفاله القتلى ، سكاكين ثأر ، ومناجل حصاد .. ومن حجارة بيته المنسوف ، صنع تماثيل أطفال ، وقوارات ورد ..
الى .. القوي مكاوي .. أخاً ، ومعلماً !

من :
سميح القاسم

- ١ -

شاءها الله شهيَّه !
شاءها الله .. فكانت .. كبلادي العربيه !
شَعرُها .. ليلةُ صيفٍ بين كثبان تهامهْ
مقلتاها .. من مهاة يمنيَّه
فمها .. من رُطَب الواحة في البيد العصيَّه
عنقها .. زوبعةٌ بين رمالي الذهبيه
صدرها نجد السلامه
يحمل البشرى إلى نوحٍ ،
فعودي يا حمامه !
ولدى خاصرتيها ، بعض شطآني القصيه
شاءها الله فكانت كبلادي العربيه !
نِكهة الغوطة والموصل فيها .
ومن الأوراس .. عنف ووسامه
وأبوها شاءها أحلى صَبيَّه

شاءها إسماً وشكلا
فدعاها الوالد المُعجَبُ : ليلى
وإليكم أيها الإخوان .. ليلى العَدنِيَّه !

- ٢ -

كبرتْ ليلى على سحر الليالي البدويه
كبرت ليلى .. وصارت
تشتهيها العين ، حسناً وسجيه
أصبحت قِبلة غلمان القبيله
رغم أن المَهر غالٍ .. والمحاصيل قليله !
كبرت ليلى ..
وفي يوم من الأيام ، ناداها أبوها :
– لبن الناقة في القصعة ، والتمر كثير
وأنا ماضٍ ، إلى الشطآن ، ماضٍ يا عَجِيَّه (*)

(*) العجية ، في القاموس ، وفي لغة البادية ، هي أنثى الإبل ، أو الانثى التي فقدت أمها رضيعة ، فربيت بلبن غيرها .

ثم شدَّ البندقيه
ومضى يدفع عن ليلى الذئاب الأجنبيه !
وراح مرزوق وخلـَّى في يد الرحمن بيته
راح .. فالشطآن ُغصـَّت بذئابٍ وعقاربْ
من مغيرين أجانبْ
أقبلوا من جزر الاسمنت والقرميد ، من بحر الشمال ،
من بلاد ، اسمها .. بريطانيا العظمى – يقال !
ويقال
إنها ملأى ضباباً ، ودواليباً وغابات مداخن
أقبَلوا ، باسم إلهٍ خائبٍ ، في السنّ طاعن
حلمُهم أن يحملوا للغرب بنته
حلمُهم أن يحملوا ليلى سبيَّه !
طار مرزوق على سرجِ مِكـَرٍ
من جيادي العربيه
في يديه البندقيه

وعلى عينيه من عنف الصحاري
ألَقٌ صلب ، وقيظ ، وضواري
تهدر الريح على جنبيه غضبى ، مستفزّه
وتُدوي شفتاه
بالأهازيج .. فقومي يا حياه
هلّلي للفارس القادم .. إيماناً وعزّه !
طار مرزوق على ظهر مكرٍّ
من جيادي العربيه
في يديه البندقيه
ومضى يوم .. ويومان .. وما عاد المحارب
كانت الشطآن ملأى بذئابٍ وعقاربْ !

- ٣ -

أنخيل ؟
أم فَراشي ملهمٍ يُبدع لوحاتِ الأصيل ؟

وصَبا البيد الرخيَّه
أم نواحات عجيَّه
لم يعد والدها ، والشط غِيلانُ منيَّه ؟
رائعاً كان النخيل !
كل نخله
لبيوت الشَّعر مرساة ، وللقوم مظلّه
رائعاً كان النخيل !
كفَراشي مُلْهَمٍ يُبدع لوحات الأصيل
حين دوَّت في فناء الحيِّ ضوضاء سنابكْ
.. وصهيل
فاهرعي ليلى ، إلى فتحة بابك !
– يا إلهي ! ويل يُتمي !
– فزِّعي الرَّبع
وشقّي دونهم ، شقي الثياب
جلَّ يا أخت المصاب

فزّعي الربع فقد عاد الجواد
عاد .. لكن .. وحده يا أخت عاد !!

- ٤ -

رائعاً كان النخيل !
بائساً صار النخيل ..
بعد أن أهوى على الشاطىء ، مرزوق القتيل
برصاصات الدخيل ..
خرَّ مرزوق ، وعيناه ، وعين البندقيه
في الوحوش الأجنبيه
خرَّ مرزوق الذي نادته للحرب بلاده
ومضى من حوله يصهل محزوناً .. جواده !
وانقضى يوم ، ويومان ، ومرزوق ممدَّد
تندب الشمس عليه ، والسواقي تتنهد ..
- فارس البيد مجندلْ

فلمن يا ابن الجياد الصّيد تصهل ؟
عُد إلى المضرب ، فالقيظ شديد
عُد ، وإلاّ مت ظمآناً كمرزوق الشهيد !
واستدار العُنُق الأصيَد ، يا ليلى ، فقومي ..
فزّعي القوم ،
وشقّي دونهم ، شقّي الثياب
جلّ يا أخت المصاب !

- ٥ -

منذ أن عاد بلا فارِسِهِ ذاك الجواد ،
كُحْلُ ليلى صار ... باروداً ورملاً وغبار
وغدا الميلُ ، رصاصه
وبكت ليلى .. بكت ليلى طويلا ..
دمع ليلى لم يكن ماءً وملحاً وانكسار
كان جمراً ، ونداءاتٍ لثار !

ومضت ليلى إلى الحيّ .. وصاحت :
يا لثأر الفارس المذبوحِ بالأيدي الغريبه
يا لثارات العروبه
يا .. لثارات .. العروبهْ
وعلى ظهر الجواد ،
زغردت ليلى ،
فلبَّى المُرد والشيب وهبوا للجهاد !!

- ٦ -

ذات يومٍ .. كانت الصحراء قيظاً ، وخيالا
وسراباً ، ونخيلا وجِمالا
كانت الصحراء ، رملاً وحداةً وهوادج
همها أن تلهم الشِّعر مغنِّين كسالى ..
كانت الصحراء .. كانت .. ذات يومِ
زغردت ليلى ، فدوى اللغم في أعقاب لغمِ

صارت الصحراء مقتاة رؤوس .. ذات يومٍ
والضغائن
ترقب الأعداء ، في صمتِ الكمائن !
ومضت ليلى ..
ـ أبي !!
واهتزت البيد الوفيَّه !
جثة ، تدفنها الريح ، برملٍ وغبار
في جلالٍ ورويَّه
والجراح السود تستصرخ : أقدِمْ !
أيها الآتي ورائي .. خذ بثاري !
خذ بثاري .. خذ .. بثاري ؟!
وانحنت ليلى الشقيَّه
قبَّلت جبهة حاميها القتيل
وعلى خدَّيهِ مرت راحتاها
مثلما اعتادت ،

متى روَّح من أخطار تجوابٍ طويل !

- ٧ -

عانقتْ ليلى أباها !
ثم هبَّت واقفه
نزعت من راحتيه البندقيه
وبصوتِ العاصفه !
وبأصواتِ الملايين الغضاب الزاحفه !
صرخت : لن تدفنوه !
قسماً .. لن تدفنوه ،
قسماً ، ما لم نطهِّر كل شطآن العروبه
من ذئاب الغزو ،
مَصَّاصي صحارينا الحبيبه !
وبصوت العاصفه ،
وبأصوات الملايين الغضاب الزاحفه !

هتفوا من حولها : لن ندفنه ،
قسماً .. لن ندفنه
قسماً .. ما لم نطهر كل شطآن العروبه
من نفايات القرون المنتنه !
كانت الصحراء ، ذلاً وخنوعاً .. ذات يومٍ
ويُدوّي اللغمُ في أعقاب لغمٍ
صارت الصحراء ميدان معارك ،
فخنادقْ ..
وبنادق ..
ودماءٌ .. وحرائقْ !
فلتحسّي اليوم – يا بريطانيا العظمى – بعاركْ
لتعودي لصَغاركْ !!

– ٨ –

« رهط مرزوق » على السفحِ وفي الوادي العقارب

ـ احكموا التصويب
ـ أفنوهم ، وإلاّ ، أحرقوا كل المضارب !
ضغطت ليلى حديد البندقيه
قبّلتْ إصبعها حدّ الزناد
وبكت ليلى .. بكت ليلى الشقيه ،
صنعوا منها أداةً دمويه
فلماذا ؟
صنعوا منها أداةً دمويه !؟
وبكت ليلى ، وشدت يدها حد الزناد
ـ الحصاد !
ـ الحصاد !
ـ يا بني عمّي .. الحصاد !
وكما تنقضّ أسراب النسور
وكسيلٍ غاضبٍ يجرف للوادي الصخور ،
هكذا انقضّ على الغازين من خلف البحور

« رهط مرزوق » الجسور !
ساعةٌ مرّت – ومرت ساعتان
طلقة منا – ومنهم طلقتان
جثة منا – ومنهم جثتانْ
« رهط مرزوق » إلى الوادي ، وللسفح العقارب !!
– أحكموا التصويب !
– أفنوهم ، وإلاّ ، أهلكوا مَن ظلّ منا ..
وأبادوا الزرع والضرع
وأفنت نارهم كل المضارب !
زغردت ليلى – فيا بيدُ أعيدي
وبنار الثائرين السمر .. مِيدي !
الأهازيجُ تدوّي :
« ما نطيق الذلّ : يا ربع الجدود
« وابن أخت النذل : مَن يرضى القيود
« ما نطيق الذلّ : للعادي الغريب

« نهزم المحتل : لو حتى نبيد !
ساعة مرت – ومرت ساعتان
طلقة منا – ومنهم طلقتان
جثة منا – ومنهم جثتان !

– ٩ –

همدت ريح الغزاة !
والفتى المحظوظ منهم ،
أسلم الساقين للريح .. فصانته الحياة !
هربتْ منهم بقايا
وعلينا .. تركوا همّ الضحايا
فتعالوا يا بني أمي : تعالوا ..
كي نخط القبر للقتلى
لقتلانا وقتلاهم ،
ونتلو ما لدينا من صلاة

رحم الله الضحايا
من بنينا والغزاة !
مثل خفِّ الجمَلِ الجوّال في البيد الرحيبه
كانت الشمس الكئيبه
مثل وجه الجثة المُلقاة في أرضٍ غريبه
كانت الشمس الكئيبه
ضوءها الشاحب ، ينهار على السمر الرجال
ـ مزقوا قمصانهم
وأجعلوا منها ضمادات الجراح
وأجمعوا القتلى .. هلموا !
لحظة .. ثم ينادينا القتال
إنه موسم نار وكفاح !

- ١٠ -

ـ من ضحايانا

ـ عليٌ ـ وأمين ـ وسعيد
وأبو محمود ـ والمهدي ـ وفهد ورشيد
وأبو النصر ـ ومروان ـ وعبدالله ـ والـ ...
لـ .. يـ .. لـ .. ى !!
ودوّى الاسم « ليلى » .. ثم دوّى
وعلى جثتها ، كالنجم أهوى !
كان مفتوناً بها عدنان .. عدنان الحزين
طالما منى بها النفس .. بعرسٍ ..
وببيت .. وبنين ..
كان يهواها الحزين !
وسّدوها سرج مرزوق وصلـّوا :
« دم ليلى لا يُطـَلُّ ! »
سَبِّلوا الجفنين .. يا صِيد القبيله
وخذوا منديل عدنان
خذوا منديله ، شدوا يَدَي ليلى القتيله !

لا تنوحوا .. لسوانا .. عادة الدمع الذليله
لا تنوحوا ..
زهرات الفل والبرقوق ، في الصدر الوديع
هي بشرى للصحارى .. بالربيع !

- ١١ -

هذه يا أيها الإخوان ، ليلى العدنيه
شاءها الله ، فكانت كبلادي العربيه ..
سقطت ليلى الحبيبه
سقطت .. باسم العروبه !
سقطت ليلى .. ولكن
قسماً ! لن تدفنوها
قسماً .. لن يطمس الرمل بلادي العربيه !
من دم القتلى ، سنسقيها . ونحييها ..
ونعطيها حياة أبديه ..
باسم ليلى !.. باسم ليلى العدنيَّه !!

من مفكرة أيوب

جدول أعمال

ساعاتُ الصبح أُقضّيها في النوم
لا حاجة للإفطار اليوم
الجبنة ، في العادات المرذوله
والجوع .. فضيله !
ساعات الظهر أُقضّيها في المكتب
سأردّ على تسعين جريده

نشرت أقوالاً كاذبةً ..
عن أُمي المعبوده !
أأسبُّ ... مراراً .. لا بأس !
فمفيدٌ للصحة أن نغضب
لا داعي لليأس
ما بعد الظهر يناديني التلفون الثرثار
– ما عندكِ يا حلوة من أخبار ؟
– لن تأتي هذي الليلة .. لا بأس
خيرٌ للصحة أن نجرع .. أكثر من كأس !
ساعات الليل
شعرٌ موسيقى .. .. أخبار
تعليقاتٌ .. أقوالُ الصحفِ .. أحاديث
جازٌ .. أخبارٌ .. تعليقاتٌ .. حزن ..
شعرٌ ودُوار !!..
عندي من خير الله كثير

عندي اللعناتُ .. اليُتمُ .. الأحزان
عندي الجوعُ .. الدّين .. الغربه
من كل الألوان
عندي – بالجملة – للتصدير !!..
عندي من خير الله كثير
أحكامٌ شتّى ، أوراقٌ رسميه
أكداس قوانينٍ ما خطرت في بال
عندي ما يدهشُ كل الأجيال
بالجملة للتصدير
والربحُ على الله ، وحُسن النيه !!..
قلبي كَمِثراةٌ أحياناً .. أحياناً كتلةُ قصدير
أحياناً قنبلة يدويه
قلبي بالجملة للتصدير
والربح على الله ، وحسن النيه ..
عندي من خير الله كثير ..

.. للتصدير !!..

أمشي

ُمنتَصبَ القامة .. أمشي
مرفوعَ الهامة .. أمشي
في كفي .. قصفة ُ زيتونٍ وحمامه
وعلى كتفي .. نعشي
وأنا أمشي
قلبي قمرٌ أحمر ..
قلبي بستان ..
فيه العوسج ، فيه الريحان !
شفتاي .. سماءٌ تمطر
ناراً حيناً ُحباً أحيان !
وأنا أمشي .. أمشي

مُنتصبَ القامةِ .. مرفوعَ الهامه ..
في كفي قصفةُ زيتون وحمامه
وعلى كتفي .. نعشي !!..

أندلسية

ــ الله .. الله !!
اللحنُ جميلٌ يا زِرياب
اللحن جميل .. وجديد !!..
سبحان الواضع قدرته في خشب العود
الله .. الله ؟؟..
ــ سبحان الواضع قدرته فينا
يا عبدالله ..
من عَطَشِ الصحراء
روّينا الدنيا ..

أعطينا في كرمٍ آياتِ الأبداع
اللحن جديدٌ واللفظةُ ، والأيقاع
حسناً يا زريابْ
رجلٌ « الغيتار » يدق البابْ
فأحمل هذا العود
وتعال نعود
طالت في الشام ، وفي بغداد
أشواق الأحباب ؟؟..
ووراء الباب
رجل « الغيتار » العائد يبكي .. يبكي
وينادي الغيّاب :
غرانادا .. غرانادا ألليّله
الولد الهارب عادا .. ألليّله
غرانادا .. غرانادا ..
— ألله ؟؟..

من أين

– من أين أتيتْ ؟
بيدي أغمدتُ الخنجرْ
في صدركَ .. في الجنب الأيسر
بيدي . ونسفتُ البيت ؟
من أين أتيت ؟..
– القول مباح ؟
– القول مباح ؟
– حسناً يا عمي الغالي
من أجيالٍ
يُحكى أن هناك رياح
وهناك لقاح
وهناك – كما يُحكى – بذره
تتسلل .. روحاً في صخره ؟

وتشقّ الدرب إلى الشمس
وإذا أغمدت الخنجر
في البذرة ، والصخرة ، والشمس ؟؟..
ـ يُحكى أن هناك رياحا
وهناك لقاح
وهناك جذوراً .. لم تمرض باليأس ؟؟..

ماذا سأقول

في المكتوب الألف
المبعوث إلى الداعي في مولد صيف
كتبتْ : أشتاقُ إليك
وأخاف عليك
يا حاملَ همّ الأجيالْ
فتعال .. تعالْ ..
يا ولدي !!؟؟

إن أنتَ أتيتْ
يا نوّارةَ قلبي .. سيضيء البيت
فتعال .. تعالَ .. تعالْ
يا ولدي !...

* * *

في المكتوب الألف
المبعوث إليها .. في مأتمِ صيف
أكتبُ والبسمة في شفتيّ
أكتبُ والدمعة في عينيّ
أكتبُ والغصّة في رئتيّ :
– يا وردةَ قلبي المذبوحِ
يا روحي ..
يا وشمَ الحب على صدري
يا أعمقَ نبضٍ في شعري

يا تعويذة خطواتي في الدرب المسدود
سأعود إلى حضنك
أبني عليَّه
أتزوَّجُ .. أنجب ذريّه
وأخفف من حزنك
الولد المفقود
يا أمي .. سيعود
لكني .. لن أرجع وحدي يا يمَّه .. ..
لَن أرجع ما دام لـَداتي ، أشباحاً في ظُلمه
لن أرجع ما دام لـَداتي ، آثاراً في بِيد
ماذا سأقول إذا سألتني أمُّ أمينٍ :
« أين أخوك » .. ..
ماذا سأقول لأُم خليلٍ ؟
ماذا سأقول ....

أحكي للعالم

أحكي للعالم .. أحكي لَهْ
عن بيتٍ كسروا قنديلَهْ
عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحريقٍ أودى بجديله
أحكي عن شاةٍ لم تحلب
عن عَجْنةِ أمٍ ما خُبِزتْ
عن سطحٍ طينيٍّ .. أعشَبْ
أحكي للعالم .. أحكي لهْ

* * *

يا بنتَ الجار المنسيّه
الدميةُ ، عندي محميّه ..
الدمية عندي . فتعالي
في باص الريح الشرقيه ..

حنـّا ؟ لا أذكر َقسَماتِكْ
لكني أشقى .. كي أذكر
في قلبي خفقةُ خطواتك
عصفورٌ .. يدرجُ .. أو يَنقـُر
كـُنـّا .. ما أجملَ ما كنا
يا بنتَ الجار .. ويا حنـّا
كـُنـّا .. فلماذا أَعيُنـُنا
صارت بالغربة مجبوله ؟
ولماذا صارت أيدينا
بحبال اللعنة مجدوله ؟
أَحكي للعالم .. أحكي َلهْ ..
أحكي للعالم ..
٥ — ٥ — ٦٨
— موسيقى الصبح .. سخيفه .
— البنٌّ قليلٌ يا ضيف

فلنشرب قهوَتنا اليومَ خفيفه .

ـ دخِّن ..

« وإليكم نشرتنا الأولى :

« صرح ليفي إشكول :

« شرع درك هرشتفلس كرشت

« الملك .. يقول :

« برش تفتر حشتر لشندبثل

« أميركا فقدت إحدى قطعِ الأسطول

هَدد مكنامارا ..

ـ إبنُ الـ..... مسطول !!.

ـ اليوم أُحرر هذا الخبرا :

أرنستوتشي غيفارا

يبني قمَرا

في أُفقٍ ما !! ..

معتاد

اليوم مثيرٌ — كالمعتاد
عدد القتلى في هايفونغ ازداد
في عدنٍ ، قتلوا ستة أولاد
ذكرى النصر على النازيَّه
ذكرى مجزرة بشريَّه
في « إسرائيل » حِداد ..
قائد أركان الجيش .. يُهدد سوريَّه ..

٧ — ٥ — ٦٧
لا شيء جديد ..
١١ — ٥ — ٦٧
ضُمّيني .
مُرّي بيدك على وجهي
أعطيني

قبلة ميلادي
ولتكن الليلة برداً وسلاما
في نار جبيني .
ضمِّيني .. في أتعسِ أعيادي
أعطيني .. قبلة ميلادي
في مأتم عامي الثامن والعشرين
لمن الدعوات ؟
لصديقٍ مات ؟.
لقريبٍ لم يسألني عن حالي من سنوات
قومي ننثر باقاتِ الزهر
في غرفة فقري
في قبري
قومي .. لنمارس رقصتنا المحبوبه
السمبا ، الباكية ، المشبوبه
قومي نشربْ

قرمي نصخب
في ضوء الشمع .. وضُمِّيني
في الضوء الشاتي
يا حبي القاتلَ سنواتي
يا مأساتي ..
ضُمِّيني .. حتى أجمل أعيادي
حتى – ميلادي ..
١٢ – ٥ – ٦٧
كل الأخبار تقول :
أنا ما خاصمتُ الله
فلماذا أدّبني بالوجع ؟
حسناً .. فاسمعني أنفخ في الصور
يا لعنةَ أيوب .. ارتفعي
يا لعنةَ أيوب .. ثوري
واسمعني أصرخ : يا أيوب ..

لا تخضع للوَجع ..
لا تَجُعِ ..

ملاحظة :

سادتي القراء .. الصفحات الباقية من مفكرة أيوب ، غارقة في « الحبر الأحمر » وتتعذر قراءتها .. فمعذرة !..

الشاعر

الذي قتل في المنفى كتب الي

ذاتَ يومٍ فاجأوني .
دفعوا أمي وأختي جانباً ،
واعتقلوني .

. . . . . .

كالتماثيل الترابيّة كانوا
بوجوهٍ فقدت ضوءَ العيونِ
يوم جاءوا فجأةً ..

واعتقلوني ..

. . . . . .

والدي كان يصلّـي
لإله الأرض ، في تربةِ حقلِ ،
حقلنا الموروث من قبلِ قرونِ
يومَ جاءوا فجأةَ ،
واعتقلوني
وبعيداً .. أخذوني .

. . . . . .

ومع العتمة في بعض السجونِ
ضفّـَروا لي الشوكَ ..
لكن .. ظلّ مرفوعاً جبيني .

. . . . . .

وعلى الأوحال والأسلاك
جرّوني ، طوالَ الليلِ

لكن ظلَّ مرفوعاً جبيني .

. . . . . .

فركوا بالرملِ والملح جراحي
وإلى ركنٍ كريهٍ ركلوني
كانت الأحذيةُ السود الهجينه
من بقايا فرق الإس. إس. ،
في بون اللعينه .

. . . . . .

كنت بستان جراح
رايةً حمراءَ .. منشورَ كفاحِ
حين صرَّ الباب في بعض السجونِ
قبل ميلادِ الصباحِ
وبلا رعشةِ هدْبٍ ..
قتلوني .

. . . . . .

قتلوني ذات يومٍ
يا أحبائيَ .. لكنْ ..
ظلَّ مرفوعاً إلى الغربِ .. جبيني ..

مزامير

« في هذه القصيدة مزج لتجربتين متماثلتين ، تمتد بينهما شقة من الزمن
« سحيقة.. ومن مصادفات التاريخ: أن ميدان التجربتين كان واحداً..
« هو بقعتنا هـــذه من الكرة الأرضية !.. ومن مفارقات التاريخ أن
« الظالم آنذاك هو المظلوم في عصرنا (!!) ، وأن المظلوم آنذاك هو
« الظالم في عصرنا .. وتعميقاً لمرارة المفارقة ، أدخل الشاعر في جزء
« كبير من القصيدة ، تعابير وصوراً توراتية ، من المزامير ، ومن سفر
« إشعياء بالذات !..

مجلة الجديد — حيفا — ٥ — ٦ — ٦٧

مزمور الجنرالات

إسمعوا يا آل إسرائيل صوت الأنبياءْ
واسمعوا يا آل هارون النداءْ
نُصدر الأمر لكل الملحدين الأشقياء
ولكلّ الطيبين الأتقياء :
إعبدوا أصنام واشنطنَ ، قوموا واعبدوها :
خالطوا أوثانَ بونّ القاتلهْ
واجعلوا أبناءكم قربان آي. بي. سي.
وفي القلب احفظوها
باسمها .. دكّوا البيوت الآهله
وأريقوا تحت رجليها الدماء
وعلى أقدام كنعان اسجدوا ، يا آل يا هودا ،
ولا بأس إذا صارت مغانيكم ، صحاري قاحله !
هَلـّلـُويا .. هللويا !

. . . .

مزمور بقايا الفلسطينيين

من هنـــا
من مطـْهرِ الأحزان في ليل الجريمه .
أيها العالم ، تدعوك العصافير اليتيمه .
من هنا من غزّة الموت ،
ومن جينين ، والقدسِ القديمه ..

أيها العالم ندعوك

فرد الغاز ، والنابالم ، والأيدي الأثيمه !

هللويا ..

. . . .

ذات يومٍ
كان في غزة صبر وحنينْ
وفُلولٌ من أُناس طيبين
ذات يومٍ ، كان موال حزين
يشعل النكبة في كل خيام اللاجئين

ذات يومٍ ،
كان في القدس صغار ينشدون :
راجعون .. راجعون .. راجعون !
هللويا

. . . .

كان في القرميد أعشاشٌ ، وفي الأفقِ سنونو
كان في المنفى قلوب وعيونُ
تحت لفح الشمس .. تحت الريحِ ..
كانت تتمنّى ،
« يا إله المجد ! جُرِّبنا طويلا ..
فأعِدنا .. »
هللويا .. هللويا

. . . .

كان يا ما كان ،
وانقضّت نسورٌ معدنيه

لم تكن حاملةً من آل صهيونَ – إلى صهيونَ –
أَفواجَ البقيه .
لم تكن حاملة لحائط المبكى .. مزامير تقيه .
يا إله المجد .. ماذا حمِّلتْ . ؟
ناراً .. وغازاً .. ودخانا
وبجاعات .. وصلباناً .. ويتماً .. وهوانا !!
يا إله المجد فاسمع
صوت شعب – يتفجّع
يا إله المجد .. يكفينا قروناً ما حملنا
نحنُ جرْبنا طويلا .. – كيف لا تقنعُ ؟ –
جُرْبنا طويلاً .. فأعدنا ..
هللويا .. هللويا .. هللويا ..

مزمور أطفال العالم

يا إله الأنتقام !
يا إله الأنتقام اظهر .. وردَّ الُخيلاء !

رد من يذبح في القدس اليتامى
والثكالى والايامى ..
رد من يظلم ميراثكَ
من يصلب في القدس السلاما
كيف لا يسمع من كوّنَ سمعا للبشر ؟
كيف لا يبصر ، من سوّى البصر
يا إله الأنتقام
هللـــويا
شق للفاسق حفره
رد للماكر مكره !

مزمور احفاد أشعياء

نحن أحفاد إشعياءَ ،
نناديه ،
ننادي وجهه السمح الهلاميّ ،
الذي يرتج ، من خلف الدموع القانيه !

نحن أحفاد إشعياء نناديه .. غضاباً مجهشينْ :
يا إشعياءُ الذي أغفى قروناً وقرون !
كيف صارت هذه القرية .. صارت زانيه ؟!
زغَلاً فضّتُها صارت ،
على أيدي الطغاة الأغبياءْ
كيف يقضون بعسفٍ لليتيم ؟
كيف لا تُبلِغهم دعوى الأراملْ ؟
يا إشعياءُ المناضل
هللويا

. . . . . .

رسل السلم هنا يبكون حقداً ومرارهْ
بعد أن حزَّ رؤوسَ الآمنين
أدعياءُ الحق .. أعداءُ الحضاره .
يا إشعياء الحزين .
فانهض اليومَ وصحْ في قريةٍ

تهوي على سفح المهالكْ :
« بعد سبعين ، رعاكِ الله يا هذي ،
« فَلِمَ عُدتِ إلى الأجرةِ ،
« تَزنينَ مع التجّارِ ، من كلِّ الممالك ؟

. . . . . .

إنهضِ اليوم ، وصحْ في تل أبيبْ :
« الفَ ويلٍ للذي لا يطلب الربَّ
« ويمضي نحو مصرٍ
« حاملاً للشرقِ أعواد الصليب .
يا إشعياء الحبيب .
ذاك وحي جاء من تيماء ، من أرض العرب :
احملو الماء ولاقوا اللاجئينْ
أيها الناس :
ووافوا الهارب الجائع أياماً بخبزه ..
ضمّدوا للمرة الأخرى جراح النازحين

من أمَام السيف وَلـّوا هاربين
ومن القوس الذي شدته للحرب أكف المجرمين

. . . .

يا إشعياءَ الشجاع
إنهض اليوم لكي يلعب أطفال فلسطين
ولا يخشونَ أنياب الصلال
ولكي يأمن حملانٌ ، بآجامِ السباع .

. . . .

هللويا ..

. . . .

ثمَّ يُقضى في الأممْ
دون أن يُزهق حق
دون أن يُكتم فمْ

. . . .

يا إشعياء المناضل .

ثم تغدو سككاً كل السيوف
ورماحُ القومِ تنصبُ مناجل
ثم لا ترفعُ سيفاً أُمةٌ كيما تقاتل .
وصغار القوم لا يدرون ما الحرب وما سفك الدماء
وسيحلو ليهودا وفلسطين الغناء :
هللويا .. هللويا ..
يا إله المجد حاربنا طويلاً وذُبحنا .. وذَبحنا
وسفحنا دمنا ، دهراً ، سفحنا
يا إله المجد .
حُربنا طويلاً .. واسترحنا ...
هللويا .. هللويا .. هللويا ..

الطفل الذي ضحك لأمه المقتولة

َحبَا في ساحةِ الدارِ ..
وكركرَ حين فاَجأها
ِجوارَ السور مطروحه .
وفاَجأ ِبضعَ أزهارِ ،
مبعثرةً على صدرٍ
جميـع عراه مفتوحه
تصيحُ :

« تعال يا ولدي ..
تعال ارضعْ .
فخفَّ لها على أربــع
وغرَّد ثغرُهُ : « أمَّاه »
وكركر ، حين لم تسمع ..
وَشدَّ رداءَها ،
ورُؤاهُ .. دغدغةٌ وأرجوحه ـ
وردَّدَ عاتباً أمَّ .... ـــا .

* * *

وظلت في جوار السور مطروحه
وظلت بضعُ أزهارِ
تنِزُّ دمــاً
على صدرٍ جميــعُ عراهُ مفتوحه
تصيح : « تعال يا ولدي » ..

الموت يشتهيني فتيا

تعبرُ الريحُ جبيني
والقطارْ
يعبر الدار ، فينهار جدار
بعده يهوي جدار
وجدارٌ بعده يهوي ،
وينهار جدار ..

* * *

تعبر الريحُ جبيني
ويميدُ البيت بالضجةِ ..
آهٍ — أنقذيني .
انني أسقط يا أمي .
تعالي .. أنقذيني .
إنني أغرق في قاع المحيط
وكلاب البحر من حولي
ومن حولي يدور الأخطبوط
وأنا أعلم أن الموت
يا أمي
فتياً يشتهيني .
فتعالي .. واشتريني ..
انقذيني ،
أنقذيني !! ..

زنابق لمزهرية فيروز

– من أين يا صديقه
حملت المزهريه
والنظرةَ الشقيّه
* من القدس العتيقه .
– ومن ترى رأيتِ
في عَتْمَةِ القناطر
من شعبنا المهاجر
وما ترى سمعتِ ؟

* رأيتُ بنتَ عمِّك .
في طاقةٍ حزينه
تبوح للمدينه
بهمِّها وهمك .
رأيتُ في الشوارعْ
ليلاً من العيونْ
واخوةً يبكونْ
وألفَ طفلٍ ضائع .
رأيتُ سائحينْ
وبائعاً يصيح :
من يشتري المسيح
بجفنتي طحينْ
رأيتُ في المداخن
عصفورةً جريحهْ
وطفلةً كسيحه
تبكي على المآذن .

ومرة سمعتُ
مغنياً مهاجر
يصيحُ : يا ضمائر
أضعتِ يومَ ضعت ؟
هناك يا ابن عمي
حملتُ المزهريه
والنظرة الشقيّه
وقصةً عن أمي
عن أُمي الضحيّه
– لديّ يا صديقه
زنابق حمراء
ألوانها دمــاء
من القدس العتيقه
١) زنبقة حزينه
من دمّ بنت عمّ
وجدتها مذبوحه

في طاقةٍ مفتوحه
تصيح بالمدينه :
قولي لإبن عمي !!

٢) زنبقةٌ بريئه
من مقلةٍ مفقوءه
لكنها تنادي .
أراكِ يا بلادي !

٣) زنبقةٌ ريّانه
من طفلةٍ محروقه
تصيح : يا خليقه
مهلاً ! أنا عطشانه !

٤) زنبقةٌ شريتها
من بائعٍ مجندلِ
على سياج منزلِ
لكنني .. ما بعتُها !

اليك يا صديقه
زنابقي الحمراء
زنابقي الدماء
كي تكملَ الهديَّه
وردٌ .. ومزهريَّه
من القدس العتيقه !!

ثورة مغني الربابة

غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابة ، ألفَ عام !
مذ أسرَجتْ َفرَسي قريشُ ،
وقال قائدنا الهمام :
اليومَ يومُكمو ! فقوموا واتبعوني ،
أيها العرب الكرام
اليومَ يومُكمو ..
وصاح : الى الأمام .. الى الأمام !

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الربابةِ ، ألف َعام
منذقيل : باسم اللهِ والقرآنِ ،
فامتشقوا الحسام !
ولكزت في َشغَفٍ جوادي ،
وانطلقتُ .. لألفِ عام !
عمرت في شيراز قصراً
وابتنيتُ بأصبهان
ردهات معرفةٍ ،
وعدتُ إلى الحجاز بطيلسان
وعلى دمشق رفعتُ راياتِ النهارِ ، مع الأذان
وجعلت حاضرة الكنانه
في تاج مولانا المعزّ ، جعلتُها أغلى ُجمانه
وبنيتُ باسم الله – قرطاجنّةَ العربِ العظيمه
وتلوتُ فاتحتي ، على أنقاض أُوروبا القديمه
وبنيت جامعةً ، ومكتبةً ، ونسّقتُ الحدائق

وهتفت :
يا أحفاد طارق .
كونوا المنائر .. واغسلوا أجفان اوروبا البهيمه .

* * *

غنيتُ مرتجلاً ، وكان الشرقُ يحذر الارتجال
كانت أصَابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال
وأنا أغـني ..
وهو يبحث في كهوف الكيمياء
وأنا أغـني ..
وهو يرصد بانفعالٍ واشتهاء
نجماً يحومُ على المساء .
كانت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال ..
وسنابكُ الخيل الأصيله .
تطوي المسافات الطويله
وتطال شيئاً لا يطال
وأنا أُغني للبطوله

وأشدُّ من همم الرجال

* * *

للشرقِ .. للشرقِ الهُمام
غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابة ألفَ عام .
للزحف .. للمُدنِ الجديدةِ .. للحدائقِ .. للسلامْ
غنيتُ في ظلِّ المآذن
للمُقلعين وللسفائن
لقَوافل التجار ، والجند البواسلِ ، والمواسمْ ..
غنيت – آهٍ – للصبايا
للسنابلِ .. للحمائم .
غنيت أمجادَ الخليفةِ ، والفتوحات السعيده
غنيت للتُّرعِ الفتيةِ .. للنوافير الرخام ..
لروائــع الدنيا الجديده .
غنيت مرتجلاً على هذي الربابةِ ألفَ عامْ

* * *

يا أمتي .
وسُلبتِ – يوماً ما – جوادَكِ والحسام ،
وُطرحتِ – يا ُذلّي – ُطرحت
وغابَ وجهكِ في الرغام ..
وغدوتِ – يا ذلّي – حطام .
في ُرسغِكِ الأغلالُ ناهشة ، وفي فمك اللجام ..

* * *

يا أمتي .
وقعدتُ مفجوعاً على أعتاب دارك
أبكي وآكلُ من ُغبارك
يا أُمتي .
وجمعتُ حولي ما تكاثر من صِغارك
أحكي لهم ، عن مجدكِ الماضي ، وأُغريهم بثارِك !
يا أُمتي !
َعددتُ أجيالاً على هذه الربابه

كرَّرت أمجادَ الرسول ، وكلَّ أمجادِ الصحابه
كرَّرت ُعقبةَ – ألفَ مره !
كرَّرتُ طارقَ – ألف مره !
ووضعتُ من عندي الكثيرَ ،
كذبتُ في أسفٍ وحسره ..

* * *

« بغداد يا بلد الرشيد »
ماذا تبقّى منكِ ، لم أنزفهُ للوتر البليد ؟
ماذا تبقّى يا طليطلةُ الشقيَّةُ ، من كلام ؟
ماذا تبقى .. يا كنانةُ .. يا شآم ؟
ماذ تبقى للصباح ..
ودمي تخثَّر في شراييني : ووجهي ُمستباح ؟!

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الربابة ألف عام ،
وأعدتُ مفجوعاً ، على هذي الربابة ، ألفَ عام ،

مذ طار من يدكِ الحسام
وسقطتِ عن سرجِ الرياح ، وغاصَ وجهكِ في الرغام !
أطفالُنا َملّوا البطولات المكررة القديمه
سئموا سروجاً كالحاتٍ ،
صار فارسُها الغبار !
عافوا سيوفاً لاكها الزنجار ، والذكرى السقيمه !
كرهوا الرماحَ المشرعاتِ على الجدار !
أطفالُنا يبكون ، لو فهموا الإذاعات الكثيره
والثرثرات عن المشاريـع الكبيرة والصغيره
أطفالُنا يبكون ، لو فهموا « الأحاديثَ المهمَّه »
في مجلس الوزراء ، والخُطب المثيره
وتشاُورَ السفراءِ .. إعداداً .. لمؤتمراتِ قِمَّه !
يا أُمتي !
ماذا لديكِ ؟ تكلمي ! ما أنت أمَّه ؟
عودي ! فقد تعب اللسانُ ، وماتَ ُقراءُ الجريده

عودي ! مغنيكِ القديمُ ، يود تبديل القصيده
يا أمتيَ .. قومي امنحي هذه الربابه
غيرَ البراعةِ في الخطابه
لحناً جديداً ..
وامنحي الأجيال .. أمجاداً جديده !

أغنية مشوه حرب

سيداتي ، آنساتي ، سادتي !
سأغني أُغنيه
واغفروا لي .. كلماتي مُزريه ،
وعلى جدران صوتي ،
لم يزل رَجْعُ انفجارٍ فائتٍ
غير أني سأغني الأغنيه
باذلاً فيها قصارى طاقتي

فأعيروني َ – أُذناً مُصغيه !
سيداتي ، آنساتي ، سادتي ،
وطني بستان لوز ٍ وأجاص ٍ وعِنَب ْ
وأبي كان الملكْ ..
ولأمي الملكه ،
سلطةُ التنظيفِ والطبخ ، وتكديس الحطب
وأنا ، كنت وليّ العهد .. أرعى المملكه
أطردُ الوحش ، وأغزو الحشراتِ المُهلكه
مرت الأعوام ، مرت ..
ثم كان
أن أتتنا ذاتَ يوم ٍ قبَّعه
تحتها عينان ، من فحم ٍ وملح ٍ ودخان
ومع القبَّعةِ السوداء ، جاءتنا رساله !! ..
زلزلتْ أمي ، فأهوت ، كومةً ممتقعه
وأحالت والدي الشيخ .. حثاله !

سيداتي ثم كان ،
أنني أصبحتُ جندياً جبان
أكرهُ الرشاش ، والزحفَ ، ولو قالوا .. مقدس !
فأنا أفهم ، أن اللوز ، إن يُهْمَلْ .. تيبّس .
وأنا أفهم ، أن الحشرات
سوف تغزو وطني المتروك ،
تغزو بالمئات ..
وتخليه جذوعاً نَخراتْ .
آنساتي ، ثم كان
أن نار الجبهةِ اشتدت ، وغطّانا الدخان
ثم مرّت لحظات
سادت الموقفَ فيها الطائرات
وتساقطنا .. تساقطنا .. خفافاً كالذباب
ثم أحسستُ بوخزٍ في عظامي

والانحلالِ ، ودوارٍ ، و .. ضباب .
سادتي ، لم أدرِكم مرَّ من الوقت عليَّ
وتحسست المكان
غير أني لم أجد – آه يديّ
ثم نُبِّئتُ .. بأني
في سبيل الله ،
ضاعت ساقيَ اليمنى ، وعيني
وأبي أستشهد – أيضاً في سبيل الله –
لكنّ الحكومه
أدخلت أمِّيَ مستشفى المجاذيب ،
الذي شِيدَ لتكريمِ الأمومه .

* * *

سيداتي .. آنساتي .. سادتي
لست فنَّاناً عريقاً في الغناء

غير أني ، باذلٌ فيه قصارى طاقتي
واعذروني ،
فأنا في حاجة الأجرِ ،
من أجل طعامي ودوائي ..

مغني الربابة على سطح من الطين

على سطحٍ من الطينِ
تئنُّ ربابةُ المأساةِ ، في كفينِ من حجرِ
فتسقطُ أَدمعُ القمرِ
ويصعد صوتُ محزونِ
ينادي الإخوةَ الغيَّاب ، في دنيا بلا خَبَرِ
يناديهم ، مع اللحن الفلسطيني :

* * *

« طلع العِشِبْ عَسْطوحكو .. ويبس العشب
« يللي عحدّ الأرض مَرمِيّين
« يا ريت تيجو تطلطلوا عالتين
« وتـْجبّرو المشحّره .. قلام العِنَبْ
« يا ريت تيجو ، ترشقو لِبْيُوت
« وتـْصلـّحوا لِبْواب والسدّه
« وتنشلوا حفنة ميّ للورده
« وِتـْمشطو عنها وراق التوتْ

* * *

« رُدّي .. ولكْ يا بنت جارتنا
« صَرْلي سنينْ ، وكِبرِت الغابه
« وكِبرِت معها ، ووالدي خَتـْيَرْ
« وكل ما بحِسّ بكرجة الطابه
« برجعْ طِفِلْ .. وبلادنا بْتزغـَرْ !

* * *

« يا ناس ! بردت دلة القهوه
« ومعزب الرحمن واقف للسلام
« بدُّو يزغرتْ عش عالسروه
« ويصيحْ .. طلـُّوا يا هلا !.. برج الحمام !

* * *

غِناؤكَ يا غريبَ الأهلِ !
طالَ ، وطالت الأيام !
وأورقت الرّبابةُ في يديكَ
وشاخت الأنغام
فهل ستظل طولَ العمر محروماً تناديني
مع اللحن الفلسطيني ؟
وهل ستظل طول العمر ،
تشحذ عودةً هرمتْ
على سطحٍ من الطين ؟!

اناديـ الموتـ

يجثمُ الحزنُ على قلبي .. كدوريٍّ مريض
كيمامه
روّحتْ من سَفَرٍ مُضنٍ ، على الأفقِ العريض
كغمامه
قعدت تبكي ، على بابِ المساء
يجثم الحزنُ على قلبي .. ويُغري بالبكاء
غير أن الشمس .. والبركان .. والقتلى

على شطآنِ أنهارِ الدماء ،
أبداً تجذب وجهي بالنداءاتِ الخفيه
لمكانٍ خلف أسوارِ الشقاء
إرمي ذات العِماد !!
إرمي .. أمنحُها من كل قلبي للعباد
ثم أنهارُ قريراً ، عبرَ وديانِ الرماد
لتُعفّيني .. كما شاءت ،
حماقاتُ الرياحِ الهمجيه .
فأنا يا أمَّ أطفالي الشقيّه
أنا لا أنكر مأساتي الطويله
أنا لا أبني سياجاً ، حول أحلامي القتيله
إنني أرفع وجهي للرياح
أتحدّاها .. وأعطي في الصباح
للمساكين ، تراتيلي القليله
أنا لا أنكر مأساتي ، ولا أخفي عذابي

إنني أنزِفُ تاريخي ، على ظفرٍ ونابِ
فاغفري لي ،
إغفري لي غِلظةَ البركان .. لو ناديت موتي
طال َصلبي ..
وعلى جرعة ُسمٍّ
ينهبُ الأعداءُ لحمي
والأحباءُ .. تقاطيعي وصوتي !!

القديسات الخمس

باختصار ..
يوَمها كنـّا رجالاً أربعه
من صِغارِ الأنبياء
معنا خمس صبايا
حسناً – خمسُ نساء
حسناً – خمسُ بغايا !

* * *

كانت الليلهُ زخّاتِ مطر
وَبُروقاً ورعوداً مفزعه
ومناحاتِ رياحٍ وشجرْ

* * *

وعلى ضوء شموعٍ نزفت ممتقعه
كانت الرقصةُ جنّازاً ،
وإيذاناً بويلاتِ السفر !

* * *

داخ في الغرفةِ خطوُ الراقصين
وهي ، كانت تسكبُ الخمرَ
وتعطي الظامئين ..
ومع الأدمعْ ، والكُنياك ، واللحنِ الحزينْ
كانت الليلةُ تمضي
وعلى خطوتِها تمضي قرون !

* * *

ليلةٌ مرّت .
وأُخرى ، بعدها مرت
وأخرى ..
وأفقنا ذات فجر ،
أيقظتنا خضةُ الشارع ، والناس ،
وضوضاء الرياح
أيقظتنا شاحناتُ الجندِ رتلاً إثر رتلِ
وهدير القاذفاتْ
رائحاتٍ غادياتْ
وعلى الرّيقِ ، عوت صفّارةُ الإنذارِ
في رعبٍ وذلّ
فكفرنا ،
وجرعنا كأسنا المرّ ، فَخدّرنا الجراح
ثم قلّبنا ـ على أعصابنا ـ صُحْفَ الصباح
أول الأخبار كان :

« أمس مساء ، احتشد جمهور كبير من المدعوين ، في قاعة الخالدين
« على اسم (....) في مكان ما من البلاد .. وبينما كانت الجوقة
« الموسيقية تعزف النشيد الوطني ، جرت في الجو المهيب مراسيم
« التكريس ، وأعلنت الخمس : شهيدات قديسات !

تعقيب :

حفلة التكريس كانت ممتعه

ملاحظة هامة :

لم يشاهدها الرجال الأربعه !

التعاويذ المضادة للطائرات

نحنُ في عزّ الظهيره ،

نصفُ قرص الشمس يبكي في الزقاق

والدجاجات يولولن ، على وقع البساطير الكبيره

وأبي يحشو رصاصاتٍ غبيه

في بقايا بندقيه

بين إلحاحِ نداءات الرفاق :

« راحت البروةُ (*) .. يا ويلي على تلك الشقيه
وعلى اللّيات .. يشد الخناق .

. . . .

كنتُ طفلاً آنذاك
كنت أمتص حليب التاسعه
وحليب الفاجعه
كنتُ جدياً حالمَ العينين ،
من حوَلي آلاف الشِباك
يوم قالت ليَ أمي بارتباك :
« هذه الليلة لا تخلع ثيابك »

(*) البروة هي قرية الشاعر محمود درويش صديق سميح القاسم الأثير.. تلك التي أمحت من على وجـــه الأرض في عداد المئات من القرى العربية الفلسطينية الأخرى بعد فترة وجيزة من قيـــام دولة العدو في فلسطين ، عام ١٩٤٨ .

« ساعةَ النوم »
« ولا تخلع حذاءك !
لم أكن أفهمُ ما تعنيه بالضبطِ »
ولكني بكيتُ !

. . . . . .

نحن في ساعات تهويم المساء
نصفُ قرصِ القمرِ المغدور ، يبكي في الزقاق
لم يعد بعدُ أبي ، والشائعات ،
عن خيانات القياده
واندفاع الجيش .. لكن للوراء
دفعتنا للبكاء !

. . . . . .

عسكر « الإنقاذ » خرفانٌ تولّي للشمال
عسكر « الإنقاذ » يُلقون البنادق
في الخنادق ..

وعلى الوحل ،
يزتون النياشينَ وشاراتِ القتال
عسكر « الإنقاذ » .. يا عارَ الرجال !
أقبل الفاتحُ يا أبناءَ رامه (*)
أقبل الفاتحُ يا ناسُ ،
فلوذوا بالسلامه ..
ما الذي تجديكمُ الآن أناشيدُ الكرامه ؟
صوّبوا كل التعاويذِ بوجهِ الطائرات !
ألـبّوا الله عليها ،
واقذفوها بالوصايا العشرِ ،
والجفرِ
وآيات السماء البيّنات

. . . . . .

(*) الرامة هي قرية الشاعر سميح القاسم ، وتقع في قضاء عكا .

كنتُ طفلاً ، آنذاك ..
عَلـّموني أن مجرى الأرض ، في كفِّ السماء
عَلموني أنه ، سبحانَـه ، يُحيي ويُفني ما يشاء
عَلـّموني أن أطيـع الأولياء
دون أن أسأل : من كانوا ؟
وماذا صنعوا للتعساء ؟!
علموني الدَّجلَ ، والرقصَ على الحبلِ ،
وإذلال النساء
علـَّموني السحرَ والإيمانَ بالأشباحِ
والرقيةَ والتعزيمَ ،
والخوفَ إذا جاءَ المساء !
عَلموني ما يشاؤون ، ولم يستنبئوني ما أشاء
فرَسُ الخضرِ .. كفيلٌ بي
وحسبي .. الفقهاء !!
يا أبي المهزومَ .. يا أمي الذليله !

إنني أقذفُ للشيطانِ ، ماأورثتماني ،
من تعاليم القبيله !
إنني أرفضُها تلك الطقوسَ الهمجيه
إنني اجتثّها من جذرها ،
تلك المراسيمَ الغبيَّه
إنني أبصق أحقادي وعاري
في وجوه الأولياء الصالحين
انني أركل قاذورات ذليّ وانكساري
للتكايا والدراويش ،
وأقزامِ الكراسي الناجين !

. . . . . .

إنني أصرخُ من قعر جحيمي :
يا وحولاً لصقت في نعلِ تاريخي العظيمِ
إنني أحكم بالموتِ عليكِ

فأعدي كفناً من جَلدِ أنصافِ الرجال !
وإذا شئت نقوشاً ، وصليباً ، ونجوماً ، وهلال
ووصايا وابتهال
طرّزيها بيديكِ !!

من يوميات جوني غيتار

« جوني ، شاب وهمي ، خلقته أغنية قديمــة تنشدها امرأة
« تعيسة .. ولبراعــة جوني في العزف على الغيتار ، أطلقت
« عليه المغنية العاشقــة اسم « جوني غيتار » ... وما زالت
« منذ سنوات بعيدة ، تغني لحبيبها « الذي لم يكن له شبه في
« روعة عزفه » .. وجوني ، الذي لم يخلق للحرب ، بل للحب
« والغيتــار ، جنّده الرئيس الأميركي جونسون وساقه
« إلى فيتنام ..

« وهناك ، في خط النار ، يكتب جوني يومياته .. مناجياً
« فيها حبيبته التي تحصل لقمتها من العمل في مصنع للنابالم ..
« وتنتظر عودة حبيبها جوني .. حبيبها .. جوني غيتار !!..

- ١ -

في البركةِ الدَكناءْ
حيث التماسيحُ ، وأفعى الماء
يبدأُ يا حبيبتي
دربي إلى خطيئتي ،
فهيئي لي الزادَ والثيابَ والغيتار ،
ودفترَ الأشعارْ ..

- ٢ -

أغمِس غرُتــي
في الحبر – يا حبيبتي – وأرسم الحداد
على جبيني الشمعْ
ومن خلال الدمع
أواصل الإنشادْ
لحُبِّيَ المتروكِ في مدينتي

لوَجهكِ المودّع المغمورِ بالبكاء
كزهرةِ الشتاء ..
فليرحم الرئيس !
ولترحم السماء !
وجهَكِ .. والعودة يا حبيبتي !

- ٣ -

مُنِعتُ من أن أحمل الغيتار
في َقلب خطِّ النار
وحين مدَّت َنغمةٌ ذراعها إليّ
من عالمٍ ينهار
بكى على أصابعي ارتعاش
لأن ، يا حبيبتي ، عازَفك الشقي
لا يحسن العزف على الرشاش !

- ٤ -

خنتكِ في الخيال !
لأنني عشقتُ يا حبيبتي ،
عشقتُ في الخيال
صبيةً جاءت من الشمال
لم أعرف اسمَها
لكنني بكيتُ يا حبيبتي
لأنني في ساحة القتال
كنت .. عدوّها !

- ٥ -

في ليلة الميلادْ ..
أُمرتُ ، يا حبيبتي ، بالعزفِ والإنشاد
في قاعةٍ مصدوعةِ الجدران
ترقص في أثاثها عرائسُ النيران ..

في قاعةٍ مفروشةٍ .. باللحم والرماد
وجُثثِ الأولاد ..
أُمرت يا حبيبتي !

- ٦ -

كان الصباح رائعاً .. في غابة الكمينْ
لكنّ جاري « مايك » ظلّ ساهماً حزين
ومايك .. يا حبيبتي ..
مُهرِّج وراقص طروب
ومايك .. زنجي من الجنوب ..
أمسِ ، أتى أخوه ، في كتيبةٍ جديده
وقال إن أُمَّهُ
خلَّفها في الكوخِ ، في ديترويت
أرملةً .. وحيده
وقال إنّ – آه يا حبيبتي –

أباهُ .. مزّقوه في مظاهره !!
وظلّ جاري مايك ، ظلّ ساهماً حزين ..
كان الصباحُ رائعاً ، في غابة الكمين
وبائساً صار النهار ، بائسا
في غابة الكمين ..
حين رأيت مايك يهوي ،
أحمرَ الجبين !
واشتعل السكون ..
وفجأةً أحسستُ يا حبيبتي ،
بوخزة في الصدر .. في ناحية اليسار
حيثُ حفظتُ وجهكِ المعبودَ والغيتار
وبعدُ يا حبيبتي ،
أفقتُ في حمالة الجرحى !
فهيئي الدموع والأزهار
لعلها تقول لي — إن عدت حياً —

جئتَ ؟ يا مرحى !
أو ، علّها – إن عدتُ في صندوق ،
عبَّأتِه ذات نهار عملٍ ، في مصنع النابالم
لعلها تكون لي الدموع والأزهار ..
أقارباً .. جاءوا لأخذ جثتي ،
من ساحةِ المطار .

أنا وأنت

لو حزّزوني مثلَ ليمونه
تبقينَ لي ، في الصدرِ ايقونه
تبقينَ لي ، لو نـتّفتْ جسدي
أيدٍ من الفولاذ .. مأفونه
لو نزّفوا حتى العظام دمي ،
تـبقينَ .. في الأعصابِ مخزونه
تـبقينَ لي ، لو فتتوا بدني

فأصير بعضَ غبارِ زيتونه !
وإذا ولجت رِئاتِهم نَفَساً
تضحين أطيبَ ما يشمّونَه !
بالشمس ، ضوءُ الشمسِ ملتحمٌ
عبثاً .. تشادُ حواجزٌ دونه
أنا أنت .. أنت أنا .. وكل يدٍ
بيني ، وبينك .. الف مجنونه !!

لا تطعميني

حالت على الدرب القراصِيَّه (*)
يا بنت عمي ، يا دمشقيَّه
وأنا ببابكِ جائعٌ .. وأنا
يا بنتَ عمي .. إبن منفيه
لا تسألي عنها ، فقد دُفنت

(*) يشير الشاعر في هــذه القصيدة الى الأغنية الشامية الشهيرة : « طعميتو .. طعماني .. القراصيه » .

في ظل عبهرةٍ رماديه

* * *

وأبي؟.. كفى فالجوع ينهشني
ووجوهُهم في الشوك مرميّه
لا تنكأي جرحي : فقد عبرت
أعوامه . ودِماهُ منسيَّه

* * *

لن تطعميني !.. آه يا وَجَعي !
عادت عذاباتي الجحيميّه

* * *

حسناً ، سأوقظهم ، لتطعمني
بيارةٌ في الشطِّ .. مسبيه
وأعود .. لا جوعٌ ، ولا ظمأٌ
يا بنتَ عمّي .. يا دمشقيه !

أيها الحراس أراه حياً فاقتلوني

الجواد العربي

كبيارقِ التسليم ، أيدينا تُلوِّح بالمحارمْ
كمدافع ملويّةِ الأعناقِ من ذُلِّ الهزائم
كقلوع صاريةٍ حزينهْ
تبكي ، وفي غرَفِ السفينهْ
تصطكُّ أجنحةُ النوارسِ بالهياكل والجماجم !

. . . . . .

. . . . . .

ذكريات بعيدة

من عهد نوحٍ آمنتْ بوجوهنا
من عهد نوح !
رضيت بروّاد القبائل
من عهد نوح !
رضيت بغرغرة الجلاجل
من عهد نوح !
رضيت برنات المعاول
من عهد نوح !
ألِفتْ بيوت الشعرِ
والنارَ الكريمة ، والربابه
وغداة مَرّت في مشارفها سحابه
قالت : هَبوني بيتَ صوّان وشوح !
وخذوا ينابيعاً ، وأقماراً ، ومطحنة ، وغابهْ

كبرت دوالينا ، وشاخ اللوز
والزيتون صاح : أنا الخلود .
صارت مضاربُنا مدائنْ
صارت مراعينا جنائنْ
وشتاؤنا ، صارت لياليه المُبتّخرةُ المثيره
ميدانَ راويةِ الجدودِ ، عن الجدودِ ، عن الجدود :
رحنا إلى حلبٍ مُحمّلةً قوافلُنا الطويله
عِنباً وتفّاحاً ،
وتطريزاً .. إلى البنتِ الجميله !
« يا سادتي ، وغداً نُقضّي الليل في قصص البطوله » :

* * *

والداءُ .. كان الداءُ يا أخوانُ ينخرُ في القرى ،
والجوعُ قاتل .

ذكريات قريبة

ستونَ ألفاً بين مليونٍ .. وماذا ؟

نحن أهَل السيف
مَلـْقى الضيف .. ان جار الزمان ،
يا مرحباً بك .

* * *

لا بأسَ ،
بيتُ الضيق مُتـَّسعٌ لألفٍ يا صديق
وَلدَى ابنِ عمك ، يدخل الغرباء ،
للبيت المشرّع في الطريق
زادُ الفتى العربيِّ يكفي اثنين ،
فاشبـع يا ابن عمي .. يا صديق !
– ستون ألفاً دون مليونٍ ؟ ، ..
– وماذا ؟

(قال راوية صفيق ..)

« بَدْوٌ من الصحراء ،
« أعينـُهم ثقوبٌ في الرمال

« ماذا إذا عادوا الى تمرِ الجزيرةِ
« والمضاربِ .. والعقاربِ .. والجمال
« بَدْوٌ من الصحراء ،
« قادت شهوةٌ للغزوِ أرجلَهم
« إلى وطني المعذب في الشمال .

العــار

شفتا حبيبي تقطران دماً وغِسْليناً وقارا
عينا حبيبي تزحفان وراءَ قنديلٍ توارى
رئتا حبيبي نَوْرسان
خَفَقا على شوكي .. وطارا
ويدا حبيبي بيرقانِ
مُنكّسانِ على الصحارى
يا مَن رأى شفتيْ حبيبي
يا مَن رآه يغيبُ خلفَ النهرِ .. ذلاً وانكسارا

عشرون مزموراً لشاعرِكَ المعذّبِ يا حبيبي
عشرون مزموراً ،وقـّعة على خشب الصليب
صلـّيتُ . صمتُّ .. بكيتُ ثرتُ
دعوتْ وجهكَ من سجوني
ناديتُ حراسي ، وقلت : أراه حياً ، واقتلوني ،
ثوبي تمزّق بين أنيابِ الصخور ، وجفّ حلقي
وتهرأتْ قدماي في الأشواك ، من غرب لشرق ،
ان نمت .. من تـَعَبٍ أنام
أو ُجعتُ .. فالميسورُ من ُعشبِ الجبال
حسب الفقير من الطعام
وإذا مرضتُ .. أطِيبُ من لمساتِ كفكَ في الخيال
لأعودَ أضرب في الدروب
وأُسائل الرعيان والأسرى وقطـّاع الطريق :
يا بعضَ أهلِ الله ، هل فيكم صديق ؟
ليُعِينَ هذا العاشق المذبوح .. من وطن الصليب ؟..

ابن السبيل أنا ،
ألوب على السبيل إلى حبيبي .
أسروه من عشرين عام
نزعوه مني ذات ُمعتمةٍ ، وقالوا أن أنام
قالوا أنامُ
ولم أزل سهران .. من عشرين عام
أبكي وأغضبُ في الظلام
وأصيحُ .. من وجعي أصيح :
منذا يردُّ إليَّ من منفاهُ محبوبي الجريح ؟
وأصيحُ : يا طيرَ الحمام
خبِّره أني ناذر .. لا أستريح
حتى يروِّح في سلام .

عودة الى الجواد العربي

كقطوفِ داليةٍ ُمرنحةٍ على هزج المواسم ،
كحمائمٍ بيضاء ، أيدينا تلوِّح بالمحارم ..

لجوادِنا العربي ، يصهلُ في معاركه الطويله
ويقول : يا نار الأعاجم
أفنى .. ولا يرتدُّ عرفي
أفنى .. ولكن لستُ أغدُرُ فارسي ، وأخونُ سيفي ،
أنا لم أزل في وجهكِ المجدورِ يا نار الأعاجم
شعباً يدافعُ عن حشاشَتِهِ .. وتاريخاً يقاوم !

طلب انتساب للحزب

طلب انتساب للحزب

مقدمة

طلب انتساب للحزب

استمراراً في مهمة نشر الأدب الفلسطيني بشقيه في المهجر والأرض المحتلة تبادر « دار العودة » الى اخراج هذه المجموعة للشاعر الفلسطيني الطليعي سميح القاسم .

وقد سبق أن نشر شعر « الأرض المحتلة » ، ولكن هذه القصائد بالذات لم يسبق نشرها لأنها ذات نفس ماركسي ، وكان الذين يحذفون هذه القصائد في البلاد العربية يحتجون

بأن هويتها اليسارية تسيء الى الشاعر المناضل أكثر مما تحسن اليه .

وفي الحقيقة ، فإن هذا الزعم باطل من أساسه ، لأن محاولة إخفاء الهوية السياسية لكاتب يعتبر الكلمة رصاصة ومهنة الأدب كفاحاً ، وينبض كل حرف من حروفه بموقف واضح الدلالة والرؤيا إنما هو عبث شبيه بحركة النعامة .

وإن كان لنا أن نضيف فإننا نقول أن الناشر لا ينبغي أن يتحول الى رقيب على نتاج الفنانين أمام إحساسه بأن بعض السلطات الرسمية ستتخذ موقفاً ما من نتاج الفنان .

إن الناشر والفنان ينبغي ان يقف كل منهما ضد إرادة العسف الفكري ، ضد الرقابة والحجز على ذهن المبدع ، وضد تسلط السلطة وممالأتها بشكل من الأشكال . وخاصة عندما تكون السلطة رجعية ، وعندما يكون الرقيب سليل هذا النظام الرجعي .

ونذكر – مع هذا – أن الهوية الماركسية لم تعد كفراً

سياسياً ، ولا إلحاداً قومياً ، وأن الحركات التقدمية في عـالم اليوم تستقي فكرها من الماركسية فلسفة حياة ومنهج تفكير. وتكراراً ، فـإن الزعم بأن الماركسية تسيء الى الشاعر هو زعم باطل حـتى للذين لا يؤمنون بالماركسية ، لأن الماركسية طرحت نفسها على عصرنا كله .

ولقـد ذكرنا في تقديمنا لمجموعة قصائد شيوعيون للشاعر توفيق زياد أن « دار العودة » لا تنتمي للفصيلة الحزبية التي ينتمي اليها شعراء الأرض المحتلة ولكنها تلتف مع كل المبدعين والباحثين والمثقفين حول الشعار المجيد المنادي بالحرية الفكرية الكاملة لكل الكتّاب باحثين ومبدعين .

* * *

وقصائد هـذا الديوان تنقسم الى قسمين ، نشر الشاعر سميح القاسم أولها في مجموعته « دخان البراكين » الذي طُبع في الناصرة في الأرض المحتلة ، والقسم الثاني نشره في كرّاس بعنوان « ارم » في مطبعة الاتحاد في حيفا من الأرض المحتلة .

قصائد القسم الأول النبرة الحزبية واضحة فيها ، ولكن الحزبية لم تقض على المستوى الفني الذي عرف به سميح القاسم بل أثبتت أن الفن العظيم يستطيع أن يكون ملتزماً الى أبعد الحدود دون أن يتحول الى صراخ سياسي .

وقصائد القسم الثاني قدمته « أم الفحم » تلك القرية الفلسطينية الباسلة : فعلى غلاف الطبعة الأولى كتبت هذه الجملة : « نادي النهضة بأم الفحم يقدّم سميح القاسم في ارم ».

ونود أن نذكر أن « أم الفحم » كانت وما تزال موطن الحركة الفكرية للمقاومة في فلسطين المحتلة ، ذلك أنها أكبر القرى العربية في الأرض المحتلة ، وفيها كانت البوليسية الصهيونية تمارس أكبر الضغوط لمحو الشخصية العربية وقتلها معنوياً ، وكانت وما تزال مقراً لأكبر الحكام العسكريين الاسرائيليين وأكثرهم عنفاً .

ويبدو أن اختيار اسم « أم الفحم » ووضعه على غلاف مجموعة قصائد « ارم » له دلالة قومية واضحة ، فأم الفحم هي الضمير الفلسطيني المقاوم ، وقصائد سميح القاسم من النسغ

الفلسطيني الحقيقي للضمير الفلسطيني ، واقتران اسم أم الفحم باسم سميح القاسم هـــو اقتران بين الأرض والانسان وتعبير اضافي عن أن فن الفلسطيني الملتزم هو فن الجماهير الفلسطينية.

وأبرز ما يميز قصائد المجموعتين معاً –غير النفس اليساري– هو الرؤيا القومية الشاملة ، وهي على أية حـــال رؤيا الانسان الفلسطيني الذي لم يستطع يوماً أن ينسى أنــه جزء صغير من الوطن الكبير – رغم كل ما كابده وعاناه – فالقصائـــد تغني للأسطى سيد في مصر الذي يشيد قلعة الصناعة والسد العالي، وتغني لمحمد مهـــدي الجواهري أمير الكلمة الملتزمة ، وتغني لنجيب محفوظ الذي يغرف مادة فنه من نبـع الشعب الطيب البسيط .. إنها تثبت أن الأسلاك الشائكة والجدران الصلدة لم تقطع صـلة الرحم بين فلسطيني الاحتلال وفلسطيني المهجر بين فلسطيني الاحتلال وعرب الأرض العربية كلهم .

دار العودة – بيروت

احمد سعيد محمدية

طلب انتساب للحزب

« إلى ماير فلنر .. وشيوعيين
لا أعرف أسماءهم من أسيوط واللاذقية
وفولغوغراد ومرسيليا ونيويورك
وازمير ، ومن جميع المدن والقرى
وأكواخ الصفيح والعرائش ..
المتشبثة بكوكبنا – بكرتنا
الأرضية » !.

اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراره !
لم أعد أقوى بأظفاري
على هذي الوجوه المستعاره
هرّأتْ عظم أصابيعي ، النتوء الهمجيه
في الوجوه الحجريّه ،
والأفاعي لم تزل تنسلُّ
من افواه اعداء الحضاره
من تجاويف العيون الجاهليه !

* * *

اعطني مطرقةً .. من منجم الحقد المصفى
علني أنسفُ ما ظلّ من الأصنام
نسفا !
أعطني من قلبك الملغومِ حبه
علني افتحُ مجرى
لدمٍ يصدمُ صخرا

كلما مرّ – ليلقى في الغد الآتي مصبه !

* * *

اعطني من نارِ عينيك شراره !
علّني احرقُ جيفهْ
سمّمت حقلي وآباري وريحي
وأحالت قريتي أرض خرافات مخيفه !
أعطني بعض شراره ..
علني أصبح للآتين من خلفي ..
مناره !

* * *

أيها النسر المقاتلْ
أيها الأعصارُ
يا ناهش اطنان السلاسلْ

أيها الملدوغ من جحرين مرات عديده !
اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراره
اعطني مطرقة .. لغماً .. شرار
علني أصنــع فأساً – من قصيده !

أفكار ازدحمت بدون ترتيب

المذلّـــة

ذات يوم ، شيد الأقصى
وعشى الفقراء
كل ليله
يا رفاقي ، ورأيته
ذات يوم فبكيته
كان يستعطي لدى بوابة الأقصى ،

وفي عينيه ، ادركت المذله !
قتل الثعلب في برج حمامه
سوف ارثيها ، واحمي البرج ، لكن
لست استعجل ميعاد القيامه !



القلق

قمري يخفش في الوحل ،
وفوهات البنادق ..
أعين مسعورة ، ترصده عند المفارق !



عجيبة

أنا في الأسلاك ، مشتاق الى طعم العذوبه
أنا في البركان ، مشتاق الى لمس الرطوبه
كدسوا من حولي القندول .. لكن
حرموني زهرة القندول ، في ارضي الحبيبه
فاسمعوني !
وافهموني !
انني أصنـــع في الأرض عجيبه !



لـــو

لو ان في الميدان
سيف ابي ذرٍ ،
ولو لم يغتصب عثمان
قيادة البلاد ، بالحديد والدماء
ما استأسد الثعالب الرومان !

* * *

لو هزنا ان يصنع الاعداء
... ... من حذوة الحصان
ما أصبحت حبيبتي وجهاً من الدخان
وجثة صفراء ،

يزني بها شراذم القرصان !

* * *

لو كان .. ياما كان
ما صار .. ياما صار
فافسحوا لي الدرب ،
اني قادم من خلل الدخان
من خلل الرياح والدموع والأمطار
آت انا ،
احمل في حقيبتي .. خريطة
للشمس والبركان
وصورة الإنسان !



قال وهو ينشج على صدر أمه

سألوني عن التي أنا منها
وهي مني
ربابة ومغني
عندليب وسوسنه
وكتابٌ
وبلال ومئذنه
وانطلاقٌ
من هراء البيداء ، والخيل والليل
لدنيا .. اسوارها خشعت لي
في حنين الى ولادة طفلي
سألوني .. فما عساي أقول ؟

عزيزي

عزيزي .. ايفان ألكسييفتش اكتوبر

قميصي غارق في الدم ، يا إيفان
ونصل الخنجر المسموم ، ما زالا
يحز .. يحز في لحمي
وطاووس الخيام السود والنابالم ، ما زالا
يجوب البيت مختالا
ويصبـــغ ريشه المنقوش ، في دمّي !

جبيني مثقل بالوحل ، يا إيفان
وقلبي غاب أياماً ، وراء وكالة الانباء
وعاد إليَّ محمولا مع الجرحى
على حمالة حمراء !
وراياتي التي كانت تمد الريح بالنخوه
مهللة : هلا مرحى ! هلا مرحى !
وتخفق وهي مزهوه
على نبض الملايين التربي الضوء والآلات والقمحا
غدت يا صاحبي إيفان
لقتلانا الوجدناهم .. غدت اكفان !
قميصي غارق في الدم
ووجهي مثقل بالوحل
وراياتي ممزقةٌ ..
ولكني أقول اليوم للأحزان
دعيني الآن يا أمي .. دعيني الآن

فإن يداً تشد يدي ، وتنشلني الى القمه
وتمسح عن جبيني الوحل ،
وفي حب ، وفي رحمه
تضمد جرح خاصرتي
وتغسل قلبي المطعون .. بالإيمان
وتطبـع في فمي نجمه
دعيني الآن يا أحزان
أدور على بقايا من حدائق لم تلكها النار
واجمع ضمة سلمت من الأزهار
أزينها بطابـع نجمْ
واعقد حولها شريان
وفي اكتوبر الغالي
اسلمها بريد الدمْ
ليوصلها إليك هناك .. عبر الليل والقضبان !
صغيراً كنت يا إيفان

صغيراً كنت يوم أفقت مذعورا
على صرخات أمي :
آه — مات أبوك مغدورا
وشدّتني ..
تعال إليّ يا ولدي
فخلف الباب ما زالت
ذئاب الليل .. والغربان !
وصرت معذباً بالسل
تلعق من دمي الديدان ..
ومر العام .. تلو العام ،
جبيني قطعة من شمع دير خانه الرهبان
وفي عينيّ مسرجتان مطفأتان
ولبت على رصيف الأرض ،
لبت ممزقاً عريان
وجست معاهد التبشير والأوعاظ والحكمه

ودور رعاية الأيتام
سألت العدل .. لا اللقمه !
فأنكرني مدير وكالة الغوث الخرافيه
ورد الباب في وجهي ،
وتمتم ضاغطاً فكيه :
حسبك يا ابن مسبيَّهْ !
ومر العام ، تلو العام ، تلو العام
وفي يوم من الأيام
صحوت على يد مست جبيني الجهم ، في رفق
وصوت معلم جوال
أتى من قمة الشرق
يقول : تعال يا ولدي الشقي .. تعال
فملء البيت سائبةٌ
ذئاب الليل والغربان
وأنت ميتم ..

أتضيع بين مآدب الأنذال !
وحدثني طويلاً ،
عن بلاد الثلج والأطفال
والأزهار والعمال
وعن قصر الشتاء ،
وعن صراع الجوع والأجيال
عن الفولغا ،
ونوتيين تهدر في أغانيهم ،
خطى الزحف العظيم ،
وقصف اوروا ..
وعن فرح الثكالى يوم عاد بقية الأبطال !
وفرّ الليل مبهورا ..
رفيقي – آه يا إيفان
عميقاً كان صوت معلمي الجوال
وعذباً كان

همي .. مطراً على صحراء
تشرّبه الى الأعماق
قلبي الأسود الصلصال
فأصبح وردة حمراء
وأصبح بعد عقم طال ،
جوهرة .. وكمثراةْ
وعصفوراً ، ومصباحاً على الطرقاتْ !
رفيقي – آه – يا إيفان
وصارت نكبة النكبات
جناحيْ ثورتي الحمراء ،
باسم حبيبيَ الإنسان !
بكيت على أبي المغدور في دوار قريتنا
بكيت على حديقتنا
بكيت على رفاق طفولتي ، في وحشة المنفى
تلوتُ قصائدي الأولى

على جثث الحساسينِ
ودقت قبضتي باب السماء
ولذت بالدينِ
رثيت لوائيَ المدعوك في الطين
هجوت الشوك ،
يغتال الزنابق في بساتيني
سقطت لدى مزار الضوء
أعشى ضائع الخطوه
بلا حول ولا قوه ..
دعوت الأولياء الصالحين
فردت الوديان :
إلهك كان يا هذا .. إلهك كان !
وقهقهت السفوح السود
والقمم النحاسيه :
إلهك كان .. يا طرح الأناشيد الحماسيه !

بكيتُ

هجوتُ
ناديتُ
دعوتُ
بكيتُ
صليتُ
وجاء معلمي الجوال
من الفولغا أتاني ،
من ذرى الاورال
من الهند الشقية جاءني
من مصر من لبنان
اتاني من بلاد الصين
من كوبا .. من الصومال
أتاني – آه – يا إيفان
وأورق في ضميري الرمل والصوان

وعاد إليَّ في الصوتِ
جبيني الأول العالي
وقلبي عاد .. مركبة فضائيه
تخط طريق أجيالي
وعادت ملء أجفاني المسافات الربيعيه
وغابات المداخن
والصنوبر ،
والقراصيه !
أجل عادت مع الصوت
رؤى نسلي الذي أقسمت أن يأتي
ووجه الأرض مخلوق من البدء
بصورة سفر تكوينٍ
يسمى الاشتراكيه !
وفي البدء
تعوم الارض في الضوء ..

وكيف نشاء
سنرسم صورة الافلاك والامواج والاحياء !
رفيقي – آه يا إيفان الكسييفتش
اتاني الصوت .. صوت الجد اكتوبر
أتاني طيباً .. أخضر
وقال : تعال يا ولدي الشقي .. تعال !
فملء الليل سائبة
ذئاب الليل ، والحيّات ، والغربان
وأنت مُيتم ،
أتضيع بين مآدب الانذال
ورحت ادور يا إيفان
ادور على بقايا من حدائق لم تلكها النار
واجمع ضمة سلمت من الأزهار
لأبعثها لبيت الجد اكتوبر
سلاماً يا سواعد اخوتي العمال

سلاماً يا مداخنهم
سلاماً يا منازلهم
سلاماً للجسور الشهل ،
للآلات ،
للأبراج ،
للأزهـــار ،
للأطفـــال !
لطهر حدائق العشاق
للأكواخ ، للأحراج
للمدن الزجاجيه
سلاماً للسهوب الخضر
للقطعان
للسفن ..
سلاماً يا نوارسُ
يا شواطىء

يا أغاني الليل ، ملء شوارع المدن !
أنا .. رغم الجراح النجل في بدني
وفي وطني ،
أشارك .. منشداً للعيد .. عيد العالم الأجمل
واجعل جيليَ الدامي
فدى أجيال مستقبل !
أُشارك منشداً للعيد ،
عيد الجد اكتوبر :
حبال الضوء ، يا سككي الحديديه
أكون مسافراً ، لو شئت .. الأوجِ
وارقص عارياً ، لو شئت .. في الثلج
واجذب خصر حوريه
مدللة ، طفوليه !
حبال الضوء !
يا قدري الذي أهوى

ويا رايات أسفاري البطوليه
أكون مسافراً لو شئت ، عبر مخاطر البحر
إلى الأرض الفدائيه
هنالك أنحر الآلام .. أنحرها إلى الأبد
وأستلقي .. إلى الأبد
على أعتاب أفراحي التي كانت خرافيه
حبال الضوء ، شديني إلى القمه
إلى القمه ..
إلى القمه !
إلى شفق ، جراح الأمس في جنبيه ملتمه
شموساً لا نهائيه !
تزوّد متحف الآثار ،
بالأحزان ،
والأصفاد ،
والظلمه .

ارم

ارم

تزجية

إلى الأحياء !..
الذين يدأبون على إرم الفاضلة
حباً ... وأزرا ...
وإلى الموتى !..
الذين يدأبون على بعث إرم الخاطئة ؛
شجباً وزجرا !

س . ا .

تبيين

في الأساطير أن شداد بن عاد عندما بسط سلطانـــه على الدنيا بأسرها حشد عباقرة المخططين ، فنفذوا أمره بتشييد مدينة ذهبية جدرانها مطلية بالمسك والعنبر ، ويحيط بها سور فضي مموه بالذهب ، حيث أصبحت غير مرئية من شدة وهج الضوء المنعكس عنها .

ونهضت المدينة ، مؤلفة من مئة ألف قصر .. أعمدتهـا زبرجد وياقوت ، تجري بينها أنهار حصاها من الجواهر ، وعلى

حافاتها أشجار جذوعها من الذهب ، واوراقها وثمارهـــا من اللآلىء . وأطلقت بينها شتى الطيور .. تصدح وتغرد ...

غرق أهل هذه المدينة « إرم » في نعمـــة لا توصف واستهوتهم شتى ضروب الملذات فغاصوا في الرذائـل ، ويوم أرسل لهم الله من يعظهم لعلهم يرعوون ، تنكروا لله و كفروا به ، وواصلوا ضلالهم (* فصب عليهم ربك سوط عذاب *) وصاروا مثلاً وعبرة (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد *) .

هذه هي « إرم » التي ورد ذكرها في الأساطـير ، وفي القرآن الكريم ، والتي كتب عنها وألف حولها الكثيرون من الكتاب والشعراء .. أما « إرم » التي أحلم بهـا وأكتب عنها فهي إرم جديدة .. إرم فاضلة .. تحلم بها الإنسانيـة جمعاء .. وتناضل من أجلها .. مضحية في سبيلهـا الطويل الوعر بجسام التضحيات وغواليها .. مؤمنة بأنها البديل الوحيد وواثقة بأنها البديل الأكيد للعبودية البشرية ، وفنائها الشامل.

ارم الفاضلة

البشرية : إرما .. تريد القافله ؟!

الشاعر : إرما .. على أرض جديده
إرما .. سعيده
إرما .. ولكن فاضله !

البشرية : ماذا لديك ؟!

الشاعر : لدي عن إرم قصيده !

البشرية : فلتسكتوا ..

فلتسكتوا !

وليلق شاعرنا نشيده !!

* * *

البحث عن الجنة

– عبثاً تحاول أن تنام !
قدر عليك السهد والفزع المدمر والظلام
فاهجر فراشك .. ألف صل في فراشك مستثار
ووسادك المحموم أشواك ونار !
سرب من الغربان في أعماقك الشوهاء حام
والليل حولك والعواصف والثلوج فلن تنام
عبثاً تحاول أن تنام
قدر عليك البؤس والألم المبرح والسقام

مأساتك السوداء كانت منذ قال الله : فليكن الوجود
وكان .. ثم بدا له أن يصنع الشمس اللعينة والحياة
فدارت الأجرام في الفلك المقيت ودبت الأحياء
في الآفاق سائبة يعيش ببعضها بعض .. وكنت
لتلتقي في روحك الموبوء آلام الخليقة والشقاء المر من ندم
يغلغل في كيانك كلما أوغلت
في تقليد ما سوّاك ، بالعقل المعذب والهيام
بشهوة صفراء رائعة البداية مرّة التاريخ
فاجعة الختام !
عبثاً تحاول أن تنام !!..
فاحمل عظامك وامض في الدرب الطويل
تحفك الأخطار ، جدّد رحلة الأحزان في أرض الضياع
القاحل المشؤوم ،
في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة تقطع
الأبعاد .. بالقرصان والملاح

والأطفال والشيخ العجوز وغادة عذراء
حالمة بفارسها الجميل .. وزوجة فضلى
وزانية وقديس وانسان يغامر
في سبيل الحق ، يحدجه اللصوص
ويهمسون .. ويرسمون
خططاً يطل ورائها وجه يقهقه ساخراً
عبث حياتكمو ! .. جنون !!..

* * *

سل جدك المحدودب الأعمى
وسل أبويك ، هدهما العذاب وقوّست ظهريهما
عجلات شيء وأسمه الدهر
الذي لا ينتهي !
سل كل وجه اغبر القسمات يقذفه المدى
في وجهك المكدور .. لا لوثات مجدوب
تغطيه بأكداس الهناء السمج

والفرح المزيف والصفاء الأبله !
سل كل انسان تحدر في كيانك ما تحدر
في كيانه من دم يغلي بنار الله ، بالصحو
المصفى من سلو ضل عن وجه الحقيقة!
هل تغلـّب واستكان ضميره في الوحل
في الدوامة الحمقاء فاستعلى وأفلح
أن ينام ؟!
عبثاً تحاول أن تنام !
فاحمل مصيرك وامض في الليل المولول
عبر ندف الثلج عبر الرعب والريح المخيفة
والوحوش ونكبة الكون المشنج في الظلام !
عبثاً تحاول أن تنام !
عبثاً تحاول أن تنام !! ..
ـ منذا هنالك ؟.. أي طيف في الطريق
الموحش الموحول منذا أنت يا شبحا

يقوم ويرتمي في كدرة الأسداف .. لا الأمطار
ترحمه ولا الأشواك والصخر المسنن والرياح ؟
من أنت ؟؟
ـ صنوك ضارب في الأرض
ودَّعَ أهله قبل الصباح !
ومضى وفي أعماقه الكدراء ينزف
مثل ما في قلبك الدامي وروحك من جراح !
ـ من أنت ؟؟
انسان تغرَّب في طريق الرحلة الصفراء
يزحف نحو أقصى الدرب ، نحو البقعة
السوداء في الأفق المشوَّه .. في المجال
المعتم المرهوب ، غلفه السحاب !
ـ منذا هنالك ؟؟
ـ لعنة أخرى تلوب على المدى المجهول
مطفأة العيون ، تدب في قلق مميت ،

خانق الجدران ، تسرح في جوانبه الجديبة
سائمات الظلمة النكراء ، تنهشه الأفاعي والذئاب !
وتند عنه ، جريحة الاصداء ، عاثرة التمرد ،
صرخة رعناء دامية ،
تمزقها الأعاصير الغبية ثم يلقفها ويبلعها
المدى المطمور في الدم ، في المزابل
في الخرائب ، في الضباب !!
رباه ! أين الدرب ؟! .. ثم يقهقه
اللادرب ، يسخر من فظاظة طينة بلهاء
ينخرها وباء السل والسرطان
ثم تلفها الأوحال في صمت وهيمنة ملوثة ،
وهزء ساحق الأثقال
جنده العذاب !

ويود لو يتوسد الطين المعفن كي ينام
فيضج في اسماعه المكدودة المضناة
صوت راعد : لا ! لن تنام !!

الخطيئة والوثن

– دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيّعك الرعاة !
وابكي ربيعاً مات .. مات !
وتهيأي للمسلخ المشؤوم تهدر فيه زاكية الدماء ..
من القرون الخاليات !
من يوم أنشب آدم المغدور في حواء نابأ
يغتذي من لحمه المغبون ينهل من دماه !
ويظل يؤمن أن في صلب الخطيئة هادر

ينبوع أسرار الحياة
ويهز صوت الله أركان الوجود :
– اليوم تفقد جنتي ! فاخرج يرافقك الشقاء
مدى رحيلك في يباب الأرض ..
خلفك موصد عدني ، وأمسك لن يعود !!

* * *

– دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيّعك الرعاة !
وابكي ربيعاً مات .. مات !
من يوم شاء الله أن تهوي يدا قابين ،
قاتلتين ، غائصتين في الدم ، في الحياة
ويروح يصرخ من وراء السدل
في عسف الطغاة .. الأغبياء من الطغاة
– قابين ! يا قابين ! أين مضت بهابيل خطاه ؟!
إذهب ! يرافقك الشقاء .. جزاء فعلتك الحرام !
قدر عليك السهد المبرّح والسقام

وتند عن أرض الخلود العاهره
صرخات ُبقيا اللحم والدم والعظام !
الشلو أقسم لن ينام !
الشلو أقسم .. لن ينام !! ..

* * *

ـ الرب (راع) !
ما زال يرمقه الملايين الرعاع
يتعبدون ويرفعون له الذبائح والقرابين البريئة ،
يسجدون الليل .. حتى منتهاه
ـ ماذا وراء الصمت تكتم يا إله ؟!
ويضج أعصار الحقيقة بين أغلال
تصفده بها الأوهام ، غادرة الجموح ، غبيَّة التيار
نادمة المصير !
ـ لا سر في صمت الإله !!
لا شيء غير الجوع والحرمان والطوفان ،

يجتاح القرى السوداء .. يكتسح العبيد
الضاربين بلا وجوه ، يحملون جبال صوّان
على الأكتاف ، داكنة النجيع
يحز فيها النير مذ كانت وتنهشها الضباع !
والرب (راع)
ما زال يعبده الملايين الرعاع !..
والمؤمنون الآبقون ، وجوههم للات ترنو
في خنوع أبله ، قطعانهم في الرمل تزحف
.. هاربين من الضياع إلى الضياع !!

* * *

— الليل في النزع الأخير !
ونساؤكم يبكين في صمت مرير
يبكين في جوع وحرمان ، يبوخ الطين
من زفزاتهن البكم ، يحترق الحصير
طالت سنون الجدب . والاهرام تلتهم الرجال !

خوفو يموت .. فشيدوا قبراً يعيش به الزوال !
وتهيأوا للجوع ، للأوباء ، للقمل السعيد ،
وللسياط ، تئز حانقة بأيدي الثائرين على الفناء
العائشين على الفناء ، الخالدين على الفناء !
لا كانت الأطفال ! حتى ينجب ابن الشمس
طفلا لا يموت !
هبوا فان الليل في النزع الأخير
والشمس صمت . وابنها ، خوفو المدلل
بات في النزع الأخير .

* * *

يا نمل بابل أن في مولاكمو شوقا
لأسرار السماء !
فتكدسوا قبل الصباح
ستشيدون سبيل مولاكم لأبواب السماء
بيعوا حلي زوجاتكم

جزوا غدائرهن نجدلها حبالاً أو سياطاً
أو مشانق للعصاة الأشقياء
واستسلموا للريح أن هدّت عرائشكم ،
وقصّفت الكروم الخضر ..
إن الله يرزقكم غداً من عنده الخير الكثير !
وإذا استباح الداء آلافاً من الأطفال
فاستلقوا على أعتاب برجكم العتيد ،
وعزّموا ، تحمل نساؤكم توائم ..
ان ربكمو على كلٍّ قدير !!

أبطال الراية

ـ دعهم ، فان ضلالهم قدر يرافقهم الى اليوم الأخير !
جالد إذا أفلحت ، منتزعاً خطاك من الوحول
الداميات
وعد الى فردوسك المهجور ، للجنات تجري تحتها
الأنهار ، للقصر الكبير
لليل (غوتاما) ! والأعصار (غوتاما) !
يؤول غداً بشعلك المصير

ستظل في أوهامك البيضاء (نيرفانا) ..
تظل رؤى مقدسة ، إلهاً من أثير
والله ! نحن نشاؤه بغرورنا ،
شيئاً له قسماتنا الشوهاء ترسمه أنانياتنا ..
فاهبط من الأبراج ، من شم القباب
وإذا استثير لهيبك القديس من صوت الضمير
وشقيت في ما يحمل الإنسان عن عبء العذاب
فالمس جراح الأرض في رفق ..
ودثر عريها الدامي بأسمال التراب !!

* * *

حطم وصاياك الشقيه !
واسجد مع الكفار للعجل الغبي ، فللسدى
تعطو أمانيك الغبيه
ألواحك الآجر تغري النمل والديدان
والابريز في العجل المدلل يخطف الأبصار

يقذف بالعقول الدكن في دوامة غضبى دجيه !
آنست ناراً ضوّأت سيناء ! ثم سمعت
قل .. ماذا سمعت ؟ سمعت صوت الله
يا موسى .. فبشر في البريه !
طوّف قروناً تحت جنح الليل .. في شفتيك
يهدر صوت يهوه
والمشعل القديس في كفيك ترفعه ،
تذود الدكنة الشوهاء عن كون مشوّه
وغداة يسبك كل شعب ما لديه من الحراب
الى محاريث وترعى الشاة ما بين الذئاب
ماذا يكون ؟؟ ستفتك الشاة الوديعة بالذئاب
وسيبعث الإنسان ملحمة الصراع ،
وآن تشتم المحاريث الدماء ستستحيل إلى حراب
ويزيح قايين القديم جميع أكداس التراب
يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب :

فارحم وصاياك الشقيه !
حطم وصاياك الشقيه !!

* * *

– شرف الأقانيم الثلاثة والصليب
شرف الدماء الزاكيات النازفات من الجراح ،
جراح هيكلك الخضيب
شرف الأحبوا بعضكم بعضاً ..
وهذا خبزكم جسدي وخمركمو دمي الجاري
وفي الناس المسره
والأرض يغمرها السلام .. فلا قتاد غاصب
يودي بزهره
شرف المحبة والخلاص من الخطيئه
شرف التعاليم البريئه
لم يلهم الإنسان معنى الخير ..
لم يثن الغزاة الطامعين البله عن وهم الفتوح !

ورسولك القديس بطرس ، عاد للشك القديم ..
فليس من تلميذك المعهود ،
ليس سوى مسوح
فارحم جراحك يا مسيح !
ما عدت في الإنسان غير حكاية تحكى
عن الرب الجريح !!

* * *

– حرّاء ! هل هجرت حمامتك الوديعه ؟
هل جفتك العنكبوت ؟
حرّاء ! هل دهمت قريش أمان لائذك الكريم ؟
فراح تحت سنابك الكفار
مغدوراً يموت ؟!
عادت (منى) وأبو لهب
عادا .. فما تبت وتب !
والكعبة استخذت منابرها للغو خوارج ،

لا الله يكبح من جماح ضلالهم ، لا الأنبياء
ولا الكتب !
واستشهد الأنصار .. وانهارت مدينتهم ،
وشرّعت المساجد للصوص المارقين !
و « الله أكبر » ! لكنة جوفاء
تطلقها نفايات المسوخ التافهين !
فاركب بعيرك يا محمد !
وتعال .. لي في الشمس معبد !!

* * *

– ما جئت بالتنزيل ! لم يفاجئك جبرائيل
في رهط الملائك بالنبوه !
لم تلق وجه الله ! لم تسمع من النيران دعوه !
لم تحي أمواتاً ولم تنهض كسيحاً !
لم تزل برصاً ولم تخلق نبيذاً من مياه
لم تجيء بالمعجزات الخارقات

لكن وجهك يا رسول العصر أشرق في ظلام العصر ..
أحلاماً ، وإيماناً وقوه !
وهدير صوتك هز أعماق الخليقه
فاستفاقت جذوة سجنت بأعماق الحياه
فإذا الظلام يسيح في ذعر ، ونور الفجر
يولد في العيون المطفآت
وإذا أنا الإنسان ! أجهر بالصلاة !
وإذا صغاري يشبعون ، ويدرسون ويلعبون !
ومشيئة الرحمن والأقدار
بعض من نفايات القرون !
والأرض بعد العقم أثمار وأزهار وخضره
فاسمع أغاني الثائرين
واشهد نهايات السجون
واهنأ فإنـّا بأسمك الجبار نجتاز المجره !
واهنأ فإن الشمس تشرق كل يوم ألف مره !!

هيروشيما

تبيضُّ أجنحة الغراب !
وتلف أذناباً ، من الخزي ، الكلاب !
وتلوب في فزع وفي خجل ، على أرض الرماد المر
أسراب الذباب
وتجف من رعب السؤال ... تجف حنجرة الجواب :
– من أي أعماق البشر
يتفجر الموت الزؤام على البشر ؟!

ولأي كهف ينزوي الله المعفّـر بالغبار
وبالدخان وبالشرر ؟
وبأي معراج يلوذ الأنبياء الصالحون
غداة تربد الصُّور ؟
بالحظ ؟ بالمقسوم ؟ بالمكتوب في غيب القدر ؟!

* * *

طفل بلا رِجل ، بلا عين ، ومخلوق بلا وجه ،
وأشباح من الانس المشوه تستغيث
وتقهقه الأوباء والقحط الخبيث :
ـ كل الأناث هنا عواقر
كل الرجال هنا معقمة .. فألقوا العبء
عن أكتاف محراث مسافر !
هذا الرماد المر لم ينبت سوى الورد المحجَّر
والدم المسود والريـح المسمم والخناجر !
وتصك سمع الشمس همهمة المصانع

تحت وجه الأرض حبلى بالذخائر
قلبي على العمال ! خوف الجوع .. أيديهم تصوغ الخوف
.. من أجل الصغار .. أكفهم تختط موتاً للصغار !
قلبي على الإنسان ! في قلق الدمار
يسوق أحلام الخليقة للدمار

* * *

وترف أجنحة الأعاصير الملوثة الحقوده
وتشرّع الأظفارُ والأنياب في وجه البراعم ،
غضة الأشواق ، في أحضان مشتلنا الجديد ..
وتشتهي النيران خضرتنا الجديده !
وتصدّع الآفاق جلجلة الملايين المدوية المريده :
– أيظل ؟!
– لا .. لا .. لن يظل إلهنا !
– ونظل ؟!
لا .. يا طفلنا الموعود !.. لن نبقى عبيده !!

فوراء سور العصر خلّفنا شعائره البليده !
ووراء سور العصر خلّفنا كهوف الموت
موحشة معذبة .. وفتنا الليل والأسلاك
والأنقاض والقتلى ونصب المجد
في الأرض البعيده !
واجتاز موكبنا مخاضات الدم الكبرى
إلى شطآن ... جنتنا السعيده !!

بطاقات الى ميادين المعركة

الى بول روبسن

من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي
ويرفرف في قلبي
عصفورا .. أسمر .. منفيا
من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي

يا أعمق صوت
ينهل غناؤك في قلبي
يا أقسى لافتة في الدرب
يا فاضح جور الإنسان على الإنسان
من أقصى أطراف الدنيا
« بالله خذوا أمي للبيت » (*)
« كي لا تشهد موتي ! »
وتهوم في عينيا
أشباح الكوكلوكس كلان
يلهون بصلبك في الميدان
يلهون بصلبي في الميدان
وأفيق على ضربة طبل
ويعود إلى قلبي الإيمان !!

(*) من أغاني روبسن .

إلى فيدل كاسترو

قدماً .. قدماً .. في هذا الدرب !
يا حاطم أغلال الشعب
قدماً .. يا أول شعله
في عتمة أمريكا المحتله
قدماً .. ما دامت في البيت
أشتات الأوباش الفاشست
قدماً .. الفجر وقضبان السكر
أسلحة ليست تقهر
يا غوث الجزر المنهوبه
وعزاء الأم المنكوبه
رايات القرصان

ستغوص إلى القيعان .. إلى القيعان
شوهاء .. مخضبة .. مغلوبه
باسم الحرية والإنسان
قدماً .. قدماً .. يا شعباً في كوبا
ما عاد مسيحاً مصلوبا !!

* * *

إلى جان بول سارتر

أطلقها .. ناراً .. في وجه الأعداء
أطلقها .. كلمتك الحمراء
ما دام على الدنيا باستيل
ما دامت قضبان .. وسياط .. ودماء
يا أنبل قنديل
في عتمة باريس العمياء
أطلقها .. من أعمق أعماق الإنسان
كلمتك المغروسة في وهران
في هافانا .. في هارلم .. في كل مكان
كلمتك المورقة الخضراء
أطلقها !

ما زال على الدنيا باستيل !
ما زالت قضبان وسياط ودماء !
أطلقها ! أطلقها !!
من قوس النصر المحمول
فوق رقاب الأحرار الشهداء !

* * *

إلى نجيب محفوظ

عاشوا .. لم تصحبهم كلمه
ماتوا .. لم تصحبهم كلمه
فالفصحى والأوراق المصقولة والإنشاء
والحبر الغالي والأقلام الفضيه
كانت مسبيّه
يلهو بمفاتنها النبلاء ..
والناس البسطاء
عاشوا .. لم تصحبهم كلمه
ماتوا .. لم تصحبهم كلمه
فاغرف من أعماق البئر العذراء
واسق العامل والفران وأطفال الحاره

فالناس ظماء
اكتب عن شحذ الهمه
اكتب عن أحلام الأمه
طوبى للحرف الشامخ في الليل عناره
والعار لأبراج العاج المنهاره
وسبايا النقلاء !!

* * *

إلى كريستوف غبانيا

ما زال طويل الأظفار
ما زالت عيناه تقذف حمم النار
ما زالت تحميه دجيه
في قلب الأدغال الافريقيه
في قلب الأدغال الافريقيه
ما زال يزلزلنا .. حقداً .. لا رعبا
الوحش القاتل لومومبا
ودماء الكونغو ما زالت .. في كل طريق
وصلاة الكونغو ما زالت .. والليل عميق
فارفع شعلتك المشبوبه
وأضيء للأم المحبوبه

فالدرب طويل دون ضياء

والدرب قصير ما دامت

في الموكب رايتك الحمراء

فارفعها ولتخفق أبداً

في الدرب على جثث الشهداء

الدرب قصير !

الدرب .. قصير !!

* * *

إلى ثوار فيتكونغ

أسمعها .. تهدر .. ملء دمي
أسمعها ! في الوديان ، على الغابات ، على القمم
أسمع صرخات الأحرار ، وقهقهة الرشاش
أسمع غارات الفاشست الأوباش
وأصيح .. أصيح .. بلا صوت :
« الموت لآلهة الموت » !!
وأحس بكفي تتقلص
وأغيب لبرهه
وأحس كأني أتربص
بذئاب الغزو على أرض الجبهه
وأصبُّ على الأشباح النار .. وأبكي !! :
« مَن يجرع في بارات نيويورك الوسكي ؟ »

« مَن يلقى في المقهى حلوه ؟ »
« مَن ينشد في الشارع غنوه ؟ »
« مَن يحرث في أمريكا ؟ مَن يزرع ؟ »
« من يحرث في فيتنام ويزرع ؟ »
« مَن يبقى في المصنع ؟ »
مَن يبقى ؟؟
يا آلهة الموت امّحقي في أمريكا ..
يا آلهة الموت الحمقى !!
وتجلجل ملء دمي
في الوديان .. على الغابات
غارات الفاشست الأشرار
وأصيح .. أصيح .. بملء فمي :
« الموت لآلهة الموت ! »
وصباح النصر يشع على أعينكم
يا ثوار فييتكونغ الأحرار !!

* * *

إلى اوري ديفز

في كفي دفء من كفك !
في قلبي صوتك : « إني في صفك ! »
في ذهني وجهك .. ذات لقاء
وهتافكم : « إني معكم يا اخوتي الشرفاء »
« معكم .. معكم .. في وجه الأعداء ! »
في ذهني قامتك المنتصبه
وملامحك المكتئبه
وشعار النقمه
والخيمه
والشرطي القاسي .. والسجن الأقسى
لا ! .. لن أنسى !

ولقاؤك لي خلف الأسلاك
والبسمة .. تسكبها في قلبي شفتاك
وهتافك : « لا تحزن ! لا تحزن ! يا صاحب ! »
و « أحلف أن تحكي للناس هتافك »
« إني سأواظب »
« سأواظب ! »
لا .. لن أنسى !
يا جرح الأعداء الأقسى
يا جرح الأعداء
وصديق الشرفاء
قسماً بالجرح الواحد
في ماضي شعبينا الخالد
قسماً بالشمس
معاً .. سنفك من الأسر الدامي .. الشمسا !!

* * *

الى الأسطى سيد

يا اسطى سيد !
ابن .. وشيد
شيدلي السدّ العالي
شيدلـــك
أطفيء ظمأ الغيظ الغالي
وامنحنا .. وامنح أهلك
كوباً من ماء
وخضاراً .. وزهوراً .. وضياء
يا اسطى سيد
أزف الموعد
والقرية في الصحراء العطشى تحلم

والبذرة في الثلم الصابر تحلم
فادفن أشلاء القمقم
وابن .. وشيد
يا اسطى سيد
باسم ضحايا الأهرام وباسم الأطفال
ابن السد العالي !
يا صانع حلم الأجيال !!

* * *

الى محمد مهدي الجواهري

عفواً ! يا عملاق الكلمة
إن شابت ألفاظي عجمه
عفواً فجراحي قاتلة
والظلمة ، تخنقني ، الظلمه
عفواً ! أن أقلق منفياً
منفي شاطره همه
لهفان .. يمد إليك يداً
حمراء تلوح في العتمه
ويصيح: «صباح العزة يا نسراً سيعود إلى القمه!»

يا حتف زبانيـــة لصوا
من أيدي الفقراء اللقمه
وانهاروا عِهنــاً منفوشاً
في وحل الأحقاب الجهمه
في صوتك روعـــة تاريخ
وبيـــارق نصر ملتمـه
فاقذفه على البغي شواظاً
واسكبه ضياء الأمـــه
أنا (جعفر) في أرض أخرى
يمتص فم الطاغي دمـــه
فاعـــذر أن دوت كلماتي
جشاء ، ممزقة الرحمـــه
أغريب وجهـــاً ولساناً
ويداً .. لا يهدر بالنقمه ؟!

* * *

الطريق

أبداً على هذا الطريق !!
راياتنا بصر الضرير .. وصوتنا أمل الغريق
أبداً .. جحيم عدونا .. أبداً .. نعيم للصديق
بضلوع موتانا نثير الخصب في الأرض اليبـــاب
بدمائنا نسقي جنيننا .. في التراب
ونرد حقلاً .. شاخ فيه الجذع .. في شرخ الشباب
ونصب في نبض المصانـع ..
للمربَّى .. والحقائب .. والثياب
نبض القلوب المؤمنات ..
نبض القلوب المؤمنات .. بكل أقداس الحياة !!

* * *

أبداً على هذا االطريق !
نذوي فدى أشواق سنبلة على وعد العطاء !
ونصيح من فرح غزير الدمع .. في عرس الفداء
أبداً .. على هذا الطريق !
شرف السواقي .. انها تفنى فدى النهر العميق !!
والنهر يجري دافقاً .. يجري ويكتسح السدود
وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
فهناك .. كانت ثورة كبرى .. وكانت بور سعيد
وهناك شيخ ميت .. وهناك ميلاد جديد
وهناك ناس أصدقاء
صنعوا الحياة .. ونسقوا خضر الجنائن في الجليد
وهناك منجم أنبيـاء
جلدوا القياصرة الطغاة الأغبياء
وترمدوا .. لتعيش فوق رمادهم شعل الضياء !

* * *

وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
فهناك .. في أعماق أفريقيا الجواري والعبيد
فجر .. يمر بكفه فوق الجباه الشاحبات
ويصب فيها النور والدم .. والحياة !
وهناك .. في أعماق أمريكا الجريمة والتمزق والضياع
طبل .. يدق بلا انقطاع
لدينة تشرى .. وزنجي يباع !
وهناك .. في الأفق القريب .. هناك في الأفق البعيد
ليست تتم الأرض دورتها بلا نصر جديد
فاحمل لواءك .. وامض .. في هذا الطريق ..
أبداً .. على .. هذا .. الطريق !!
شرف السواقي .. انها تفنى .. فدى النهر العميق ..

في انتظار طائر الرعد

في انتظار طائر الرعد

أصوات من مدن بعيدة

- ١ -

يا رائحين إلى حلب°
معكم حبيبي راح
ليعيد خاتمة الغضب
في جثة السفاح

يا رائحين إلى عدن
معكم حبيبي راح

ليعيد لي وجه الوطن
ونهاية الأشباح ..

يا رائحين ، وخلفكم
عينا فتى سهران
ما زال يرصد طيفكم
قمراً على أسوان ..

قلبي تفتّت ، والتقى
في روضكم .. ورده
عودوا بها .. والملتقى
في ساحة العوده !

- ٢ -

يجيئون ليلاً ، يجيئون
فاستيقظوا استيقظوا
واحرسوا القرية الخائفه

يجيئون ليلاً ،
من الغرب .. في مسرب العاصفه
أظافرهم من بقايا السلاسل
وأسنانهم من شظايا القنابل
يجيئون من عتمة الأعصر السالفه
يجيئون ، قلت ، على عربات قديمه
تئن بأثقالها الخيل .. خيل الجريمه
« يجيئون ليلاً »
فهاتوا الهراوات .. هاتوا المشاعل
« من الغرب » قلت لكم ، فافهموني
وألقوا المسابح للنار ،
ألقوا غبار القرون
وقوموا نقاتل !

- ٣ -

جعلتْني ابنها من قرون

أرضعتني البقاء
دفـّقت في عروقي الدماء
وهي شاءت فكنتُ
كما آمنتْ أن أكون
وهي شاءت . فـكان الكتاب
نعمة في يديّ
وهي شاءت .. فـكان الشتاء السخي
وانتهى العدو خلف السراب !
لحمها أم ترابي يقاوي الجراح ؟
صخرها وجذوع الشجر
أم عظامي أنا .. تحت حدّ السلاح ؟
حسناً .. لا مفرّ
انني حامل دمها المستباح
ودمي المستباح
حملتـْه .. وأنا معاً في خطر
فالكفاح .. الكفاح

- ٤ -

قومي اشهديني . صاعداً كالريح ، من كهفي الذليل
قومي اشهدي عينيّ ، مصباحين في الليل الطويل
قومي فـإني قـادم .. جيلاً على آثار جيـــل
رئتي تمجُّ غليلها الدامي ، َتباركَ من غليـــل
ويدي على الرشاش ضاغطة .. ووجهي في الدخيل
قومي اشهديني صاعـداً ، تيـار جاحمة أكول
قدمي على الأفعى ، وثغري بين أزهار الحقول
آتٍ أنا .. آتٍ .. يضيء حنين أعوام سبيلي
آتٍ لأحصد حنطتي ، وأعيـد ترتيب الفصول
آتٍ .. قفي بالباب يا أُمي ، مباركة دخولي
ترفُّ لديك العيش .. أرضى منه بالنزر القليل
وإذا ُقتلتُ لديك يا أمي .. فيا ترف القتيل

. . . . . .

قومي اشهديني نازفاً في الباب .. جذلان الوصول
أرثي دمائي منشداً : سيلي .. وصلتُ الباب سيلي !

- ٥ -

مقطوعة الضفائر
في الوحل ، يا حبيبتي ،
في الشوك ، في الحفائر
مقطوعة الوريد ، يا حبيبتي ،
مقلوعة الأظافر !
ولم يزل جبينك المناره
في عتمة الضمائر
ولم يزل صوتك يا حبيبتي
فضيحة القاتل .. بعد ليلة الخناجر ..
ولم أزل أنتظر الأشاره
لأشعل المجامر
لأنني ما زلت يا حبيبتي
أؤمن في فجيعتي
بالضوء .. بالإنسان .. بالحضاره !

- ٦ -

مَرّوا على بابي مع الليل
مَرّوا وما دقّوا
ويلي إذا لم يرجعوا ، ويلي
سيميتني الشوقُ !
مَرّوا ، وكنتُ وراء نافذتي
جرحاً على خشبه
لم يسألوا أغراب ناحيتي :
يا ناس ! من صلبه ؟

كانوا ثلاثة فتية .. قدموا
من فجر بغداد
كبروا ، وقالت أمهم لهمو
باركت أولادي !

ومضوا .. وفي أحداقهم وهجٌ
من شعلة الماضي

رصدوا به درباً لأنقاضي
ومع الدجى .. ولجوا !

. . . . . .

كانوا ثلاثة فتية ، عبروا
ليلاً على بابي
جاءوا وفي أعناقهم خبر
من عند أحبابي

عبروا .. ثلاثة فتية عبروا
وثلاث طلقات
وحطام صيحات
صاح الأول : « ويلاه ! صار عدوّنا القمرُ »
صاح الثاني : « لا تذرفي دمعاً .. سننتصرُ »
وأكمل الثالث : « في نسلنا .. في الموعد الآتي! »

مَرّوا على بابي مع الليل
مروا .. وما دقّوا
ويلي إذا لم يرجعوا .. ويلي
سيميتني الشوقُ !

- ٧ -

قفوا جميعاً .. جميعاً .. واستعيدوني
فقد خُطفتُ ... وأبواب الردى دوني
قفوا جميعاً .. فرغم النصل ، في رئتي
لا انحلَّ قلبي ، ولا جفت شراييني
دمي عليكم ، إذا ما متّ مغترباً
أقول : ناديت .. لكن لم يلبّوني

- ٨ -

وحدك الليلة للرقص ، ووحدي للهدوء
وحدك الليلة ،

غيبي في زحام الضوء والأعلام ،
حتى الفجر غيبي
وأنا .. وحدي للإيمان ، في ظلّ صليبي
صامتاً . هيأتُ جرحي للوضوء !
وحدك الليلة ،
تدعوك ميادين المدينه
آه .. تدعوك .. فقومي واستحيلي
نجمة فيها ، وميلي
كيف شاءتك زنود الراقصين
واتركيني ،
أضفر الشوك على بعض التواريخ الهجينه
وأغني للبساتين الحزينه
في زمان القحط ، موّالي الحزين !
وحدك الليلة ،
من شارع عبديثيل (عبدالله)

في زفة هورا
عبر ساحات نزار ومضر
آه ـ ساحات نزار ومضر
واغفري لي الصمت والقلب الكسيرا
انها ليلة ذكرى .. وعبر !

ملاحظة : هذه الأصوات مهداة إلى عمـــال تنظيف الشوارع في مدينة عدن .

الرعب

حين تغيب الشمس ، قالوا ، أغيب
في حجرة من وطن !
أحرم ، قالوا ، من عناق الهموم
بيني وبين القمر
يرعبهم ، أعلم ، بثّ الضجر
بيني وبين النجوم
يرعبهم لمسي جذوع الشجر !
. . . . . .

وفي مغيب الشمس ، قالوا أغيب
في حجرتي يا وطن
قالوا أكون الغريب
وأنت ملء البدن
فمن ترى يحمل عبر الزمن ،
في قلبه ، وجهك هذا الحبيب
ومن مغنّيك .. من ؟
غيري أنا .. يا وطن ؟!

البيت الأخير في القصيدة

صعدوا السلَّم ..
أسمع وقع الخطوات المشبوهه
أُبصر تحت معاطفهم
عنوان المنزل ، والفوهه
صعدوا السلَّم ..
همسوا ،
ثانيهم يتقدم

يعقف سبابته ، ينقر بابي .

. . . . . .

. . . . . .

ـ ويلك يا هذا .. عكّرتَ الصمت

ويلك .. نفّرتَ الصوره ،

عن آخر بيت !

الخفافيش

الخفافيش على نافذتي ،
تمتصّ صوتي
الخفافيش على مدخل بيتي
والخفافيش وراء الصحف ،
في بعض الزوايا
تتقصى خطواتي
والتفاتي

والخفافيش على المقعد ،
في الشارع خلفي ..
وعلى واجهة الكتب وسيقان الصبايا ،
كيف دارت نظراتي !

. . . . . .

الخفافيش على شرفة جاري
والخفافيش جهازٌ ما ، خبيء في جدار
والخفافيش على وشك انتحار

. . . . . .

انني أحفر درباً للنهار !

قصفة الفيجن

يوم يممتُ المدينه
أجهشت مغلوبة أمي الحزينه
وبلا حول ولا ،
لمت ثيابي في الحقيبه
وعلى صدري شكّت يدها
قصفة فيجن ،
يدها – آه الحبيبه !

* * *

نصف عمري مرّ ، جوّالا ، ولكن
من مدينه
لمدينه
لم أعد أذكر كم بدّلت فيها
من ثياب وحقائب
لم أعد أذكر في أرض العجائب
لم أعد .. لكنني أذكر ، أذكر
رغم أحزاني اللعينه
قصفة الفيجن .. يا أمي الحزينه
انها .. في رئتي ، ذكرى !
وفي عينيَّ .. زينه !!

١٩٦٧/٨/١٨

طائر الرعد

هذا زمان الشدّ يا زيم
هذا زمان الشدّ والارخاء
هذا زمان السدّ والتأميم
والتصنيع والرخاء
والموت بالألوف في سيناء
هذا زمان الصبر في الألم
لا بأس يا زيم
لا بأس .. اني أنشق الرياح
وطائر الرعد .. على القمم !

الى القمة

أتدحرج يا جبل الأحزان
أتدحرج مطعوناً عريان
أتدحرجُ ..
من أقسى السفح إلى القمه
وأنا .. أمّه !

القطار العائد من الصعيد

على نبضات قلبي . آه . كانت تنبض العجلات
على نبضات قلبي . آه
وقلبي كان يا أسوان : واحدة من الورشات
دواليباً وصيحات وجرّافات
وقلبي كان ،
دفقة ترعة أخرى على الغيطان
وكان قطار بعد الظهر محموما
ومهموما

وكان يغص فلاحين من شيب ومن شبان
وكان يغص بالعيّال والنسوان
وقلبي كان ، آه ، يغص بالأحزان
ويا « قطر » الصعيد سمعتُ في حيفا
زغاريد البنات ونخوة الجدعان
وفي حيفا
رأيت جبينك المشجوج يا زهران
رأيتك عند حد الغيط جسراً يا صلاح حسين
وصدرك يحمل الشاره
وبستُ زهيرة البرقوق في صدرك
وفي حيفا
حلفتُ بغابة الحلفاء
والميثاق والانسان :
حرام أن تنام العين عن ثأرك
ويا « قطر » الصعيد ، سمعتُ موالا

ولن أنساه

ولن أنسى الفتى الغنّـاه

« يا مسافر القاهرة سلم على الغالي

وقل له عليتْ جباهنا بسدنا العالي

وقل له ازاي تسيب يا أبو البلد بلدك

وازاي تسيبني وأنا ما كملش موالي ؟ »

وعبر نوافذ الموال

تراءت يا قطار الـكادحين حدائق الأجيال

تراءت دفقة الماويّة العذراء في الكثبان

وآلاف المداخن ، والمراكب ، والمعاهد ،

والمراعي ، والعيون السود ، والأغصان

وعبر نوافذ الموال

تراءى عالم ،

لا خوف فيه على غد الأطفال !

المجهول

عندما تهدر العاصفه
أيّ عين تراك
يا جبين الملاك
صاعداً في طريق الرؤى الراعفه ؟

تجاوز

عندما تهدر العاصفه
وأنا عبرها بيرقٌ
في يد المارد
أغلق الباب في وجه أوجاعك السالفه
أغلق الباب يا والدي
واغفري كل ما كان يا أم
واستبدلي الأمس بالعاطفه

تناسخ

وُلدتُ في اليونان
وهاجرتْ بي أسرتي ، من صولة الطغيان
ليلاً إلى الهند ،
وألقت رحلها عامين في السودان
وكان يا ما كان
أن ساقها الجوع إلى إيران
ويوم أن كبرتْ

زوّجني أبي ،
راعية شقراء من لبنان
وختنتُها في الصين
وبعتُها بجفنة من مال
للحاكم المندوب عن صاحبة الجلاله
في مصر والصومال
حاربتُ في البلقان
قتلتُ في كوبا
قُتلتُ في المكسيك
نُفيتُ مخفوراً إلى نيبال
شربتُ في الطريق من آبار كردستان
ويوم أن ولدت من جديد
حفرت في مناجم الأورال

. . . .

واليوم أشهر السلاح

في وجه الاستعمار والعدوان
في قمم الجبال
في البحر . في الوديان . في الأدغال
. . . .
لذا ، فان بصقتْ
لفوق أو لتحت
أعلم أن بصقتي
تصيبني في لحيتي !

أبناء الحرب

في ليلة الزفاف
ساقوه للحرب ،
ومرّت .. خمسة عجاف
ويوم أن عاد على حمالة حمراء
لاقاه في الميناء
أبناؤه الثلاثه !

كلمة الصعود

من ملكوت طحالبك السوداء
يا بئراً جفت من عشرين
أصعد بالماء
باسم الأسلاف المفجوعين
والأحفاد الموعودين ..
من ملكوت طحالبك السوداء
يا قوس النصر المهدوم

أصعد في عربات الأنواء
وفمي جرس ملغوم
هل تسمع يا ملكوت الأشجار المقلوعه
ما زالت في رأسي أصداء سنابك
تصطك ببابك
يا ملكوت الأبواب المخلوعه
والجدران المصدوعه
فامنحني حتى الموت القدره
واكشف لي أسرار شبابك
ومتى حلت فيَّ الفكره
زمّلني . زملني بطحالبك السوداء
وامنحني القدرة ، حتى أصعد ..

شمس أريحا

حين تميل الشمس
مكسورة الظهر
أقول : كنا أمس
في أول الدهر !
حين تميل الشمس
يا أم أولادي
أقول : كنا أمس

في أسفل الوادي
أمي على الدرب
محلولة الشعر
تقول : يا ربي
متى تميل الشمس
مكسورة الظهر ؟

وليمة

أدور في الخرائب
الدمُّ في عينيَّ ،
والحيات في حقائبي
أنصبُ لي مائدةً مفتخره
تحت سماء قنطره
وأكتب الدعوات بالعظام
والتوقيع بالعقارب

وفي بريد الجزره
أدعو إلى وليمتي
سكان ألف مقبره !

بعدها

وُلدتُ مثل حبة الرمان
ورحتُ أنمو في الجهات الست
ويوم أغدو توأماً للكرة الأرضيه
أضيءُ بالحقيقه
وأمسح الدموع عن عينيك يا صديقه
وبعدها ،
لا بأس ان ُوجدت مقتولاً
على مقاعد الحديقه ..

نعرف القصة

في المطارات وُلدنا .
نعرف القصةَ ،
لكن .. لن نموت
في الموانيء !

نخلة الساحة

آه ، غنيتُ ، وطالت ، آه يا أمي ، الأغاني
آه . ندّيت مواويلي ،
بدمع ودماء وعرق
آه .. كيف انهار صوتي واحترق
في ثوان ؟!
نخلة الساحة نادتني مرارا
آه يا أمي ،

وقالتْ لي مرارا :

« أنا لا أعطي ثمارا

لانفعالات الأغاني ..

أنا لا أعطي – إذا ما هزّ جذعي ساعدان ! »

آه يا أمي ،

وواصلتُ الأغاني !!

طال – آه – طال يا أمي غنائي

كان مشحوناً بنار الأنبياء

كان أحيانا ،

وأحياناً .. حزيناً كالمساء !

كان – آه – كان يا أمي ، غنائي

بعضه ضحل كوجه الصيف ،

والبعض عميق كالشتاء !

فلماذا تغدر الريح انفعالات الأغاني

في ثوان

وتذرّيها .. فقاعات هواء ؟!
نخلةُ الساحة
قالت لي .. مرارا ومرارا
علمتني نخلة الساحةِ
يا أمي الحبيبه ..
أن أهزّ الآن أعماق العروبه
ان أهزّ الجذع ،
إن شئتُ ثمارا !!

أعرف من أين

وجع المزمار البلدي
قولوا .. من أين ؟
ليلي يا ليلي يا عين
آه يا ولدي !
وجع المزمار البلدي
من حلوه
فارسها غاب ،

ومن يومين
عاد جواده
والدم يسح على الصهوه
فلمن ستزغرد مزهوه ..
وتصب القهوه ؟
يا بيتاً مال عماده
يا قمراً ينشج في شُرفه
ويضيء وجوه الأطفال ،
جثث الأطفال المرمية في أرض الغرفه
ويعيد الموال
عن نسر فقأت عينيه
قبّرة مسمومه !
أعرف من أين ،
وجع المزمار البلدي
يا قصراً مهجورا

ترقص في ردهته البومه
يا شاعر شعب ، في شفتيه
مرثاة ملغومه
يا شبريات تقطع في رئتين
يا سرطاناً ينهش في كبد
أعرف من أين ،
وجع المزمار البلدي
أعرف .. أعرف !

أنا وأنت

زنبقتان في الثلوج ..
وجمرتان في الرماد ..
ونورسان يحلمان بالخليج ،
أنا وأنت .. يا حبيبتي !

* * *

وبعد ساعة من الزمان
ستفرغ الشمس من الرقاد

وتهدر الثلوج
جارفة زنبقتين . للمروج !

* * *

وبعد ساعة من الزمان ،
ستفرغ الريح من الرقاد
وتجرف الرماد
والجمرتان .. تصبحان نجمتين ،
لا تسأليني : كيف ؟ – يا حبيبتي – وأين ؟
وبعد ساعة من الزمان ،
يموت في السفائن الضجيج
والنورسان .. يمضيان ، يمضيان ..
ويحلمان .. يحلمان بالخليج !!

برلين تستعيد شعرها

بالصمت يا برلين أعلن حبنا ،
أم بالبكاء !
وأنا أقبل كفك التعبى ،
وأركع في خشوع
لجلال تمثال ،
تكاد تسح من شطآن عينيه الدموع
تمثال أمٍّ ودعت أبناءها قبل الصباح

ومضوا ،
وما عادوا ..
وعاد الليل مكسور الجناح
بالصمت يا برلين أعلن حبنا
أم بالبكاء
وأنا أداعب شعر طفل
ضاحك في ظل ورده
وأرد في لغتي ،
أرد على المودة بالموده
للعابرين من الظلام إلى الضياء
وألمّ أزهار الغناء
من مصنع
وصمود جنديّ
وعاملة
وساحه ..

بالصمت أعلن حبنا أم بالبكاء
ويدي تمرّ على جدارٍ
شاب من أهوال أمس
وثقوبه المعشوشبات
احداق من سقطوا ،
وليل الرايخ يخنق كل شمس !

. . . . . .

خلي لنا جسراً ،
تهدم ظهره تحت القنابل
ودعي التماثيل التي انكسرت
وأنقاض المنازل
برلين ! خليها على طلل الجريمةِ
لافتات
لتشير الأجيال : مرّوا ها هنا ،
من ليل هتلر

لصباح تالمان ..
من هنا مرّوا ،
على جسر مدمَّر

. . . .

أني لألمحهم .. هناك !
في بون ، ألمحهم .. هناك !
ايتام هتلرَ
ينسجون الوهم
والثوب المقلَّم .. والشباك
اني لأبصرهم يزيحون التراب
عن جثة الوحش الممزق
بالأظافر والحراب
كي ينفخوا فيها الحياة
وأصيح : « مات الوحش مات ! »
وتشق قبر الموت أصوات بعيده :

يا سور برلين الجديده
في الموت ، بايعناك
سكيناً على أعناق أعداء الحياة

. . . . . .

ربّى الشيوعيون شعرك ،
طيّبوه ودللوه ،
ربّوه .. بالفرح المقدس
والمرارة ، والصمود
لا كي يجز غدائره
متحضرون برابره !
برلين !
لا لن ينسجوا من شعرك المبعوث ،
أغطية الجنود
عين الشيوعيين ساهرة
وأمسك لن يعود !

برلين !
يا أختي التي عادت إليّ من الفناء
بعد اللقاء على الدموع ،
لنا على فرح لقاء !!

تعالي لنرسم معاً قوس قزح

نازلاً كنتُ : على سلـَّم أحزان الهزيمه
نازلاً .. يمتصني موت بطيء
صارخاً في وجه أحزاني القديمه :
أحرقيني ! أحرقيني .. لأضيء !
لم أكن وحدي ،
ووحدي كنت ، في العتمة وحدي
راكعاً .. أبكي ، أصلي ، أتطهر

جبهتي قطعة شمع فوق زندي
وفمي .. ناي مكسَّر ..
كان صدري ردهةً ،
كانت ملايين مئه
سجّداً في ردهتي ..
كانت عيوناً مطفأه !
وأستوى المارق والقديس
في الجرح الجديد
وأستوى المارق والقديس
في العار الجديد
وأستوى المارق والقديس
يا أرض .. فميدي
واغفري لي ، نازلاً يمتصني الموت البطيء
واغفري لي صرختي للنار في ذل سجودي :
أحرقيني .. أحرقيني لأضيء

. . . . . .

نازلاً كنت ،
وكان الحزن مرساتي الوحيده
يوم ناديت من الشط البعيد
يوم ضمدت جبيني بقصيده
عن مزاميري وأسواق العبيد
من تكونين ؟
أأختا نسيتها
ليلة الهجرة أمي ، في السرير
ثم باعوها لريح ، حملتها
عبر باب الليل .. للمنفى الكبير ؟
من تكونين ؟
أجيبيني .. أجيبي !
أي أخت ، بين آلاف السبايا
عرفت وجهي ، ونادت : يا حبيبي !
فتلقتها يدايا ؟

أغمضي عينيك من عار الهزيمه
أغمضي عينيك .. وابكي ، واحضنيني
ودعيني أشرب الدمع .. دعيني
يبَّست حنجرتي ريح الهزيمه
وكأنا منذ عشرين التقينا
وكأنا ما افترقنا
وكأنا ما احترقنا
شبك الحب يديه بيدينا ..
وتحدثنا عن الغربة والسجن الكبير
عن أغانينا لفجر في الزمن
وانحسار الليل عن وجه الوطن
وتحدثنا عن الكوخ الصغير
بين أحراج الجبل ..

. . . . . .

وستأتيني بطفله

ونسميها « طلل »
وستأتيني بدوريّ وفلّه
وبديوان غزل !

. . . . . .

قلت لي – أذكر – .
من أي قرار
صوتك المشحون حزناً وغضب
قلتُ يا حبيَ ، من زحف التتار
وانكسارات العرب !
قلت لي : في أي أرض حجريه
بذرتك الريح من عشرين عام
قلتُ : في ظل دواليك السبيّه
وعلى أنقاض أبراج الحمام !
قلتُ : في صوتك نار وثنيّه
قلتُ : حتى تلد الريح الغمام

جعلوا جرحي دواة ، ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيَّه
وأغني للسلام !

. . . . . .

وبكينا
مثل طفلين غريبين ، بكينا
الحمام الزاجل الناطر في الأقفاص ، يبكي ..
والحمام الزاجل العائد في الأقفاص
. . . يبكي
ارفعي عينيك !
أحزان الهزيمه
غيمة تنثرها هبة ريح
ارفعي عينيك ، فالأمُّ الرحيمه
لم تزل تنجب ، والأفق فسيح
ارفعي عينيك ،
من عشرين عام

وأنا أرسم عينيك ، على جدران سجني
وإذا حال الظلام
بين عينيّ وعينيك ،
على جدران سجني
يتراءى وجهك المعبود
في وهمي ؛
فأبكي .. وأُغني
نحن يا غاليتي من واديين
كل واد يتبناه شبح
فتعالي .. لنحيل الشبحين
غيمة يشربها قوس قزح !

. . . . . .

وسآتيك بطفله
ونسميها « طلل »
وسآتيك بدوريّ وفلّه
وبديوان غزل !!

أعدكم بأن ترثوا جياداً نفاثة

« .. وقالوا ليقم إسماعيل وليذهب
إلى الشرق ، ويكون له بيت هنـــاك
في الصحــراء ، فليس هنـــا بيت
لاسماعيل .. » .

من قديم الزمان
أسرجوا الصافنات الجياد
وارتأوا أن يكون العنان

في مهب الرياح
وارتأوا أن يغزّوا الرماح
خلف خلف المكان
من قديم الزمان !
قيل : كانوا سُعاة ،
في بريد الإله
لم يكونوا غزاة ، ككل الغزاة ..
وأنا أيها السادة التافهون
طاهر ، طاهر من رياء القضاه
ومسوح السماء
فليقل مَن يشاء :
« انهم فاتحون
انهم غاصبون ! »
القواميس والكتب قالتْ لنا :
بنو جامعه !

والقواميس والكتب قالتْ لنا :
صنعوا رافعه !
والقواميس والكتب قالتْ لنا :
لم يذلوا جباه
فاغفروا لي إذن أيها السادة التافهون
واسمحوا لي أذن
أن أُعيد الحساب
وأُعيد الزمن
ناصعاً .. ناصعاً من قشور الغياب
« جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..
ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! »
السجلّات ، كل السجلّات
يا سادتي التافهين
زورتْ . زورتْ . زورتْ ..

من سنين !
وأنا أتهم
وأنا أنتقم
للجياد الحزينه
من تواريخكم
والصكوك الهجينه !
كان لي .. كان بيت على رابيه
كان من صخر هذي الجبال
كان من خشب السنديان
كان .. يا ناس .. كان
واقعاً رائعاً كالخيال !
فاتركوني إذن أستعيد الحساب
أؤثر الموت ، أو هدمُ هذا الجدار
عن وجوه فراخي الصغار
أؤثر الموت ، أو أغسل كل الغبار

عن يدي زوجتي الراعيه !
واتركوني أُصلي قليلاً ،
لآباء لحمي ..
لآباء وجهي وصوتي ..
لآباء كينونتي الباقيه
واتركوني أُصلي قليلاً
لزيتونة واعيه
واتركوني أُصلي قليلاً
على قدميْ داليه
وعلى ما تبقى لجيل الخيام
من ركام القرى البارده
وعلى ريشة صامده
بين انقاض برج الحمام !
« جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ؟ »

حين قيل : احذروا العاصفه
كنتُ مستسلماً للنعاس
حين قيل : انقضى كل شيءْ
لم أجد لي ملاذاً ،
سوى دمعة .. دمعة ناشفه !
وسروج الجياد الحزينه
في سلال النفايات ،
أو في حوانيت حي السياحه
من ضواحي المدينه !
حين قيل : انقضى كل شيء
كانت المئذنه
شارب الله ، تحت النعال الغريبه
ودفعتُ الضريبه !
فالممرات .. مرصودة كلها ..

والجسور التي درزتْ ضفة النهر
بالضفة الثانيه
كلها – آه – مهدومة – كلها !
والمخاضات .. ملغومة كلها !
أنقذوني من المدن الخاويه !
والقرى الخاويه !
أنقذوني . انهضوا ،
أنقذوا متعباً من عناء السفر
أنقذوني من الصور القانيه
ضمدوا جبهتي الداميه
وارفعوني إلى الشمس والريح
يا أخوتي .. أنني أحتضر !
إنني .. أختنقْ
إنني .. أحترقْ
في حطام البراويز ،

في نُتف الخارطه
ودمي سائل .. سائلٌ ..
لا تقولوا : انتحر !
أنها طعنة الظهر
في الليلة الخان فيها القمر !
مَنْ دليلي إلى قريتي النائيه ؟
مَنْ معيدي إلى بيت جدي القديم ؟
مَنْ معيدي إلى صدر أمي الرحيم ؟
صدر والدتي الغاليه !
من معيدي إليها
أغمر الوجه في راحتيها
أمسح الدمع عن مقلتيها
من معيدي إليها
آه .. والدتي الغاليه !
لم يزل وجهها .. لم يزل

شاحباً . شاحباً . خلف شباكها
لم تزل واقفه
شمعة راجفه
في أنتظار ابنها الغائب
عله يكسر الزرقة القاسيه
من مطل على الرابيه !
فيرد لها لحظةً .. لحظة صافيه
من ردى عمرها الذاهب !
من معيدي الى زوجتي الراعيه ؟
كي أعيد إليها القطيع الذي مزقته القنابل
يوم كان الجنود البواسل
قد أتموا اكتساح المعاقل
يوم أن .. لم يعد من يقاتل !!
« جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! »
أغسلوا الدمع عن وجهكم والغبار
يا فراخي الصغار
افتحوا نبعة السر ،
حلوا جميع الشباك
واستحموا هناك !
اصلحوا الباب والسلم ،
استرجعوا العنزة الشارده
هيئوا النورج ،
السكة ،
الموقد ،
المائده !
أرشقوا الدار — ما ظلّ منها —
ارفعوا السروة الهاويه
رمموا الحوش والبئر

واسقوا مشاتلنا الذاويه
انني عائد ،
اكسرُ الزرقة القاسيه
من مطل على الرابيه !
انني عائد ،
والجياد التي هزمتها السجلاّت والقاذفات
عائده ،
انني عائد .. والجياد ،
عائده ،
من مطاوي الخيانات والدعوة الفاسده
وأنا واعد يا فراخي الصغار
وأعد ، أن تكون الجياد التي تسرجون
مثلما تشتهون ..
حرّة الأصل والفصل ،
نفّاثة .. صامده ..

وأنا واعد أن تكون

خالده ..

خالده ..

خالده !!

وقع خطى في دهليز الموت

– ١ –

وقع خطىً في دهليز الموت
لغط وصراخ
– ويلك .. آآخ !
– أهرب .. من هذا الباب
– أدخل . أسرع في هذا السرداب
ركض وشجارٌ في أقبية الموت

قتلى : سبعون
أسرى : تسعون
أكثر من تسعين جريح
الصمت الصمت
يا عربات الريح
ـ قف ! مَن أنت ؟
وأردّ أخوك سميح
ويدوّي الصوت
يظل يدوّي الصوت
يظل الصوت
وقع خطىً في دهليز الموت

- ٢ -

غاص في الليل ..
وجهه طاقة الشمس للخلاص

وعلى حين غرّه
شهق الليل ،
عندما غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأمه
غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأخوته
غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأمه
لا تقولوا لأخوته
واتركوني لهمّه
واتركوني لجثته
جثة أنت أم جبل
ذل في صدره الرصاص
آه يا راية الخلاص
أنت جسري إلى الأمل

- ٣ -

ضمَّت الريح وجهه
وهو ملقى على التراب
نازفاً .. نازفاً ..
وفي ساقه مخلب وناب
قالت الريح : من تكون
أيها الأسمر الجميل
ردّ في وجهه السكون :
أنا تاريخك القتيل .

في ٥ حزيران

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي
أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسيَه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
جرّدنا الريح الغربيه
من كل الأوسمة المطليه

بدماء الأطفال وعار الأنقاض

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
طار جميع القتلى للأمم المتحده
واشتركوا بالجلسة غير العاديّه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
أبصرنا كل وجوه الكرة الأرضيه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
ظلت آبار النفط العربيه
ظلّت تتدفق عبر الأرض العربيه
لبلاد الريح الغربيه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
لا أبكي !
لا أضحك !

دون جوان وكاهنة النار

سيفي . قفّازي . قُبّعتي .
وقناعي الأسود .
والساعة . والمعطف .
في الفجر أودِّعُها
وأوزّعُها
بين صغار الفرسان الآتين على درب الأشواق
ورثاء الدمّ الصاخب

رواد صغار العشّاق
وأوزّع كلّ خليلاتي
إلا كاهنة النار !
معها سأظلُّ إلى الدهر الآتي
ومعي ستظلُّ .. إلى يوم استشهادي
.. فوق الأسوار !
جوعي قاتل
ودمي .. خمرٌ وسنابل
فتعالي يا حبي الأغلى
والأعلى
يا كاهنة الدار
نبحث عن موت لائق
في ميدانٍ لائق
نبحث عن طعنة حب لائقةٍ

بالمحبوبة والعاشق
نبحث عن ميتةِ حُبٍّ
في معركة كبرى .. فوق الأسوار !

مساء واحد فقط

تستطيعون هذا المساء
أن تكونوا الذي لا أكون
وتشاءوا الذي لا أشاء
تستطيعون أن تضحكوا
من وقوفي على رابيه
عاريا .. عاريا ..
واحتقان البكاء
في شرايين وجهي المضاء

بالرؤى الداميه
تستطيعون يا سادتي
تخلي بعتُه في المزاد
بعتُه .. من قرون
واشتريت الرقاد
في ظلال النخيل الحزين
تستطيعون يا سادتي ،
بَصَماتي غدت كلها اليوم معروفة
في محطات بوليسكم كلها
وكلاب الأثر
أتقنتْ كلها
مهنة الركض خلفي ،
وفن اكتشافي ، طريحاً
على زهرةٍ أو حجر
نازفاً .. نازفاً .. أحتضر
تستطيعون هذا المساء

أن تحزّوا رقاب الشجر
لتنالوا أقاصي الثمر
تستطيعون يا سادتي
ان تحيلوا القمر
مخبراً تافهاً ،
والجبل ..
خائناً أو بطل !
لمساء فقط ..
تستطيعون يا سادتي
أن تكونوا الذي لا أكون
وتشاءوا الذي لا أشاء
فأنا ، زهرة ، سنبله
مَرّةً ،
وأنا مرّةً .. قنبله
وعروقي أنابيب نفط وماء
وجدير أنا بالبقاء ..

الهموم التي أثقلت° كاهلي في الطفوله
مسختني حجر
وأقتحامي وعور الرؤى المستحيله
شدني .. شدني كالوتر
فاسمعوا صرختي في الرياح
واشهدوا عودتي في المطر !!

في انتظار طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمسِ
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرسِ
ويكون أن يأتي
بعد انتحار القحط في صوتي
شيء .. روائعه بلا حدّ
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !
لا بدّ أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت !!

دمي على كفي

دمي على كفي

★ قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان .

★ الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض ، وتمت ، فهي تبقى وحدها . ولكن إن ماتت فهي تأتي بثمر كثير .

★ هـــذه وصيتي أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم . ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه .

★ إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم . وإن كانوا حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم .

السيد المسيح

خطاب في سوق البطالة

ربما أفقد – ما شئتَ – معاشي
ربما أعرض للبيـع ثيابي وفراشي
ربما أعمل حجاراً .. وعتالاً .. وكناسَ شوارع ..
ربما أبحث ، في رَوْثِ المواشي ، عن حبوب
ربما أخمد .. عرياناً .. وجائع ..
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساومْ ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاومْ !!..

* * *

ربما تسلبني آخرَ شبرٍ من ترابي
ربما تُطعِمُ للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي ..
من أثاثٍ .. وأوانٍ .. وخوابِ ..
ربما تُحرِقُ أشعاري وكُتُبي
ربما تُطعم لحمي للكلابِ
ربما تَبقى على قريتنا كابوسَ رعبِ
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !!..

* * *

ربما تُطفيء في ليليَ شعله
ربما أُحرم من أمّي قُبله
ربما يَشتمُ شعبي وأبي ، طفلٌ ، وطفله
ربما تغنم من ناطور أحزانيَ غفله
ربما زَيَّفَ تاريخي جبانٌ ، وخرافيٌ مُؤَلَّه
ربما تحرِمُ أطفاليَ يومَ العيد بدله

ربما تخدع أصحابي بوجهٍ مستعار
ربما ترفع من حولي جداراً وجداراً وجدار
ربما تصلب أيامي على رؤيا مذله !
يا عدو الشمس ، لكن ، لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم
يا عدو الشمس ..
في الميناءِ زيناتٌ ، وتلويحُ بشائر ..
وزغاريد ، وبهجه
وهتافاتٌ ، وضجه
والأناشيدُ الحماسيّةُ وَهْجٌ في الحناجر
وعلى الأفْقِ شراع ..
يتحدى الريح .. واللُّجَّ .. ويجتاز المخاطر ..
انها عودة يُولِيسِّيز
من بحر الضياع ..
عودةُ الشمس ، وإنساني المهاجر

ولعينيها ، وعينيه .. يميناً .. لن أُساوم ..
والى آخر نبضٍ في عروقي ..
سأقاوم ..
سأقاوم ..
سأقاوم !!..

اشربوا

بعضُ الأغاني صرخةٌ لا تُطربُ
فإذا استفزَّتكم أغانيَّ اغضبوا
يا منشئين على خرائب منزلي
تحت الخرائب نقمةٌ تتقلَّبُ
إن كان جذعي للفؤوس ضحيَّةً
جذري إله في الثرى يتأهبُ

* * *

هذا أنا ! عريانُ إلاّ من غدٍ
أرتاح في أفيـــائـِه أو أُصلبُ
ولأجل عينيه وأعيُنِ إخوتي
أمشي..وأُعطي الدرب ما يتطلّب
هذا أنا .. أسرجت كل متاعبي
ودمي على كفي يغني..فاشربوا !

قميصنا الباكي

ستطول غيبتُه ،
وبَرْدُ الغرب ، يُحكى ، لا يطاق
يا أُمَّهُ فتفقّدي كل الحقائب
ودعيه رهن ذراع صاحب
هاتي له الشال الذي حيَّكتِهِ
بين انتظار صغيرك الغالي وهمهمةِ الوجاق
ستطول غيبته ، وبرد الغرب ، يُحكى ، لا يطاق

يا أُمَّهُ أزِفَ الرحيل
إياكِ أن تَنسَيْ جراب الصوف .. في حُمَّى العناق
وتجلَّدي ، فصغيرك الغالي يعذبه العويل
مذ مات والده .. يعذبه العويل
بوَّابة الميناء مُشْرَعَةٌ
ومُشْرَعَةٌ مناديلُ الرفاق
يا أُمَّهُ لوذي ببعض البيت .. وابكي باحتراق
لن تبلغي الميناء
فالرمتزم لا يَأسَى لأحزان الفراق
والصحب والجيران والأحباب كثر .. فاتركيه
يا أُمَّهُ .. وقُبيل خطوته الأخيره
في هذه الأرض الضريره
ستشمه رئَتا أخيه
وتشمه ما شئتِ ..
عنك .. تشمه رئتا أخيه

* * *

مذ قال : إني راحلٌ !
ما ذقتِ من حزنٍ طعام
وبكيتِ طول الليل .. في صمتٍ
محدقةً بتابوت الظلام
وَتغَضَّن الوجهُ الجليلُ
كبرتِ في الساعات أعواماً ،
هرمتِ
انهار قلبك في الرغام
وتيبست شفتاك !
يا ربي .. لمن ربيتـُهُ عشرين عام ؟
أسمعت يا ربي .. لمن ربيتـُه عشرين عام ؟
لم تفهمي ضرباته .. تهوي فيرتجُّ الجدار
لم تفهمي صرخاته ..
أُمَّاهُ إن بقاءنا في هذه الأرض انتحار !
السوسُ في كـُتـُبي .. وفي قلبي يـُغَيِّمُ الاحتضار

أُمي ! طحنت الماء في المقهى
ومسحتُ كل موائد الملهى
وطُرِدتُ من بابٍ إلى بابِ
وتَهَرَّأت نعلي وأثوابي
وشُتِمت في صَلَفِ
وطُعِنتُ في شرفي
وحُملت مخموراً على أكتاف أصحابي
وبكيت في ذل وعارْ
ومَكاتبُ العمل انتظار
وانتظار .. وانتظار .. وانتظار ..
ومدخن السيجار يلفظني بنظرة الاحتقار
أُمـــاه :
إني راحل
رأسي يُصَدِّعها الدوار
أنا راحل

والسلُّ والطوفانُ بعدي والحريق
أنا لن أطيق

* * *

حمل المهاجر ما يريد
ومضى ..
فسبحان الذي يُعطي البنينَ ويستعيد
وبكيتِ طولَ الليلِ في صمتٍ
مُحدقَـةً بتابوتِ الظلام
لم تفهمي .. وصغيرك الغالي
لم يدر أن قميصه البالي
ما دام يخفق في رياح الحزن والشده
ستظل تخفق رايةُ العوده
فخُذي أخاه وافهميه
أنَّ المذلةَ أنْ يبيـع ثرى أبيه
وافهميه

أن اختلاج الروح في البذره
أقوى من الصخره
وجذورَنا في رَحْمِ هذي الأرض ممتدّه
وقميصنا البالي
ما دام يخفق في رياح الحزن والشده
ستظل تخفق راية العوده
ستظل تخفق راية العوده !! ..

ليد ظلت تقاوم

بركة دكناءُ في قلبي
وفي وجهي سَحابه
ونجيــع ساخن
يصرخ في وحشة غابه
وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس
أيقظت بضع رصاصات
وألقت في جفون الإخوة القتلى النعاس

وعلى روث المواشي
بُقَعٌ حمر
وفي الدوّار تعديدُ مآتم :
كفر قاسم
كفر قاسم
وزهراتٌ من البرقوق في صدر امرأه
وعيون مطفأه
وعويل غارق في رهبة المأساة عائم !
وأنا ريشة نسر
في مهبّ الحزن والغيظِ
إله لا يساوم !

* * *

يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
ما بَكَيتْ !
قلت : فوجٌ آخرٌ يمضي

ومن بيتٍ لبيتْ
رحت أروي نبأ الغلة في العام الجديد
ومن المذياع ، أنباء عن العام المجيد :
« مصر بركانٌ .. وكل الشعب يحمي بور سعيد
« أيها الإخوة .. والنصر أكيد
يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
صحتُ والأدمع في عينيَّ : مرحى
ألفَ مرحى !!
يوم قالوا .. ما بكيت
ومضت بضعة أيام على عيد الضحايا
وأتيتْ
وتلقاني بَنُوكِ البسطاء
وتَلَونا الفاتحهْ
وعلى أعين أطفالكِ
يا ام العيون الجارحهْ

يبس النهر وماتت في أغانِيَّ الحمائم
وأنا يا كفر قاسم
أنا لا أنشد للموت .. ولكن
ليد ظلت تقاوم !

* * *

سيدي ! .. يا واهب النار لقلب وجديله
سيدي ! .. يا ساكب الزيت
على موقد أحزاني الطويله
سيدي ! .. دعني أهنئْكَ على يوم البطوله
عش لعدل لا يضاهى
أيها القيصر عِشْ
ثمن الخمسين .. قرش
أنت يا مولاي رحمنٌ رحيم
والذي يغضب من عدلك يا مولاي
شيطان رجيم

والذي يحزن مخدوع .. ومن
ينزف الأدمع ، مَوْتورٌ لئيم
سيدي يا قيصر العصر الجليل
كل ما قلناه يا هذا قليل
والذي في القلب .. في القلب
ومن جيل لجيل
والى أن يبعث النهر
وتشدو في أغانيَّ الحمائم
أملأُ الدنيا هتافاً لا يساوم :
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم !!..
دمك المهدورُ ما زال ..
وما زلنا نقاوم !

اليك هناك حيث تموت

رسالتُكَ التي اجتازتْ إليَّ الليلَ والأسلاكْ
رسالتك التي حطَّت على بابي .. جناحَ ملاك
لماذا ؟ حين فَضَّتها يدايَ ..
تنفَّضتْ أشواك
على وجهي وفي قلبي ؟
رسالتك التي انتشلتكَ من مستنقعِ الغربهْ
وردَّت لي طفولَتَنا

من القيعانِ .. قيعانِ الأسى الصلبه
وردَّت لي براءَتنا
وردَّت لي أناشيدَ الصباحِ وغرفةَ الدرسِ
وشيطنةَ المساءِ .. وساحةَ القريهْ
وصوتَ أبيكَ يزجرنا : كفى لليوم يا أولاد !
وأُمَّك في تساؤلها : وكيف سميح ؟
فترشفُ أُميَ القهوه
وتهتف جِدَّ مزهوه :
باذن الله .. ممتازٌ !.. وكيف فؤاد ؟
– كصاحبه ! إلهي يحرسُ الإثنينْ
من الإهمال والحسَّاد
ومن صائبةٍ بالعين !

* * *

رسالتكَ التي رفَّت على جرحي
كعصفور تفلَّتَ من سجونِ الحزنِ والحرمانْ

ورافقَ نجمةَ الصبحِ
لماذا حين فضَّتها يدايَ .. تَنفَّضتْ أشواكْ
على وجهي .. وفي قلبي ؟

* * *

« أخي الغالي »
كتبتَ إليَّ مزهُوَّاً .. « أخي الغالي » !
تحياتي وأشواقي
تطيرُ إليك من بيروتْ
إليك هناكَ .. حيث تموتْ
فدى الباقي من التافهِ من ميراثِكَ الباقي
تحياتي وأشواقي
أنا أصبحتُ إنساناً جديداً .. غيرَ ما تعهدْ
ختمتُ دراستي العليا .. ونِلتُ شهادةَ المعهد
وأصبحَ مكتبي أكبرْ
وصار اسمي هنا أشهرْ

ولِي صاحبةٌ شقراء .. جدَّتها فرنسيه
وأُخرى جدُّها قادَ الفتوحاتِ الصليبيه
ومثلَ بقيةِ الأسيادِ
تربضُ في فناءِ الدارِ .. فارهةٌ خصوصيه
أخي الغالي !
لماذا أنت لا تأتي إلى بيروت
وتتركُ جرحَكَ الممقوت
وتهجر وجهك المغموسَ في الوحل
وتنسى عيشةَ الذلِّ
فحقلُكَ لم يكن أرحبَ من حقلي
وبيتك لم يكن أجمل من بيتي
لماذا أنت لا تأتي ؟!
أخي الغالي !
تحياتي وأشواقي
إليك هناك في المستنقع الباقي !

* * *

رسالتكَ التي أجازت إليَّ الليل والأسلاكْ
رسالتكَ التي حطتْ على بابي .. جناحَ ملاكْ
أتعلَم ؟
حين فضتها يداي تنفـَّضتْ أشواكْ
على وجهي .. وفي قلبي !
أخي الغالي !
إليك هناك في بيروت
إليك هناك .. حيث تموت
كزنبقةٍ بلا جذرِ
كنهرٍ َضيَّعَ المنبــعْ
كأغنيةٍ بلا مطلع
كعاصفةٍ بلا عمرِ
إليك هناك حيث تموتُ كالشمسِ الخريفيه
بأكفان حريريه
إليك هناك .. يا جُرحي ويا عاري

ويا ساكبَ ماء الوجه في ناري
إليكَ إليكَ من قلبي المقاومِ جائعاً عاري
تحياتي وأشواقي
ولعنةَ بيتِكَ الباقي !!

الجواد الجامح

ركبتُ جوادكَ الجامحْ
ويمّمتُ القفارَ الجرد ، في إثرِ المدى السائحْ
وحيداً في زحام الأرضِ
إلا من أخي الحرفِ
وجزتُ البيدَ
محروماً من الجرأةِ .. محروماً من الخوفِ
فكيف أعودُ ؟ كيفَ أعودُ ؟ يا معبوديَ الجارحْ

وأنتَ حرارةُ المهمازِ والسوطِ
وأنتَ وشاحيَ الملتف من كتفي الى ابطي
وأنتَ الزادُ .. كلُّ الزادْ
وأنت .. وصيةُ الميعاد

* * *

– « هنا باريس »
– « هنا بيروت » ..
– « هنا موسكو »

* * *

وألكزُ ، جامحَ الأحزان ، صدرَ جوادِكَ الجامحْ
وفي سَغَبي وفي ظمأي
أغِذُّ السيرَ ... يا معبوديَ الجارح !

* * *

يميناً أيُّها المولى
يميناً أيها الجاعلُ من أشواكنا فُلّا

يميناً لن نبيعَ الجرحَ
مهما ساومتْ مُديه
ولن تبقى شقيقتُنا
طوالَ الدهرِ ... مسبيَّه !

* * *

– « هنا عمان » ..
– « هنا روما » ..
– « هنا بغداد » ..

* * *

.. فكيف نفرُّ ؟ كيف نفرُّ من منبتنا الأرضي ؟
وكيف نبيحُ للنسيانِ أجيالاً من البغض ؟
وكيف ؟ وكيف ؟ لن نهدأ
وملء عيوننا المرفأ
ونارُ جبينِنَا المشجوجِ لن تطفأ
بغير ضمادِكَ الرحمن .. يا ايقاعَ أحرُفِنا
ويا رؤيا تلهُّفِنا

ويا تاريخنا المنهوب
يا قاتلنا المحبوب
يا موطننا الجارح
فحتى الموت .. حتى الموت
يبقى فارسُ الأحزانِ
عبد جوادِكَ الجامح !

على قلعة الإمبراطور

ربما تَرفض بعض الصحُفِ من شعري قصيده !
ربما يشجب نُقادي استعاراتٍ جديده
ربما يطرح قرائي الجريده !
— ما الذي يُخفيه في هذي الرموز
« فارسٌ يفترع الشمس تقاويه عجوز
وإلهٌ وثنيٌ .. وبغايا طاهرات ..
ما الذي تخفيه هذي الكلمات ؟!

* * *

ربما تكسد في الأسواق كُتُبي !
ربما ينقلب الأنصارُ أعداءً. وقد يَنفُضُ مني الكفَّ صحبي
ربما أبقى وحيداً ..
أنا والحزن ودربي !
ربما .. لكنني أقسم بالحرف المُبّي
بكيانٍ من صنيعي .. صار ربي .. صار ربي
أَن أسوق النارَ من كل طريقٍ
واذرّيك رماداً عن حريقي !

* * *

أيها الرب الترابيُّ الذي يخشى عبيده ..
نقمتي عنك بعيده !
فتنعَّم أيها الربُّ الترابيُّ .. تنَعم !
تحت نعليك مفاتيحُ لأسواقِ نخاسه
تحت نعليك حماقاتُ سياسه !

و – دع الاسماء ! – مطروحٌ على الأرضِ
فقد مات مُسمَّمْ !
أيها الرب .. فكُن ما شئتَ .. واحكم وتحكَّمْ !
كِلْمةُ الإيمانِ في روما جريمه !
آه يا مصرع أُوزيريس .. في مصر القديمه !!

* * *

أيهذا الأمبرطور الإلهيُّ .. أَتسمعْ ؟
صوتَ حُبلى تتوجع !
صوتَ قمقم
يتحطم !..
صوتَ رؤيا وإراده ..
أيها الوحش الخرافيُّ المقنع
ان في الشمس مخاضاً .. فتطلع
نقمتي ليست بعيده
رغم بعض الصَّحف .. والنقاد .. والقراء ما عادت بعيده

أيها المأمون .. فاسمع !
صوتَ رؤيا واراده
وزغاريد ولاده ..
فالحمام الزاجل المنفيُّ .. لا ينسى بلاده !!

أعلنها

ما دامت لي من أرضي اشبارْ !
ما دامت لي زيتونه ..
ليمونه .. !
بئر .. وشجيرة صُبَّار ..
ما دامت لي ذكرى
مكتبةٌ صغرى
صورةُ جدٍّ مرحومٍ .. وجدار

ما دامت في بَلَـدي كلمات عربيه ..
وأغانٍ شعبيه !
ما دامت مخطوطة اشعار
وحكايا عنترة العبسي ..
وحروب الدعوة في أرض الرومان وفي أرض الفرس
ما دامت لي عيناي
ما دامت لي شفتاي
ويداي !
ما دامت لي .. نفسي !
أُعلنها في وجه الأعداء !..
أُعلنها .. حرباً شعواء
باسمِ الأحرار الشرفاء
عُمّالاً .. طُلاباً .. شعراء ..
أُعلنها .. وليشبع من خبز العار
الجوفُ الجبناء .. وأعداءُ الشمسِ

ما زالت لي .. نفسي ..
وستبقى لي .. نفسي !
وستبقى كلماتي .. خبزاً وسلاحاً .. في أيدي الثوار !!

صقر قريش

وَداعاً يا ذوي القربى !
وَداعاً .. والجراح النُّجلُ
في قلبي مضاضتُها
طوال العمر .. في قلبي مضاضتُها
ونفسي – والرواسي الشمُّ عِزَّتها –
تخفُّ بنكبة النكبات
من قطرٍ إلى قطرِ

تراودُ في مغاليق الدجى
لمحاً من الفجرِ !
ونفسي .. يا ذوي القربى
ينازعها – وان شيدتُ مُلكَ اللهِ في الغربه –
ينازعها حنينُ السّفْر للأوبه
ونفسي – رغم دهر البين
رغم الريح والمنفى
ورغم مرارة التشريد ،
تدرك .. تدرك الدربا !!..

الأرض من بعدي

وغداةُ ينقش عمريَ الأخضر
في الشاهد المرمر
قلبي يقول – فعفوَكم – في الشاهد المرمر
أيفوز بعدي فارسٌ أقوى
فيصيرُ مَن تهوى
وأصيرُ ذكرى .. ثم ، لا أُذكرْ ؟

* * *

أرضي التي .. بعظام أجدادي
قلّبتها .. وجَبَلتُ أولادي
أرضي التي دللت تربتها
ورعيت طول العمر حنطتها
أرضي التي ..
أيصيرُ مَنْ تهوى ؟
وأصيرُ ذكرى .. ثم لا أُذكرْ !!

* * *

يا بيتنا الباقي
يا بيتنا المَعْبَد
يا مَن على عتباته أسجُد
وأشم طيبَ حذاء مَن شَيَّد !
يا باب بيتي .. مشْرَعاً لتؤُمَّك الدنيا
يا غرفتي العليا
يا مهد أولِ كلمةٍ أنشد
أنتم شهودي في محبتها

انتم .. غداة تغوص كفاه ِبغَلـَّتها
أنتم .. فيا مينائيَ الأوحد
أيصير مَن تهوى
وأصير ذكرى .. ثم لا أُذكرْ ؟!

* * *

مَن ركـَّز الصخرات في السفحِ ؟
مَن رافق النجمه ؟
مَن علـَّم النسمه
لمساتِها السمحاتِ للدوحِ
مَن .. غيرُ جدي الطيب السمحِ ؟

* * *

مَن عوَّد السهله
ان تـُكثر الغله
مَن غيرُ عمي الكهل ، والوالد
مَن جايلَ النصبات في الخله
مَن عاين الأعشاش في زيتوننا الخالد ؟

مَن حزّ أسماء الأقارب ... واحداً .. واحد
في كل جذع من جذوع كرومنا مارد
من غير هذا العاشق العابد ؟

* * *

ويصير مَن تهوى ؟
وأصير ذكرى .. ثم لا أُذكر ؟!

* * *

يا أجمل النبضات في قلبي
يا من نعمتُ لديكِ بالحب !
أتراكِ أَشقى فيكَ بالبغض ؟
ردي على ابنكِ ..
إبنكِ المفجوعِ .. يا أَرضي !؟

لو

لو يَصْدُق الكلام !
وتحمل الريح .. ولو سلام
من ثائر في الشرق
لثائرين يشتلون النور في الظلام
لثائرين إخوةٍ .. لا فرق
في النيل .. في الكونغو .. وفي فيتنام !

* * *

لو تَـصدُق الأحلام !
وفجأة .. يكون لي جناح
وأمتطي مَرْكَـبَـةَ الرياح
وفجأة .. أحطُّ في الكمين قبل معركهْ
أقفز من جذع .. إلى جذع .. إلى خندق
يشدني تَحَفـُّزٌ لِلمحةٍ .. لِحركه
في قبضة قنبلة .. وقبضة للمدفع الرشاش
وإصبعي . تشنـُّجٌ ولهفةٌ لضغطةٍ على الزناد
لموسم .. من بعده مواسم الحصاد .
من بعده .. شقشقة الفراخ في العِشاش !

* * *

لو تصدق الصلاة !
يا اخوتي الأحياء ، في افريقيا في آسيا
يا اخوتي الأمواتَ في معركة الحياة
لو يصدق الرجاء
وعند طلة الضياء

نسمع عن خلاصكم من لعنة الدماء
لكنكم .. يا أصدقائي ، تكتبون
يا إخوتي ! بالدم تكتبون
تاريخكم ونشرةَ الأنباء !

* * *

لو تصدق الـ...
عَفْوَكِ يا ألوية
تنسجها مغازل الفداء
عفوكِ يا الأمُّ التي صارت بلا زوج ، بلا أبناء
عفوكِ يا جحافلاً أشلاء
ما خلَّدتْ نُصبٌ لها ذكرى ، ولا أسماء
عفوكِ يا أكواخ صيَّادين
أبوابها في قبضة الريح .. وفي مطلَها
ما فتئتْ ترتقب النساء !
على الزنود صِبْيَةٌ عُراة

طعامهم !..

– الويل للغزاة ! –

* * *

يا خطوة لا تعرف الرجوع
يا ثورة لا تعرف الخنوع !
سيصدق الكلام !
ستصدق الأحلام !
ستصدق الصلاة !!

دفقة الأجيال

تراشَقْنا بِهُجرِ اللفظ أعواماً على أعوام
نهرنا السائلَ المحروم
قهرْنا أتعس الأيتام
ودسنا زهرةَ الأزهارِ .. دسناها
وفتناها
مدمَّاةً .. معرَّاةً .. على الطرقاتْ
فيا قمراً من الفوسفورِ
أغفى تحته الأموات

تمرّغْ في تراب الحزن
واشرب نخب من يحيونَ أطلالاً بدون حياة
ويا أجداد جيل الجرح
تربعتم قروناً في عروش الذلّ والحرمان
وأنستكم مسابحكم رماحَ الفتح
وخيلَ الفرس والرومان
فلا تبكوا على ما كان
وهاتوا دفة السُّفنِ التي تندبها الشطآن
قراصنةُ البحار الكثرُ لا تغفي لهم عينٌ
ولا يقوى على الانواء .. غير شجاعة الرّبان !
فهاتوا دفة الأجيال .. هاتوا دفة الأجيال
ولا تبكوا إذا سلنا دماً
في يابس الوديان !
فإنّ زنابقاً حمراء
مخبَّأةً لنا في الرمل .. لا تنمو بدون دماء !

وإن القمح والزيتون والرمان
تظل رؤىً بلا جدوى
إذا لم يُخصبِ الشهداء

* * *

وهُجر اللفظ أعواماً على أعوام
ونهر السائل المحروم
وقهر الأخوة الأيتام
خناجرُ ..
في أكفّ الليل والأحزان والأعداء !

من المدينة

هذه نبرتي .. وهذي ذراعي
وثيابي .. وأحرفي .. ومتاعي
هــــذه خطوتي كما حَفِظتْها
دربُ بيتي ورددتهـــــا المراعي
وأغانيَّ لم تزل مثلمـــــا كانت
تُدوّي في كرمنا الملتـــــاع

* * *

لا زحامُ المدينة امتص شكلي
وشعوري .. ولا ليالي الضياع

زئبقٌ وجهي الحزين وقلـــبي
زئبقٌ في دوامة الأوجـــاع

تتلقـــانيَ المقـــاهي غريباً
وغريباً أنسلُّ خلف صداعي

وغريب عني فراشي .. غريبٌ
وغريب عني صـــدى المذياع

وطعـــامي وقهوتي ودروبي
أيُّ ليلٍ .. وأيُّ جُبٍّ أفاع

* * *

عبثـــاً تحفر الرياح جبيني
عبثـــاً ينهش اللهيب نخاعي

هــذه نبرتي وهذي ذراعي
وثيابي .. وأحرفي .. ومتاعي
أنا باق .. باق أنا حيث أمضي
لم أُبدل ملامحي بقنـــاع !

لن

واحداً تِلوَ واحد ..
يسقط الميّتون تباعاً
فاحرسي يا بلادي الشراعا
عائدٌ فارس الريح عائد !

* * *

قطرةً تِلوَ قطره ..
يمطر الدمع فوق الصحاري

فابشري باخضرار
يا سهوب الرؤى المكفهرّه

* * *

كان أمساً مقيتاً
داسنا باحتقار وولى
وغداً لن نبيتا
مِزَقاً تذرع الأرض وهناً وذُلا
قسماً .. جذرُنا لن يموتا !
قسماً .. دَمُنا لن يُطلاّ !!

هكذا

مثلما تُغرس في الصحراء نخله
مثلما تَطبع أُمي في جبيني الجهْمِ قُبله
مثلما يُلقي أبي عنه العباءه
ويُهجّي لأخي درسَ القراءه
مثلما تطرح عنها خُوَذَ الحرب كتيبه
مثلما تنهض ساق القمح في الأرض الجديبه
مثلما تبسم للعاشق نجمه
مثلما تمسحُ وجهَ العامل المجهدَ نسمه

مثلما يشمخ بين الغيم مصنع
مثلما يُنشد بعض الصحب مطلع
مثلما يبسم في ودٍّ غريبٌ لغريب
مثلما يرجع عصفور إلى العش الحبيب
مثلما يحمل تلميذٌ حقيبه
مثلما تعرف صحراء خصوبه
هكذا تنبض في قلبي العروبه !

الى القارة المجهولة

من أين يبلغكِ الطريق ؟!
من أين أحياءِ شيكاغو الفقيره ؟
من أين تبلغ جذوتي
ليكون ميلاد الحريق ؟
يا ناطحات السحب ! يا أكداس أكواخ حقيره !
مدّي يديك من الظلام ..
فإن رايتنا الكبيره
أبداً .. يشع حنينها لمجاهل الليل العميق

وإن رايتنا الكبيره
أبداً .. شراع للغريق !!

* * *

من أين تبلغك العواصف ؟
يا مسرح « الجزبند » . في نيورك !
فالزنجيُّ .. جوعان .. وخائف ..
وذئاب « كوكلوس كلان » ملء الغاب
.. والتيار جارف !
وفرائص « التمثال » راجفةٌ
وقلب الليل راجف
والريح جامدةٌ
وموج البحر .. واقف !

* * *

من أين تبلغكِ الرسالة ؟
من أين .. يا واشنطن الصماء ..
تحت ضجيج آله

من أين ؟
في فيتنام مذبحةٌ ، وأنتِ تصدّرين
كعكاً .. وأدويةً .. إلى القمر الحزين !!
وتكنّسين على دم الجرحى .. الزباله ..
من أين .. تبلغك الرساله ؟!

* * *

يا ذرَّ أُبراهام !
صوتي جفّ من لفح النداءِ !
والريح أتعَبها لوائي !
يا ذرَّ أبراهام ..
فانفض مرمر التاريخ
وانهدْ .. للسماءِ !
واسطع .. على زمر المجوس الأغبياءِ
واحقن — تضجّ الأرض ! — انهار الدماءِ !

البيت الحزين

قامرتُ في ملهى السنين
وخسرتُ جوهرتي الفريدةَ في مزاد الآخرين
وبكيتُ في أسفٍ .. وأخفيت الدموع
ودفنتُ في صمتٍ أزاهيري
وأبَّنتُ الربيع
ورجعتُ للبيت الحزين
أبكي على جدرانه .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

وهناك .. من خلف السياج
خفـَّت إليَّ نشائد الموتى
وأطفأت السراج
فعصرتُ من لهب العيون
نوراً .. وصحتُ : أنا هنا يا مشعل المتمردين

* * *

وغداة رفـَّت رايتي الحمراء في وهج المعارك
وهتفتُ : بارك خطوتي للفجر ..
يا تاريخُ بارك
غاصت بظهري حربةٌ من أصدقائي الخاذلين
فرجعت للبيت الحزين
أبكي على جدرانه .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

واغرورقت عيناكِ
في الأفق المحنـَّى بالدماءِ
وانهارَ نجم من سمائي

وتألّبَ الأطفالُ من حولي
وحدّقتِ العيون
آلافُ .. آلاف العيون
وتدحرجتْ خوذٌ على قلبي وهمهمَ لاجئون
فغسلتُ من وحل الهزيمةَ راية الحرف الطعين
وخرجت للدرب المعبَّد بالجماجم والعظامِ
وهتفتُ بالجثث المعفرة الطريحة في الرغامِ
باسم الحياة .. الى الأمامِ !
الى الأمامِ .. الى الأمامِ ..
وحلفتُ .. بالسر الهجينِ
لا لن أعود .. فألفَ عفوكِ .. أيها البيت الحزين !!

أختي صنعاء

لا يعبر بالشباك مساء
إلا وتطل من الأفق العين الكحلاء
عين الحرّه
بذت الثوره
اختي .. اختي صنعاء !

* * *

لا يعبر بالشباك صباح
إلا وتطلّ من الأفق المعبود جراح

جرح في صدر صعيديٍّ أسمر
جرح في صدر حُديديٍّ أسمر
وجراح في صدر تعزّ السمراء
فلتشربْ زنبقةُ الحريه
في سفح الجبل الأحمر
لتسيل ربيعاً .. في عطش الصحراء
صحرائي العربيه !

* * *

لا تعبر بالشباك الريح
إلا ويصيح
في قلبي .. شوقٌ ، فوق الشوقِ !
لأُضمِّدَ زند جريح
وأضم الرشاش الى صدري .. آه
يا أروع زحف نحو الشرق !

* * *

رغم الأبعاد المرصوده
ودروبي المسدوده
رغم الأنباء المشؤومه
عن قتلى .. قتلى .. قتلى
رغم البومه
ومشانق ملء العتمة من حولي تتدلى
أومن .. أومن .. أومن :
يمني المعبود
سيعود سعيد
فكهوف الشاي الأسود والقهوة والقات
صارت ثكنات
ورجالي .. من أسيوط .. وبور سعيد
كثر .. كثر .. والنصر أكيد ؟!

الى جميع الرجال الأنيقين في هيئة الأمم المتحدة

أيها السادة من كل مكان !
رَبطات العنق في عز الظهيره
والنقشات المثيره
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟
أيها السادة من كل مكان !
نبتَ الطحلبُ في قلبي

وغطى كل جدرانِ الزجاج
واللقاءات الكثيره
والخطابات الخطيره
والجواسيس .. وأقوال البغايا .. واللجاج
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟

* * *

أيها السادة
خلوا قمر القرد كما شاء يدور ..
وتعالوا
إنني أُفقد للدنيا الجسور
ودمي اصفرَّ
وقلبي انهار في وحل النذور
أيها السادة من كل مكان !

ليكن عاريَ طاعونا .. وحزني أُفعوان
أيها الأحذية اللامعة السوداء من كل مكان
نقمتي أكبر من صوتيَ .. والعصر جبان
وأنا .. مالي يدان !!

من هنا تبعثر النسور

مكتبة البيت القديمة :

كنتُ تلميذاً .. وكان
في دمائي أُفعوان
علَّموني .. أنني صفر وضيع علَّموني
أنني خرقةُ عارٍ وهوان ..
ولدٌ .. خلَّفهُ الأعراب في بيد الزمان !
علموني

ان أخاف النور .. ان أخفض للنارِ جبيني !
كنتُ مغلوباً .. وكان
في دمائي أفعوان
أرقص « السمبا » على إيقاع أحزاني .. وابكي
وأبي يجهل أني ..
اشتري تبغاً بصروفي ووسكي
ويدي تمتدُّ في الليل إلى مكتبة البيت القديمه ،
وإلى الصبح أسوح
بين شطآن الجروح
جرحيَ الأول : من بغداد ..
من بغدادنا الملتهبة !
حيث ماء النهر مزرق بحبر المكتبه
حيث صارت جثث الكتب جسوراً ..
عبرها تعدو سرايا .. وتولي مركبه !
جرحيَ الآخرُ : من ليلةِ رقّ

سجنتْ شمس دمشقي !
جرحيَ الثالثُ : من كفّ ٍ جبانه
طعنت قلب الكِنانه
جرحيَ الرابعُ ، والعاشرُ ، والخمسون ،
من فأس ٍ لئيمه
حفرت ! في جزعنا ألف جريمه !

* * *

ويمر الليلُ تلو الليل ..
في مكتبة البيت القديمه !
وعلى زُرقة أجفاني تنمو
خضرةُ الماضي الرحيمه !
روعةٌ تعقب روعه
وفتوحات مُشعه
بدويٌ .. شغل العالم حذقاً ومهاره
فعلومٌ .. وفنونٌ وحضاره

مدنٌ تنهض في البيد العصيه
ومنارات عوالِ
تبسطُ الضوء على مُلك الليالي
وتغنيّ في المسافات القصيه
فإذا المأتمُ عرسٌ .. والمراثي مهرجان
وإذا التلميذ بالأمسِ .. سرايا عنفوان
تحمل الغابرَ – للحاضرِ – للقادمِ من عمر الزمان
وتغني : كان .. كان
في دمائي أُفعوان
أصبح اليوم حمامه
حملتْ قصفة زيتون .. وطارت .
في بلاد الله .. جبريلاً .. بشيراً بالسلامه !!

آن للفارس أن يترجل !

القطاراتُ الحزينه
تذرعُ الليل .. وتستنزف أحزاني الدفينه

ومن الميناء ، يستتنجدُ تعديدُ سفينه :
زوجة البحّار .. خانته اللعينه !
ويدوّي الليل بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
ويدمّيني الصراخ !
ما الذي أفعل في هذي المدينه ؟
أفتحُ المذياع .. كالعادةِ في كل الليالي
أم كلثوم .. تغني : « إنها قصة حبي » .
وأغني : إنها قصة حزني !
وأغني .. وأغني .. وأغني ..
أمَّ كلثوم اطمئني
يصبح الحزنُ – متى غنيتِ – حزنينِ ، اطمئني !

* * *

ويدوّي الليلُ بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
فأشل الضوء في كهفي ..
ألمّ المعطف البالي على جلدي وأمضي ..

أرسم الشارع للشارع في ليل المدينه
تارةً أعدو .. وطوراً أشتهي أنثى ثمينه
ولديّ لافتةٍ .. تقضم أعصابي الضغينه ،
شارعُ « الحمراء » أمسى لفظة أخرى ، غريبه
ساحةُ « المنصور » أمست لفظة أخرى غريبه
فأنادي : أرجعوا لي .. آه .. أسمائي الحبيبه !
والمدى يصدي : الحبيبه
وتردُّ الضحكة الأخرى : سيعتادُ صليبهْ !!
وأُنادي .. ودمي أحقاد مرجل :
آن للفارس يا أعداءه أن يترجّل ..
آن للفارس يا أحبابه أن يترجّل !

أقواس نصر

شيدوا أقواس نصر
وانثروا طاقات زهر

أيها الإخوةُ .. للآتي الجليل !
هو من تاريخنا الغابر وافد
يهبُ النهر روافد
ويغطي رُبعنا الخالي خوخاً وعنب
وبيوتاً .. وصغاراً .. وطرب .
عانَقَ الشاطيءَ مدٌّ
وهو آتٍ .. فاستعدّوا !
جمّعوا سُعفَ نخيل
أيها الإخوة .. للآتي الجليل
بردى فيه تلاقى والفرات
والتقى عاصٍ ونيل !

* * *

أيُّ إيقاع سنابِـكْ !!
صوتهُ .. أيُّ عوالٍ سمهرياتٍ فواتك

أي موّالٍ اعتزاز ..
يوقظ الحالم في مصر ، ويهتاجُ شآماً وحجاز
صوتُـه .. أيُّ عواصف !
تحملُ النعمة للقادم ، من نعمة سالف !
ويداه .. أي خصبٍ وبيوتٍ وفبارك
أي كُتْب ومدارس ..
أيُّ إيقاظْ تراثٍ وفرادس !!

* * *

أيها الناسُ ، تعالوا !
ولنبارك ..
ضاعَفوا الإنتاج في قطرٍ ، وفي قطرٍ علا سدٌّ جديـد ،
كل يوم ، أيها الاخوة ، عيد !
فلنبارك ..
ولنشارك !

أيها الناسُ ، تعالوا !
جمّعوا سُعفَ نخيل
شيّدوا أقواس نصر
وانثروا طاقات زهر
وانشروا الرايات ، للآتي الجليل !!

وطن

ومـاذا ؟
حين ، في وطني
يموتُ بجوعه الدوريُّ
منفياً ، بلا كفن !
وتتخم من طعام الله
تتخمُ دودةُ الدِّمنِ !!

* * *

وماذا ؟
والحقول الصفر
لا تعطي لصاحبها
سوى ذكرى متاعبها
وبدفقُ خيرها الموفور
في أمراء غاصبها ؟

* * *

وماذا ؟
والينابيعُ القديمةُ
ردها الاسمنتْ
وأنساها مجاريها
فإن نادى مناديها
تصيح بوجهه : من أنت ؟!
وماذا ؟
حين صار اللوزُ والزيتونُ أخشابا

تزين مداخل الحانات
وأنصـــابا
يمتعُ عُريُها الابهاء والبارات
ويحمل بعضها السواح
لآخر آخر الدنيا
وتبقى دون عينيّا
وريقات وأحطابا !

* * *

وماذا ؟!
حين ، شعبي صار
مهزلة لبعض الناس
ووجهي صفقة صغرى
يتيه برفضها نخاس !

* * *

وماذا ؟!
والفضاءُ الجدْب ، أقمارٌ صناعيه
وفي الطرقات شحاذٌ ، وقبعة
وأغنية خريفيه !!
تعاليْ يا رياح الشرق
إن جذورنا حيَّه !!

الى حارس فنار عكا

ملّت شباكُ الصيد الانتظارْ
يا حارس الفنار
والقارب المهجور
غطت رمالُ الشطّ دفّته
وجنبهُ المكسور
وكاد أن يورق —
مجذافُهُ المطمور !

يا حارس الفنار
انقذْ حبال الجار
من قسوة الأمواج والأمطار
تهرّأتْ يا صاحبي .. تهرّأتْ
والجار
غداً يعود ضاحكاً ...
للصيد والفنار !!

حتى الموت

– طوال الليل غنيت !
طوال الليل .. لم يشعر بك الموتى
طوال الليل .. غصَّ البيت أشباحاً
وفض بكارة العتمة في عنفٍ قطار الصبحْ
ومرَّ ببابك المعقود فوق الجرح
ونادى :
« آن أن تُغفي في صمت .. وترتاحا !

« كفى تنبش في الأجداث .. تستحضر أرواحا !
وناديت :
« صباح الخير يا أمي » .. وصلّيتَ
لرائحة الحليب ونكهة القهوه
ومرّت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفر
« غداً .. أُقسم .. لن أسهر ! »

* * *

وعاد الليل من منفاه .. عاد الليل
وعدت .. وثغرُك المحروم لم يبتلّ
— أتبكي ؟!
— ناقلاتُ النفط ما زالت على البحرِ
وجدي لم يزل يقرأ ديواناً من الشعرِ
— أتبكي ؟!
— عسكر السلطان في الساحه
وأمي تحت أرجلهم !.. ألا تفهمُ ؟.. مقتوله !

وجدي يضغط الشمس على تُمباكِ أرجيله
ألا تفهمُ ؟.. مقتوله !!
وأهوى رأسُكَ المشجوجُ في كفيك
ولكني .. أجلْ .. أبصرتُ شيئاً شعَّ في عينيك !

* * *

لقيطَ الليل .. من أنت ؟!
– أنا ابنُ الشمس .. والاعصار .. والموجهْ
أنا ابن الساعد المفتول .. واللولبِ .. والضجه
أنا المتمرد الدامي .. فلا لن أعبد الصمتَ !
– ومن علمك الثورةَ !
– عسف القيدْ
– ومن ألهمك المصباح ؟
– فجر الغد !
– وما ماضيكَ
– كُتُبٌ جمَّةٌ .. والتمر .. والشمسُ

وغارُ الوحي .. والتكبيرُ .. والدعوه
وسيف الله .. والرومانُ .. والفرسُ
و(بسم الله) .. والثروه !
– وما الحاضرُ ؟
ميراثُ الدم المهدور في الماضي !
ووشمٌ من قلاع المجدْ ..
وجذرٌ .. لم يزل يمتدّ ..
عميقاً .. تحت أنقاضي !
وطاقيَّةُ إخفاءٍ وجِنٌ في بساط الريح
وآلاف العيون الزرق .. والعُجمْة في لفظي
وكنزٌ من شروح الفقه .. والأنساب .. والوعظ
ولحنٌ ، ينزف الايقاع في كأسي .. ويعطي الروحْ
– وهل تعرف درب الغد ؟!
– عبر الصخر .. عبر الشوك .. حتى الورد
– وهل ... ؟

– أؤمن أن الشمس لا تستتر !

* * *

ومرت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفرْ
وصاح الجرح في عينيك .. صاح الألمُ الأكبرْ
أنا أقسمتُ ! يا شعبي !.. أنا أقسمت
أن أسهر طول الليل .. أن أسهر طول العمر ..
أن أسهر حتى الموت
أنا أقسمت أن أسهر !!

في القطار

- ١ -

مفرزة من الغبار
تصرعها الريح من نافذة القطار
ويسقط الذباب فوق قهوتي
كما هو في قريتي
أحبة خانهم النهار !

- ٢ -

تلولبت جثته وانهار
في مقعدي .. مسافر غريب
ودب في أجفانه دوار
فنام ، لم تقلقه أوهام ولا أفكار
وهزّ خيط الصمت خاطر كئيب
ما أصعب العيش بلا حبيب
وما أمرّ رحلة بلا صديق
ما أطول الطريق !

- ٣ -

المرأة الحسناء
لا ترفع الوجه عن الكتاب
وشفتا صاحبها .. سرب من الذباب

يلعق جلد عنقها .. سرب من الذباب
يا قبلة بلا دماء
تمرغي في شهوة التراب !

- ٤ -

عيناك من نحاس
يا ذئبة تفترس النعاس
وتوقد الإغراء في مجامر الرجال
عيناك جثتان
تلوثان عزة الأكفان
عيناك إعصار من الشمال
فوَّرته مزيقة من مقلع الجليد
لكن لي ناري ، وإعصاري ، وما أُريد
فحاذري يا .. كلمة تقال !

- ٥ -

دوسوا على المقاعد الوثيرة
وزقزقوا في فرح .. يا شاطىء الجزيره
قوارب الآباء نصف غارقه
لكن في حقولهم براعماً صغيره
وفي جنين الأرض لم يزل
حنين أُم وامقه ! .
فرفرفوا مشاعلاً في ليلها العضال
غنّوا ، وضجّوا ، واهزموا كابوس صاعقه
يا إخوتي الأطفال !

- ٦ -

حث الخطى يا لولب القطار
غبش وجوه الأرض من حولي .. ففي دمي

عاصفة ، لا تعرف القرار !
جدي هنا في مسرب ،
أُختي هنا في مشتل ،
عمي هنا في حضن بياره
شعبي هنا يتلو وراء الثور والمحراث أشعاره
شعبي هنا ، دم على أشواك صباره
سل هذه الأشجار أخباره !
حث الخطى يا،لولب القطار
حث الخطى ، فالشمس ، في انتظار !!

الميلاد

قروناً يا أبي تاجرت بالأطياب والخـَزِّ
قروناً يا أبي غامرتَ حتى عدتَ بالكنز
حميتَ الماء من أجلي حميت الماء
وصذتَ التمرَ في واحاتك الخضراء
عرفت الله في حَرّاء
هدمت الـّلات في مكه
وجبت الأرض تخصبها .. من الصحراء

وعدت إليّ من شيراز
بالديباج ، والنهوندِ ، والخبز
صغيراً كان تاريخي .. وكان بعمره عزي
وأنتَ تعبتَ ، أنتَ شقيت .. حتى عدتَ بالكنز !

* * *

قروناً يا أبي .. وانهدّ منك الكاهل المتعَبْ
وغاص العبء تحت رمال حقل النكبة المجدب
وناداني فراخي الزغب ..
— لا ماءٌ ، ولا شجرُ
ولا فتحٌ ، ولا جابٍ ، ولا عمَرُ
فلا تغضب !
ولا تعتب !
إذا أغلقت أبوابي بوجه الأمس
إذا أبدلت أثوابي .. وغادرت الرحاب الدمس
وان ودعت أزهاري

وان قبلت نصب الرمس
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

أبي .. لا كتبُنَا الملقاةُ تحت نِعالِ هولاكو
ولا فردوسنا المردود فردوساً إلى أهله
ولا خيل الصليبيين
ولا ذكرى صلاح الدين
ولا جندينا المجهول في حطين
تشدُّ خطايَ للانقاضِ ، للمنفى
فمن حبي لأطفالي
أشيدُ مصانعاً كبرى
وأرتق معطفي البالي
وأبني مسكناً حلواً .. وأخلق جنة خضرا
ومن حبي لأحفادي
أصادق أنبل الأصحاب

واتقن في مدارسهم علوم الطب والأحياء والذره
وأرفع رايتي الحره
وأجمع حولها الأحباب
فلا تغضب
ولا تعتب
إذا قبلتُ نصب الرمسْ
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

وداعاً يا أبي الغالي ! وداعاً يا صديق الأمس
فإن أكفّ أصحابي تدق الباب
وصوت الآلة الحسناء يدعونا
لنبدأ رحلة الأجيال .. قبل الشمس

مرثية بدر شاكر السياب

من سبلَ في الغربةِ جفنيه ؟
من شد بمنديلِ الأموات يديه
من ودَّع آخر قطرة زيت ؟
مَن خطَّ وصيته قبل الموت ؟
من صلَّى يا ناس ، عليه ؟

* * *

مات غريباً يا بغداد
قنديلُ الأحزانِ المُشْعَلُ في مأساتك

فليُنجب أحرارُكِ أولاد
يلهون بلا أحزان
في الضوء الغامرِ ساحاتِكْ
واذكر يا دجلةُ انسان
سالت من دمه قطراتٌ ، في دفقاتكْ !

* * *

يا بعضَ الإخوة .. يا بدرْ !
أَغلق في وجهي بابَك
واهجر أحبابك
لا لوم على أيوبِ العصرْ !
يا بدرْ !
بالكلمةِ أحلِفُ ، بالحبِّ
أن أروي طول حياتي أخبارك
أن أحفظ أشعارك
عن غيب !!

على أكتاف أشعاري

بلا عينين ، يا هذا ؟ .. بلا شفتينْ ؟!
بلا قلب نبيلِ النبضِ .. يذكر حبه الأول ؟
فقل لي أينَ .. قل لي أينْ ؟
جذوري شدَّها ماض .. وشَدَّ الجذعَ مستقبل ؟
أنا عاهدتُ – حتى الموت – أطفالي وآلهتي
وأنت تريد معصيتي
كفى ، يا أتفه الأوثانِ .. لن أقبلْ !!

* * *

لمن هذي السياط الحمرُ .. والأغلال .. والبارود ؟
لنسر القمة المفؤود ؟
لدوريٍّ يجوب الأرض منفيّاً ؟
ويحكي بين كل الناس عن فردوسه المفقود ؟
لحرف عوّد الأحزانَ أن تغلي ..
وقلب الصخرِ أن يأسى ؟
أنا .. يا بابيَ المغلق !
على مر الليالي السود
أحسُّ بنكبتي أعمق !
أحسُّ بنكبتي أقسى ..
أحسُّ بأحرفي .. شوقاً لأن تُحرِق
وأن تُغرِق !
وأن تُحيي ، وأن تُزهِق !
أنا عاهدت – حتى الموت – أطفالي ، وآلهتي
وأنت تريد معصيتي

وأن أنسى !
كفى يا أتفه الأوثان .. لن أنسى !!

* * *

إلهَ اليُتمِ ، والأحزانِ ، والتشريد .. لا تغضب !
اذا ما دمَّعت عيناك جوفَ دخانِ أشعاري
فمنا .. جثث الأحباب !
ومنا .. الكُتْبُ ، والأغصان ، والأثواب !
ومن ساحاتنا .. الحفره !!
ومنك .. النفط والجمره !!
إلهَ الحرب ، فلتغضب !
اذا ما دمَّعت عيناكَ جوف دخانِ أشعاري
فمن يُتمي ، ومن حزني ، ومن جوعي ومن عاري
يَشِبُّ لهيبُ أشعاري
ولن أتعب !
طوالَ العمرِ ، لن أتعب !

من الجرح الذي عمَّدت في مجراه أوتاري
فقال : اشرب .. !
ووزَّعَ لون راياتٍ ، ووزَّعَ لونَ أزهارِ !!
أنا عاهدت – حتى الموت – أطفالي وآلهتي
ولن يحظى بمعصيتي
رسيسٌ ، عن رماد البعل .. يلهث خلف مركبتي !
يشد خناقه صوتي
ويعصر قلبهَ صوتي
ويقتله .. بلا موتِ !
شروق الشمس !
محمولاً ، على اكتاف أشعاري !!
فدُمْ للشعب .. يا صوتي !
ودُمْ للبعل .. دُمْ سيفاً من النار !

حوارية العار

« افتتاحية »

سلطانُ — أرضي أمسِ — يذرع بهوه الفخمَ الرهيب
وعلى أكُفِّ إمائِه
أطباقُ « ألماسٍ » وإبريزٍ وفضه !

« السادن »

مولاي يمتثل الجميع
الخزي .. والدم .. والدموع

والعبد ، عن كـَرَمٍ ، يبيح السيدَ المعبود أرضَه
ويبيحه ، ان شاء عِرضَه ؟
هذي صكوكُ الذلّ .. وقـّعها القطيع
وتهافت الخصيان ، فامنحهم فتات المائده
واغفر لمن ماتوا على درب الرياح العائده !
أكفانهم مِزَق البيارق
وقبورهم وحل الخنادق
إغفر لهم ! فالوغد أُوزيريس ! ضللهم
بمرشات الحروف الحاقده !
– مولاي ! يا الإسكندر العصري
يا باري الغيوم الواعده !
أَمطر على الأتباع ياقوتا ..
ونيراناً ، على زمر الفلول الجاحده !
هذا الزمان ، كما تشاء
ورهنَ شهوتِكَ الفلَكْ

والخصب في كفيك
يا تمّـوزنا !.. والمجد لك ..

« العبيد »

المجد لك !
المجد لك !!

« أوزيريس »

عبر القرون الدامسات ، وعبرَ طوفانِ الدماء
عبر المذلة ، والخيانة ، والشقاء
عبر الكوارث والمخاطر
عبر المسافات السحيقة ، عبر آلاف المجازر
عبر انكسار الرافدين ،
وعبر أحزان الجزائر

عدنا ..

وملء قلوبنا ، وهج النُّبُوَّةِ والفداء

عدنا .. وملء شفاهنا ،

تسبيحة الأفق المكبل .. للضياء

عدنا ..

فإما للزوايا الدُكن .. يا شعبي !

وإما لِلّواء !!

« الشاعر »

غيرَ اللواءِ الحر لا نترسَّمُ
وبغير صَكِّ جراحنا لا نقسمُ
ولغير قُدسِ الشعب لسنا ننحني
وبغير وحي الشعب لا نتكلم
فلتشرب الراياتُ نخبَ جراحنا
كأساً يفيض على جوانبها الدم !

« السلطان »

باسمي !
أعدو النَّـطعَ للصوتِ الغريبِ على فنائي
وَليُصلب المتمردون على مشيئتيَ الوحيده !
ولتُحشد الأسلاك ..
والجوع المذلّ ..
وعُدَّة الموت المريده !
وليُسحق الأوباشُ — أوباشُ العقيده
أنا صانع التاريخِ كيف أشاءُ
حرٌّ في عبيدي .. في إمائي !!

« السادن »

مولايَ ! مولايَ المُطاع

الآبقون التافهون .. فمٌ يصيح .. ولا ذراع
ألـّب عليهم حسرةَ المنفى وأوباءَ السجون
واجعل ضمادَ جراحهم ملحاً و كبريتاً وطين
واضرب بقدرتك الجليله
لنرى جباههم على نعليك ، خاشعة ذليله
وإذا أمرتَ .. فإنني سوطٌ ، ومقصلةٌ ، وسيفُ
وإذا أمرتَ .. فإنني لعنات جاحمةٍ وبيله
لا تسأل الأحطاب : من أيِّ الجذوعِ ؟
ولا تعفُّ !!

« العبيد »

ـ ما شئتَ لك
ما شئتَ لك !

« أوزيريس »

مستنقعات الصمتِ للديدان .. فليقنعْ بصمته
مَن باع للشيطانِ جذوتهُ ، وخان عهود بيته
مستنقعات الصمت للديدان ..
والقمُم العصيّه
للشمسِ ، والبصرِ الجَسُور !
فتهيّئي للقائنا .. يا واحة الله القصيّه
نبتت برغم الريح .. أجنحة النسور !
وقلوبنا عادت غنيه !
وجذورنا ظلت قويه !
عدنا ! رجالَ الأرض ! إن شحّت ، وإن كانت سخيه !

« الشاعر »

قسماً بأطلالٍ لنـــا تتكلمُ
وبصحوةٍ تبني الزمانَ وتهدمُ

قسماً بمن أَهوَوْا ، وآخر شهقةٍ

منهم بميدان الفداء : تقدموا

قسماً بأعراس الجراح وفجرها

غيرَ اللواء الحرِّ .. لا نترسَّم !

حوارية مع رجل يكرهني

– روما احترقت يا مجنونْ !

* روما أبقى من نيرونْ !

– روما لن تفهم أشعارك

* روما تحفظها عن غيبِ

– روما ستقطّـع أوتارَك

* ألحاني تصعد من قلبي

– في صوتك ذلُّ التاريخِ

* في صوتي غيظ الصاروخ

– الدربُ طويل

* لن أتعبْ

– يا هوذا باعَكَ

* لن أُصلبْ

– أجدادي احترقوا في « أشقتس » (*)

* قلبي معهم .. فانزع من جلدي الأسلاك !

– وجراح الأمس ؟

* دعها وصمة عارٍ .. في وجه السفاح هناك !

– ماذا في كفك

* حفنة قمحْ

– ماذا في صدرك

* صورة جرح

(*) اشقتس ، هو المعتقل النازي الشهير الذي كان اليهود يحرقون فيه .

– في وجهك لون البغض.

* في وجهي لون الأرض.

– فاسبك سيفك محراثا

* لم تترك لي من أرضي ميراثا

– يا مجرم !

* لم أسرق .. لم أقتل .. لم أظلم !

– يا عربي يا .....!

يا هذا .. يشفيك الرب

يا هذا جرب طعم الحب

يا هذا ،

أفسح للشمسِ الدرب !

وحيداً في ليلة رأس السنة

النّاسْ
كُثُرٌ من حولي ، كُثرُ
سودٌ ، بيضٌ ، صُفرُ
من كل الأجناسْ !
والموسيقى
أسراب من كل طيور الله
الفالس .. رفوفُ سنونو

السمبا .. نقلة دُورِيٍّ
داخت من رجليهِ غصونُ
والحجل الكارج في السهلِ
باسو دوبلي !

* * *

الناس
كُثُرٌ من حولي ،
يُحكى أنَّ الليلةَ عيد
عامٌ يتوارى في الظلِّ
ويُطِلُّ جديدْ .
والناسْ ،
جاؤوا من كل الأجناس
جاؤوا ، أرديةً مكويَّهْ
تتدلى من أطراف وجوه شمعيَّه
جاؤوا .. بسماتُ المومياءات

في الشمع الشاحب محفوره
والضحكات ،
رَجْعُ الأجراس المكسوره
يأتي من خلف الغابات
من خلف الأسلاك وأفران الغازات

* * *

ـ « هاتوا الوسكي !
ـ هاتوا صفارات العيد » .. وأبكي !
ماذا أفعل في هذي الشلة ؟
ماذا ؟ أنتظر القبله !
في منتصف الليله ؟!

* * *

أسلاكي ، ما زالت
وخيامي ، ما زالت
ودمي .. يستصرخ في الطرقات !

ما أفعل هذي الليله ؟
قدماي مسمَّرتان على المصطبة المثلوجه
والدمع الممطر في خلدي
يسقط في حلقي .. حبَّاتٍ من بَرَدٍ !
ويدي انهارت
فوق المائدةِ الملأى .. مفلوجه !.

* * *

منتصف الليله ..
الضوء انشلَّ ، وماتت كل الشمعات
وعلْت في العتمة كركرةُ الضَحِكات :
– هاتي القبله !
– « هاتي القبله »
وانهارَ على شفتيَّ رفات !
– أيتها العاهرة النذله
أيدي القتلى

تعلو وتدقُّ .. تدقُّ توابيتَ الظلمات
عاد الأموات
عاد .. الأموات !
وتوارى عامٌ في الظلِّ
وأطلَّ جديد ،
فالليلةَ .. هذي الليلةَ .. عيد !
وأنا أهوى ، وأُجيد
في زفةِ أحبابي ، ومواسم أهلي
رقصاتِ الشعراويةِ ، والهورا ، والباسودوبلي !

الحاصد الأول

ُولدتُ على يَدَيْ كرمهْ
فخُذْ من ضَرعِها قطره
اذا أفلحتَ .. ُخذ قطره
فقد علمتُ عنقودي متى يكره
ويعطي المفتري ُسمه !

* * *

حفرتُ اسمي على القمه
حفرتُ اسمي وتاريخي

فقبِّل نعلَ شمروخي
ورواد أُختيَ النجمه !

* * *

بنيتُ لعنزتي صخره
فحوّلها اذا أفلحتَ ..
حوّلها الى حفره !
دعِ المنجلْ !
فبين سنابلي إفعى
لغيرِ الحاصد الأول
تـعَلـَّم نابُها اللسعا !

* * *

بجلدي .. أيها المخدوعُ لن تدفأ
أعِـد جلدي !
أنا ، والشمس ، والمرفأ
على وعد !

وصوتي .. قاهرُ الإيقاعِ .. لا يُطفأ !

* * *

نفضتُ الحزن عن وجهي
نفضت الليل من قلبي
وسكيني محددة ، ولا أخشى
عُواء الذئب في دربي
فهل تغشى ؟
سبيلَ الموت .. هل تغشى ؟
أنا شعبي ،
يدٌ للسلم أبسطها ..
وأقبضُ في يدٍ نعشا !!

يا قمرنا المغدور

طلعوا من الوادي الحزين
من شاطىء الفولاذ والدم والمراكب والجنون
طلعوا من الأكواخ واللغة الغريبه
من عالم القرميد والريح الكئيبه
وتسلقوا السفح المهين
عبر الأراضي البُور والذكرى وآلاف العيون
وتصايحوا بضجيج قافلة شريده :

لا تغمدوا الأوتاد ! إن حدودنا ظلّت بعيده !

* * *

ماضيك ُتثقِلهُ الأناشيد الرتيبه
وزهورك الحمراء يابسة .. وعنزتك الكئيبه
ماتت من الجوع اللعين
ماذا تريد ؟ امتصَّت الرعيانَ أوطانٌ جديده
وأنا أموت هنا .. أموتُ وما لديّ سوى قصيده
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين !

* * *

إن غازلَتك سحابة بيضاء .. دعها في أمان
وإذا بكت دعها فإن الأرض ما زالت حبيبه
وأنا غرزت أظافري الحمراءَ في قلبِ الزمان
وهتفت من أعماق أعماقي : موانئُنا قريبه !
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين !..

* * *

في الكُتُبِ أشياءُ عجيبه
وربابة الأعمى تكذّبها .. وآثار المضافة والزريبه
وصدى أبي سامي وآلاف الحكايات الرهيبه
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين
يا أيها المتروك مشجوجَ الجبين
شبّابةُ الراعي تعود ! فلا تملّ من الحنين
والكادحون من الصباح الى المساء
الطيبون الأوفياء
والخاملون من الكسالى واللصوص المارقين
إني أحس دبيبهم
في جبهتي إني أحس دبيبهم ..
يدوي ، وفي مجرى الدماء !
يا أيها المتروكُ مشجوجَ الجبين
أتقول : صاروا لاجئين ؟
ستقول : كانوا لاجئين !
ستقول : كانوا .. لاجئين !!

الأعلام

أنزِلوا الأعلام عن شُمّ القلاع !
أنزِلوا مهزلةَ الألوانِ عن شم القلاع
واغسلوها بدموع الأمهات
والصبايا الوالهات ..
بعد أن ودّعن أحباباً ،
مضوا للحربِ آمالاً .. وعادوا .. ذكريات !

* * *

إغسلوها .. علّها تبيضُّ ، تبيضُّ .. وترتدُّ شعاعا
أو شراعا
ينقذ الأحياء من نكبة ميناءٍ وحيدٍ يتداعى !

* * *

من قرون .. لم تزل .. في كل باب
راهباتُ الثكل
يبكين لدى الفجر .. يسائلن الغياب
ويُغنين .. يهدهدن جراحاً لا تنام :
أيها الغائب عن أهلك ، طوّلتَ الغيابا
أيها الغائب ، ما زلنا حنيناً وارتقابا
أيها الـ ...
خبّره يا طير الحمام !

* * *

لمن الرايات .. ملء الأفق .. في كل طريق ؟!
ولمن تَشبع من حنطتنا أفعى الحريق ؟!

ولمن ننزف أمطار الدموع ؟
ولمن نعرى ونخفى ونجوع ؟
ولمن تزحف تحت الليل أكداس الرقيق ؟
أيُّ تنينٍ خرافيّ الألوهه
سملَ الأعينَ في تاريخنا .. أدمى وجوهه !!

* * *

يا يتامى فقدوا في يُتمهم طعم الحياة !
يا صغار الأنبياء !
يا رُواةً حفظوا كل أساطير السماء ..
شيِّدوا البرجَ .. فقد نادى الإله
وبكى « نوح » على الطوفانِ .. طوفانِ الدماء !!

أزوريس الجديد

أنا والسيول المستميته ..
مُذ كانت الأمطار والأحزان والشمس العنيده
نحيا على جرف النفايات المقيته
ونـُعدُّ للدنيا الجديده !

* * *

أنا والسيول المستميته
في سفرة لا تنتهي .. حتى نعيد إلى الحدائق
حسونها المنفيَّ .. والجذر المترمِّدَ في الحرائق !

حتى يشبَّ اللوز والزيتون والتفاح
في جرح الخنادق !
ويرمِّمَ الانسان أنقاضَ المدارس والمصانع
وتفجِّرَ الألغامَ أنهاراً ..
وتخضرَّ المزارع !

* * *

أنا والسيول المستميته
يا زوجتي إيزيس .. آلهة مريده
لن ننتهي في مسلخ القرصان أشلاءً شتيته !

* * *

ما كان منا أمس يا إيزيس .. أحلامٌ شهيده
في الأرض نبعثها غداً ..
دنيا منوَّرةً .. جديده !!

نناديك

نناديك .. من آخر الآخره !
فمدَّ يديك
لقعر جهنَّمنا الكافره ..
وخذنا إليك !
نناديك ، والبحر دوّامةٌ
بدون قرار
وبعض شراعٍ يحشرج في اللجّ :
أين الفرار ؟!

ننادي . وفي جذع تاريخنا
تحزُّ الجريمه
فهلاّ أجرتَ من الفأسِ .. فأس العدوِّ القديمه
جذوراً طواها رماد الهزيمه !
نناديك .. والأرضُ تسأل :
من أنتَ ؟ من أنتَ .. من ؟
فاطلق جوادكَ من ُقمقمِ الأمس ..
واطوِ الزمن !!

سينراما

- ١ -

فى الغرفة الأخرى ، ثياب امرأةٍ ورجلٍ
تبعثرتْ .. كأنما فى عجَلِ
وَهمسُ موسيقى .. وبعضُ جُمَلِ
ورفَّ فى الشباك طائرٌ عجيب
قال : أنا المحبوب والحبيب !
ثم اختفى .. ولم يقل .. لم يقلِ
متى يحين أجلي !

- ٢ -

لم يتركوا لي مطلعاً يُقال !
لم يدَعوا لمقلتي جمال
ويضحكون حين يسمعونني
أُراود الرياحَ أن تَحمِلَ لي الجبال
القدماء الميتون .. من يعيدني
إلى عصور مجدهم ولو لحظة ..
لا كنتَ يا خيال !

- ٣ -

في وحدتي آذَنُ للأحزان
أن تنفضَ الرماد عن لواعجي
وتطرد الدخان .

وفي بصيص جذوتي يبرز للعَيان
حسابُ إنسانيّتي .. بلا خداع
فتقرع الأجراس في قلبي بلا انقطاع
لم يَمُتِ الانسانُ في قرارتي ..
لم يمتِ الانسان !!

لمن أعطيك

لمن أُعطيك يا حُبي .. لمن أُعطيك
ويا شعرَ الهوى قل لي .. لمن أُهديك ؟
لمن ؟ والأرضُ قاسيةٌ .. بلا قلبِ
لمن ؟ والشوكُ أكداسٌ على دربي
لمن أُعطيك ، يا حبي ؟!

* * *

أتذكرُ طفلةَ الماضي .. وألواناً من اللهوِ
ونبع الظلّ .. والمخبأ

ونحن هناك ، لا نفتأ
ندوخ بلعْبنا الحلوِ
وراء السور .. بين اللوز والرمان والسروِ
أتذكر زرقة العينين والبسمه
وشُقرة شعرها المنعوف للنسمه
وقُبلتَها على خدي
وعضّتها على زندي
وشكواها الى أبويَّ .. أني طائش .. أزعرْ !
أتذكر أنت ؟ هل تذكر ؟

* * *

وفي يوم من الأيام
صفَرتُ لطفلتي الحلوه
فجاءتني على مهلٍ .. بلا ضحك .. بلا نشوه
وقالت لي ، بدون سلام :
أتفهم ؟ إن أمي لم تعد تسمحْ

وإن ناديتَ بعد اليوم ، فالشباك لن يُفتح
تركتُ اللهوَ يا أبله ..
لأني .. لم أعد طفله !!
فقل لي يا جريحَ القلب .. يا حبي لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكر رنّة الجرسِ
وعهد الكُتّبِ والزملاءِ .. والحلوه
تجيء بثوبها الكاكي .. بلا حرسِ !
أتذكر حصة التاريخ .. والاستاذ يشتبهُ
فينهانا بإصبعه ،
عن اللفتات والبسمات ..
ويزجرنا : كفى انتبهوا ..
كفى .. انتبهوا !
وفي يوم من الأيام
تلفتْنا .. فزلزلَنا خواء المقعد الغالي

ومرّ الدرس .. مرّ الدرسُ مشلولاً .. ببطء العام
ولم نفهم سوى أحلام !
وما كدنا نلمُّ الكتب .. حتى كنت أرقبُها
وعبر الشرفة الزرقاء .. أشرق وجه والدها
وأشرق وجه خالتها ، وجدتها ، وعمتها
وبعد سجائر كُثْرٍ .. وبعد الحزن واللهفه
أطلّتْ حلوةُ الشرفه !
وراحتْ ، خوفَ عينِ الأهل والجيران ،
تحدقُ فيَّ مأخوذه ..
أنا .. ما عدت .. تلميذه ..

* * *

فقل لي يا حزين الوجه .. يا حبي .. لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكرُ حلوةَ المكتبْ ؟
أجيء مبكراً للشغل .. كي أحظى بصحبتها

لبضع دقائقٍ .. أحظى بصحبتها
أشاركها أغاني الصبح .. أشربُ بعضَ قـَهوتها
ومن فنجانها .. أحكي لها أسرارَ سيرتها
كما شاء الهوى .. أُنهي أنا تاريخَ قصتِها !
فتضحك حلوة المكتبْ
وتفهم .. أنني .. مُعجبْ
وتضغط كفـَّـيَ الحرّى براحتها
وفي أعماق عينيها
أحسُّ بكل رغبتها !

* * *

وفي يوم من الأيام
حملتُ الشوقَ زوّاده
وجئت مبكراً للشغل .. كالعاده !
ولم تستقبل الحسناء شوقي بابتِسامتها
وماتت ، قبل مولدها ، بقايا من تحيَّتها

وحين اشتدَّ بي غيظي
تعثّـَر ثغرُها المحموم ، في لفظٍ بلا لفظِ :
إليكَ سوايَ ألعوبه ..
فإني اليوم .. مخطوبه !!

* * *

أتذكرُ أنت .. هلْ تذكرْ
أتشعر أنني أكْـبُـر ،
وأني بتُّ أخشى الشيْب والوحده
فماذا بعدَ سرِّ الخوف .. ما بعده ؟!
كفاني في الهوى جهلا
فإني لم أعُد طفلا
وقل لي يا عميق الجرح ، يا حبي ، لمن أعطيك ؟
لمن .. يا متعبي أُعطيك ؟!

في ذكرى المعتصم

المبشر

إذا حدثتَ يا هذا فبشرْ قاتلاً بالقتل !
وبشر سارقاً أرضَ الجياعِ وقمحَهم .. بالمحْل
وبشر هاتكَ الأعراض .. بالعارِ
وبشر مُلحداً بالشمس .. أن سيؤولُ للنارِ
وبشر قاهرَ الأيتامِ .. بالذلّ
وبشر من يغلُّ الحر .. بالغَلّ

وقل للناسِ .. قل للناس ، إن الليل لا يبقى
وقل للبحر إن هناك من يأسى على الغرقى
وقل للعقل إن هناك من يهزأ بالحمقى
وقل لِنَبُوخَذَ المأفون
إن الحُرَّ لا يستمرىء الرّقا
وطُف في الأرض .. طف فيها ، وبشر جَدْيها الخائف
بأن الذئب مرتعد الفرائص .. راجفٌ .. راجف !
فسيف النار مبعوثٌ .. وإيليًا
وصوت الله .. كيف نشاؤه يأتي
ويملأ .. يملأ الدنيا !!

الزوجة

دفعتُ مآثري مَهرا !
وحطمتُ الصخور الصمَّ كي أبني لها قصرا
ومن صحرائيَ الكبرى

خلقت لحلوة الحلوات ، ألف حديقة خضرا
وفجّرت العيونَ الزرقَ في البيداء
ودجّنت الجبالَ الشم والأنواء
وروّضت الرمال على هوى الأزهار والانداء
وعوّدت السواقي المُوجَ ألاّ تؤذيَ العطرا
ولم أُسرج جياد الغزو يا « بابل »
ولم أخدعك .. لم أغدرك يا « بابل »
وما علـّقتُ في بابي لواء الغدر والباطل
فما لحبيبتي تُسبى
وما لعواصفٍ غضبى
تفزّعُ جنتي الوسنى .. تُهدّم سوريَ الآمن
ومن مستنقع الأحزان تدفع ماءها الآسن
يُمزّق شملَ أطياري
ويخنق طِيبَ أزهاري
وما للشمس يزجرها غمامُ الحقدِ عن داري

وما للحاكم التتريِّ لا يأسى لأطفالي
ويجلدني بسوطِ الغدر والقسوه
ويخطف زوجتي الحلوه
يدوس مشاتلي الخضراء
ويُذكي النار في الأهراء
وما لِلسَّيلِ لا يفهمْ
بأن الشمس لا تُلجم
وأن المارد الجبار سوف يهشم القمم
وما لنبوخذَ المأفونِ لا يقنع
بأن جذورنا في الأرض راسخةٌ .. ولن تُقلع
وأن مشيئةَ الإنسان لا تُهزَم !
وأن مشيئةَ الإنسانِ لا تذوي .. ولا تهرَم
وأني أكره الأخرى
وأعشقُ ، أعشقُ الدنيا
وأني شئتُ أن أحيا !.. وأن أحيا !

الضوء

معي أنتِ !
معي في القلب ، في العينين ، في الصوتِ
معي من رعشة الميلاد .. حتى رعشة الموتِ
معي أنتِ ،
فماذا لو هزمتُ الريح من أفقٍ الى أُفقِ
وماذا لو عصرْتُ الشمس فوق مشاتل الشرقِ
وماذا لو زجرتُ الذئب
عن شاتي وعن بنتي ؟
أيرجمني صغار الجار ؟
أيخطف زوجتي عِلجٌ يعافُ قراءةَ الأشعار ؟
وتحصدُ ما زرعتُ النار ؟!

* * *

لأجلكِ .. أُسرجُ الأحزانَ

من أرضٍ إلى أرضِ
لأجلكِ .. أركبُ الأهوالَ
من بحرٍ إلى بحرِ
لأجلكِ .. أمنح الكلماتِ للغيرِ
وسوف أظلُّ أمنحها .. موقعةً على نبضي
لأجلك .. يا منزهتي عن البغض !
وسوف يظل
سوف يظل مصباحي بلا زيتِ
فضوء العمر ، أن تَبْقي معي أنتِ ..
معي أنتِ ..

مدينة الردة

سأكْسر قلبها الصلصال !
وأمرّغ وجهَها المشبوهَ .. في الأوحال !
سآخذها — بلا رحمه

وأقذفها – بلا رحمه
وأجعلها – من الأمثال !
لِتفهمَ أنني النسرُ الذي يهزأُ بالقمة !

* * *

سأنثر دربها شوكا !
وأحجار مسنّنةً ، وحَيَّاتٍ ، وأَشباحا !
وأترع جرحَها قاراً وأملاحا
لتُصبحَ قصةً تُحكى
عن العبد الذي يجرؤ أن يلتمس الشكا !
سأحرقُ في قراراتها
إلهَ الزيفِ ، والخذلانَ والشّركا !
لتفهمَ أن من يُلقي حصى الإلحادِ في بئري
سأَصلبه على شِعري
وأتركه ، لبعض الطير .. أتركُه بلا قبرِ !!

آخر الجرحى

أَعدْنا اليوم حملتنا على الأسوار
ولكنا ارتمينا عندها قتلى
وعز جلالُه المولى
أعاد الطير خائبةً الى الأوكار
وسلَّم من نيوب الموت .. سلَّم آخر الجرحى
ليخفقَ صوتُه المخضوبُ بالدمِّ :
هلا ! مرحى !
هلا ! مرحى !
ويُطلقها على سهمٍ
الى أختٍ وراء السور مسبيَّة
يدنِّسُ طهرها المنهوب هولاكو ،
وعُصبتُه التتاريَّه

* * *

هلا يا أُختَه ُ .. مرحى
فماذا يَقبلُ الأضحى
سوى قربانِ أُمتِنا ، وحملتِها البطوليَّه ؟!

* * *

أعدنا اليوم حملتَنا على الأسوار
وقبل الصبح قبل الصبحْ
يُعيد صغارنا الحمله
وتعرف دربَها شُعله
وتأكل مَن تشاءُ النار
وقبل الصبح .. قبل الصبح يا آلِهةَ الظلمه
ستعرف وجهَها أُمَّهْ
ويملأ جفنَها ضوءٌ يعجِّل موعدَ الأنوار !

يوسف

أقصُّ لكم خياماً .. أيها الأحبابُ
من جلدي

وحول مضارب الأحزان
أسقي بالدموعِ الحُمرِ
كلَّ شتائل الوردِ
وإن هبَّت عليَّ الريح ..
أسألُها !
وإن عادت .. أُحمِّلها ..
وأحرص أن أُحدِّثَها
ولو ظلت بلا ردِّ
سلاماً .. أيها الأحباب
يا إخوان .. يا جيران .. يا أصحاب
سلاماً !
كيف أنتم في فصول الحرّ والبردِ
وكيف الحال
على الأِطفال ؟
وكيف رفاقنا الموتى ؟

هل اعتادوا وراء السور
طول الليلِ .. والصمتا ؟
وكيف إمامُنا يعقوب ؟ -
تُرى ما زال – يا ناري على عُكّازةِ الوجدِ
يدٌ .. من طولِ صمتِ الثّكلِ
لاصقةٌ على الخدِّ
وأُخرى .. في قميص الدمِّ
غائصةٌ بلا حدٍّ !؟

* * *

أحبائي ! أحبائي !
اذا حَنّت عليَّ الريح
وقالت مرةً : ماذا يريد سميح ؟
وشاءت أن تزوّدكم بأنبائي ..
فمُروا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب
وقولوا : إنني من بعد لثم يديه عن بُعدِ

أُبشِّرْهُ .. أُبشِّرْه ..
بعودة يوسف المحبوب !
فإن الله والانسان ..
في الدنيا .. على وَعْدِ !!

الرسول والعيد

لبسْنا أجمل الأثواب
وفتّحنا نوافذنا .. وشرّعنا لك الأبواب
رشقْنا الدار
فرشْنا الأرض بالأزهار
وألّفنا الأناشيدا
وأعلنا قدومَك يا حبيبَ حياتِنا عيدا
فلا تُخفِضْ لنا وجهاً .. ولا تُثقِل لنا جيدا
ولا تَحرِمْ محاجرنا من الأنوار
ولا تحرم مساكِبَنا من الأمطار

فأنت ربيعنا المفقود
وأنت صباحُنا الموعود
نذرْنا في قرون القيظ والأحزانِ .. من أجلكْ
فـَطـَوِّفْ في صحارينا
وأغدِقْ فوقها الموفورَ من ظِلـِّكْ
فإنك منذ بدء الليل فجرٌ في أغانينا
وإنك يا ابن لهفتنا .. عزاءٌ في مآسينا
رضينا باسمكَ التشريد والحرمان والبيدا
وأعلنا قدومـَك يا حبيب حياتِنا عيدا
فلا تُخـْفِـضْ لنا وجهاً .. ولا تُثقِل لنا جيدا !!

الجسر

سأعبر جسركَ المشؤوم .. يا تيار أحزاني !
سأعبره بلا خوفٍ ، لشط العالم الثاني
فإن نداء أطفالي
وراء الأفقِ إعصارٌ يزلزلني

لآتيهم .. على أنقاض أجيالٍ وأجيال
وإن نداء أجدادي
وراء خطاي يدفعني
وريح الحزنِ والأشواق تحملني
إلى فردوسي الغالي
وعبر ضباب أبعادي
منارات تضيء الدرب
وتلهمني أغاني الحب
وأبَّهةً ، وأفراحاً .. لأعيادي
ومن تاريخ خذلاني وأمجادي
يدٌ مخضوبةٌ تمتد
وصوت هازم كالرعد
شجاعٌ .. صارمُ الايقاع .. يصرخ بي :
تخيَّر أيها العربي :
طريقُ العارِ مفتوحٌ لكل زمان

ودربُ المجد ! .. هل تفهم ؟ .. درب المجد !
فخُذ من أدمعي ما شئت
سأوقد مشعلي بدمي
وأصبغ رايتي بدمي
سأفقدُ لقمتي الشوهاءَ ، أحفى ، أشتهي ، أَعرى
وأملأ معْدتي .. شعرا !
فقد أقسمت .. قد أقسمت
بالميلاد في أعماق انساني !
سأعبر جسركَ المشؤومَ !
يا تيار أحزاني
سأعبره .. سأعبره ..
لشط العالم الثاني !!

الصعود الثاني

لِيَهنأ أصدقاءُ السوءْ !
لِيَهنأ كل من يجترُّ زيفَ العالم الموبوءْ

ليهنأ قاتلٌ وَغـدٌ .. يشيِّـعُ جثةَ المقتول
ليهنأ توأمُ العنقاء .. وابنُ الغول
فإن طريقنا الممتدْ
إلى أروع ما في الغدْ
يجوب مفاوز الميراث من مولدنا الماضي
ويصعد .. عبر أنقاضِ
يقبِّل كل نصب المجد بين مقابر الأجداد
ويتركها .. بلا ميعاد !
فعُمر الليل .. راح هباء
وأغفت في رفوف الكُـتْـبِ .. كل وثائق الأنباء
وعمر الشمس .. أشرِعةٌ بلا ميناء
ومَهرُ هنيهةٍ منه .. جميـعُ قصائد الشعراء
فماذا يطلب المشلولُ ، والمجذوبُ ، والأعمى ؟
وماذا يطلب السرطان والجدريُّ والحمَّى ؟..

* * *

قصائدنا ..
مُوَقَّعةٌ على الفولاذِ والأخشابِ والصخرِ .
وأُمتنا ..
تَحُثُّ الزحف ..
ما زالت تحثُّ الزحف .. للفجر !
فإن كنا .. رماد النار !
وإن كنا ..
دماً حَنَّى بنوداً ظللت أحرار !
وإن رَصَفَتْ جماجِمُنا
طريقَ النصرِ للثوار
لِيَهنأ أصدقاء السوءْ !
ليهنأ .. كل من يجترُّ عار العالم الموبوء
فإن طريقنا يمتد
على الألغام والاشلاء والأنقاض والصبار
يظل طريقنا يمتد ..
إلى أروع في الغد !!

الوحدة الكبرى

كفى ! لن نقبل العُذر !
إذا لم تُمطر الأحزان
إلى أن تُخصب الكثبان
ويُؤتي التمرَ موفورا ..
نخيل الوحدةِ الكبرى !
كفى لن نقبل العذر !
إذا لم تغدُ غاباتٍ مداخنُنا
وإن لم تغدُ ميناءً شواطئنا
وإن لم تغدُ جناتٍ مرابعُنا
يُعيِّد في مباهجها
أهالي الوحدة الكبرى !
كفى لن نقبل العذرا !
فقد طالت أمانينا
ولم تهدأ أغانينا
وضحينا الملايينا

قرابينا ..

فدىً للوحدة الكبرى !

كفى .. لن نقبل العذرا !

ومِلءُ مدارجِ التاريخِ

أفواجٌ من الشهداءْ

ومِلءُ مدارجِ التاريخِ

خيل خانها الفرسان

وفرسانٌ بلا خيلٍ

وراياتٌ بلا شجعان

ومِلءُ مدارجِ التاريخ

ما أوصى به الأمواتُ للأحياء !

فإنا نُسْلِمُ الشُعلة

وميثاقَ السنى العائد

لكفِّ الرائدِ .. الرائدْ

ولسنا نُطفىء الغلَه

بغير الوحدة الكبرى
وكوثر عدْنِها الخالد
فمدّوا الكف للكفِّ
وضموا الصف للصفِّ
وشدّوا ، أيها الأحباب
شُدّوا الساقَ والساعد !
لنبني بيتنا المنشود ..
بيت الوحدة الكبرى !!

معتصماه !

أتسمعُنا .. نهزُّ الكون ، من أقصاه ؟
أتسمعنا .. إلى أقصاه !
نبوح بكل ما نلقاه ،
نبوح ، زوابعاً حيناً ، وحيناً ، آه !
أتسمعنا نحاورهم :

– أيبقى الله في منفاه ؟!

ونصرخ من قرار الليل

معتصماه ! معتصماه !

أتبصر فأسنا المكدود ؟

يشج مغالق الأسداف ، عن إشراقنا الموعود ؟

وينقش في صخور الحزن

لافتةً من النارِ

تشير .. وراء سور الليل ، والحرمانِ ، والعارِ !

الى فردوسنا المفقود ؟!

فوحِّدْ خطوَنا في الدرب !

وشُد القلب نحو القلب !

وعاهدنا على الصبرِ

وساندنا .. الى النصرِ

أو القَبر !!

فقد طالت سنونُ الجوع والفقر !

وطالت لهفة الصحراء ..
للأنهار .. والأشجار .. والآلات .. والأطفال
وطالت صرخة الأجيال للأجيال !
معتصماه ! معتصماه ! معتصماه !!

يفجيني ايفتشنكو

رسالة قد تصل الى الشاعر السوفياتي

« في حديث جرى بين ايفتشنكو والأديبة العربية عايدة مطرجي ادريس، ونشرته مجلة « الآداب » البيروتية ، قال ايفتوشنكو انــه لا يعرف الحقيقة عن القضية الفلسطينية ومأساة اللاجئين » .

— الشاعر —

بالمقالات الطويله
والصوَر
والبراويز الموشاةِ وإتقان الخَبر
عرّفـَتني بك يا المنشدُ في أرضِ البطوله
صحفُ الغربِ الصقيله
والجميله ..
عرفتني بك .. ماذا ؟
عرفتني بك ، مسخاً ملّ أعباء السفرْ
في المخاضات النبيله
وعلى أجفانه ران الضجر
فمضى يبحث في كهف الحضارات الهزيله
عن لُفافاتِ خَدَر
عَرّفتني بك .. ماذا ؟
عَرّفتني بك ، خائن !
يُضمر الحقد – لموسكو وبنيها – والضغائن !

هكذا أقبلَ من شاطئنا الغربيِّ صوتكْ
فاحتقرتك !

* * *

والتقينا بعد حين ،
أنا ، والغرب ، وأشعارك ،
فانجابتْ ظنون،
وعرفتُكْ
واحترمتكْ
يا شقيقي في الجراحات من الماضي الحزين
وشقيقي في كفاح اليوم
والمستقبل الخصب ، بما فوق الظنون !
يا شقيقاً ما رأيتك ..
ألف عفوٍ ..
أحسنَ الغرب طويلا

لعبة الضحكْ على هذي الذقون !
غير أنّا اليوم ، ناس آخرون ،
لعبة الغرب اكتشفناها ،
وسرنا
وقطعنا في سنين
ما فقدناه على مرّ قرون !
والتقينا ذات ليله
أنا ، والغرب ، وأشعارك ،
فانجابتْ ظنوني
ثم عدنا – بعد أن مرت شهور –
والتقينا في مجله
وأتاني صوتك الأخضرُ من خلف السطور :
« أنا لا أعرف شيئاً ! .. حدّثوني ! »

* * *

حسناً يا صاحبي ، أصغِ إليَّ
واعذر الجرح إذا شبَّ لظىً في شفقيَّ
نحن من أرضٍ – يُقال
إنها مهد النبوّات – يُقال
بسطت نوراً وعرفاناً على الدنيا – يُقال
ولنا كانت سهولٌ وجبال
وبيوتٌ ودوال
ولنا بيارة – كانت – وصَدَّرنا إليكم برتقال
واستفقنا ذات يوم
فإذا .. نحن غدونا الصادرات !
وإذا نحن على كل مدى منتشرون
في ضفاف النيل والاردنّ تلقانا
وفي لبنان تلقانا
وفي شطّ الفرات
نحن .. في آسيا ،

وافريقيا ،

وأوربا ،

وأمريكا ،

واستراليــــا ،

على كل مدى منتشرون ،
وإذا – من قمر الله الحزين –
جاءكم صوتٌ .. فقولوا : « لاجئون » !!
يا صديقي ،
أنا لم أُكمل حديثي يا صديقي
أنا لم أكمل ، فمأساتي طويله
وحريقي .
يُغضِبُ الريحَ ، إذا صاح :
« كفى .. رفقاً بها ، أرض النبوات الجميله
يا صديقي
أيها المنشد في أرض البطوله

« وأنا أبدو يهودياً لنفسي [1]
« وأنا داريفس
« والمشتوم
« والمبصوق في وجهي ،
« أنا المكروه ، والمطعون في أعماق حسّي
ظلٌّ « بابي يار » ندعوه لدينا .. دير ياسين
ظلٌّ بابي يار ندعوه لدينا .. كفر قاسم
ونسمي ظل بابي يار أحياناً .. سموع
ولدينا – مثلكم –
حزنٌ ، وغيظٌ ، ودموع !

(١) القطعة الموضوعة بين الأقواس مترجمة عن قصيدة « بابي يار » لإيفتوشنكو ، القصيدة التي يعبر فيها عن عدائه اللاسامية وتضامنه مع الشعب اليهودي . وبابي يار واد في الاتحاد السوفييتي ذبح فيه زبانية هتلر آلافاً من اليهود .

– الشاعر –

ولدينا عزةٌ تأبى ،
وماضٍ لا نُذِلُّه !
ولدينا غضبٌ ،
أكبرُ من شِعري أقله
ولدينا يا صديقي
أملٌ يزهرُ – رغم الشوك – في كل طريقِ
أملٌ ، زنبقةٌ من دمِّ أهلي ورفاقي
من ضحايا عيلبون
وضحايا ميسلون
وضحايا « الجسر » من ماضي العراق
أملٌ ، زنبقةٌ من دمٍّ أهلي ورفاقي
من ضحايا الأطلس الدامي ، وحيّ القَصَبه
وضحايا بور سعيد
وضحايا عدَنٍ ملتهبه ،
وقفت ماردةً ، منتصبه ،
وضحايا يمنٍ .. صار سعيد

ولدينا يا صديقي
ورفيقي
بيرقٌ حنّاهُ قتلانا بألوانِ الشروقِ !

* * *

يا كنار الحب في أرض الشمال
ظلَّ بابي يار يكبُرْ ..
والدم المغدور ، من مُنعطف المجهول يقطر
فتعال
يا كنارَ الحب في أرض الشمال ،
يجد الشعرُ لدينا .. ما يُقال ..

سقوط الأقنعة

سقوط الأقنعة

ولو!

وطني يا قرطاً يتأرجح
من أذن الكرة الأرضيَّه
يا امرأة تفتح
فخذيها للريح الغربيه
يا مجداف القارب
يا الولد الغائب
هل تنهض يوماً ما فيّا ؟
هل تصبح وطناً عاديّا ؟

ينبغي

وجه حرّيتي نطفةٌ في السجون
قوس نصر النهار
ثغرة في جدار
والمقيمون في منزلي .. اللاجئون
بعد حين
ساعة أو قرون
نأكل العشب عامين ممّا تربّي السطوح

ونسوّي لنا بيرقاً
من ضماد الجروح
كل صعب ، يهون
ولذا ينبغي ، ينبغي أن أكون !

المؤمنة

أعدموها قبل عشرين سنه
أنجبتْ أثناءَها تسعة أطفال
– وبعد ؟
– عاقراً صارت ،
فصارت مؤمنه
وأحبّتني كثيرا ..

ديمومة

كائناً في العيون الخفيَّه
كائناً في بذار الأكف البعيده
كائنا في نخاع الجذوع المريده
كائناً في ركام القرى
في الصدى
في بروج الحمام الشقيّه
كائناً في أغاني الشفاه الغريقه

كائناً في بقايا سياج الحديقه
كائناً في هشيم السطوح
في رماد الحريقه
في غبار الخطى ، في وصايا الجروح
أُكمل اليوم .. لا أبداً !

العائد

عاد من كلّ العواصم
عاد محمولاً على الأكتافِ
من كلّ العواصم
وجهه المجبول من طمي بلادي
لم يزل يرشح ماءً وبراعم
عاد في الفجر .. وعادت معه كل المواسم
وعلى جبهته جرح قديم

وعلى عينيه ضوءٌ ، وصراط مستقيم
عاد .. فالباب يغني ، والدوالي والحمائم :
سيدي أجمل قادم !

سقوط الأقنعة

سقطتْ جميع الأقنعه
سقطت .. فإمَّا رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثّتي والزوبعه
سقطت جميع الأقنعه
سقطتْ قشور الماس عن عينيكَ
يا رجلاً يصول بلا رجوله

يا سائقاً للموت أحلام القبيله
سقطت تماثيل الرخام
سقطت دموعك يا تماسيح التواريخ الطويله
سقطت ..
وأبراج الصقور الخدعت عشرين عام :
« أنا يا ضمير الأرض أبراج الحمام »
سقطت أغانيك الحزينةُ
والأساطير الذليله
يا حالماً بالأرض خادمة مطيعه
تعطيك من أختامها ما شئتَ
تكريساً لشهوتك الوضيعه
سقطت ممزّقة على درب الرياح الأربعه
سقطت .. جميع .. الأقنعه !
فلأيّ ربٍّ بعد هذا اليوم تلجأ ؟
أيُّ ربٍّ ،

سيبارك النابالم ، والنّصل الممزِّق لحم شعبي ؟
منذا يبيعك صكّ غفرانٍ
ونابك في ذراعي
يا من تخاف من الشعاعِ
يا من يعزّ عليك نبض الخصب ،
في أرضِ الجياعِ
يا كلب صيد الكرش والغليون
يا سمسار ناطحة السحابِ
يا حارس النفط المدلّل
بين أحضانِ الذئابِ ؟!

* * *

جعلوا شراييني أنابيباً
لبترول الغزاة القادمين من الضبابِ
جعلوا شراييني أفاعي
جعلوا شراييني حبالاً

كبّلتْ شعبي الجريح إلى النخاعِ
وحفرتُ من ملكوت بئر النفط
دربي للشعاعِ
يا من تخافُ منَ الشعاعِ
ونهشتُ بالأسنان بالأسنان
جدران الظلامِ
وهتفتُ بالجيل الممزّق عبر بيداء الضياعِ :
باسم الحياة إلى الأمامِ
إلى الأمامِ إلى الأمامِ .
ويجيء نصلك في الظلامِ
وأشدّ خاصرتي ، وتبقى جبهتي ،
فوق الرغامِ
وتظلّ تصرخُ :
« يا ضمير الناس ! من يحمي من العرب الرعاعِ
بيت الحزانى العائدين من الضياعِ ؟ »

وتشدّ نابك في ذراعي
وأنا أُشيّد سدّيَ العالي .. وأحلم
بالمدارس والمصانع والمراعي
يا من تخاف من المدارس والمصانع والمراعي
من حفنة القمح المبلّل بالدموع وبالدماء
للكادحين من الصباح إلى المساءِ
للثائرين من الجياعِ !

* * *

سقطتْ جميع الأقنعه
سقطتْ .. فإما رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
وروايتي يا مجلس الأمن الموقّر
أصبحت عشرين فصلاً
يا مجلس الأمن الموقّر

أصبحت عشرين ليلاً
عشرين زهرة برتقال
ذبلتْ على دوّار قريتنا المهينه
عشرين زهرة برتقال
جابت طوال الليل أرصفة المدينه
عشرين قافلة حزينه
خرجتْ مطأطئة الجباه
للشرق – أذكر – للجنوب وللشمال
خرجتْ تفتّش عن إله
عشرين زهرة برتقال
ذُبحتْ هناك .. بلا قتال

وأنا ألوبُ ألوبُ في حمّى عذابي
متمزّق القدمين .. من بابٍ لبابِ
وجهي احتقان محاربٍ

أنسوه تاريخ الحرابِ
ووجوه أطفالي صحون فارغه

* * *

ناديت من عشرين عام
يا مجلس الأمن الموقّـر – آه –
من عشرين عام
واليوم ، عبر صواعق متربّصات بالسلامِ
صوتي يجيئك بالبريد
من غابة الدم والحرائق والمرارة والخيام
صوتي يجيئك زهرة حمراء
في العام الجديد :
مَن يأتِ بيتي قاتلاً
يرتدّ عن بيتي قتيلا !

* * *

يا مجلس الأمن القديم
صوتي يجيئك زهرة حمراء ،
من حقل الجريمه
فإلى اللقاء .. إلى اللقاء ..
يا مجلس الأمن القديم
أراك .. في القدس القديمه !

كلمة السر

– للحبر رائحةُ الدمِ
* قلبي وديع مثل نسمه
وجهي نقيّ مثل غيمه
قرّبتُ أغلى ما لديَّ ،
إليك يا جدّي الجميل !

– للحبر رائحةُ الدمِ
* غنمي تظلُّ نظيفةً

شفتي تظلّ شريفةً
ويداي ، باسمك تكدحان ،
من الشروق الى الأصيل ..

ـ للحبر رائحةُ الدمِ
* نسَّقتُ من وعرٍ حدائق
ونحتُّ من صخرٍ مطارق
وتلوتُ ما عندي من الصلوات ،
في الليل الطويل

ـ للحبر رائحةُ الدمِ
* كرمي الفسيح ، بدون سور
أبواب بيتي ،
لا تخيّب طارقاً في الزمهرير
زادي لكلّ فمٍ يسير

ـ للحبر رائحةُ الدمِ

* قدموا من القرميد والفولاذ والدم والضباب
قدموا على تابوت تاريخي ،
وأجنحة الغراب
قدموا ، ولم تُجْدِ الرقى
يا جدّي الأعمى ، ولم يُجْدِ الكتاب
فارفد بنيك بوعظه

ـ للحبر رائحة الدمِ !

* قاسمتهم حزني وأرغفتي
وسقفي والثياب
لكنني أشطُر ابني اثنين
يا جدّي الممزّق بالخراب
فارفد بنيك بوعظه

ـ للحبر .. رائحة الدمِ
* لكنّ قلبي طيّبٌ

ويدي معوّدةٌ على المحراث يا جدّي
وسيفي في القراب
من ألفِ عامٍ في القراب
فارفد بنيك بموعظه

– للحبر يا ولدي الحزين
للحبر .. هلاّ تسمعون ؟
للحبر .. رائحة .. الدمِ !

لم أزل

مدُّني محلولة الشَّعرِ
ورِاياتي غريبه
غير أنّـي يا ذراريّ الحبيبه
لم أزل أدفع في بنك الخصوبه
كل دَين العالم الماضي ،
وأقساط الضريبه !

صحو

لم يُضيّعني صغيرا
ولذا ،
أحملُ من أرضٍ لأرضِ
دمه ، عبئي وإرثي
منذ أصبحتُ كبيرا !

الشفة المقصوصة

كان في وُدّيَ أن أُسمعكم
قصّةً عن عندليبٍ ميّت
كان في وُدّيَ أن أُسمعكم
قصةً ..
لو لم يقصّوا شفتي !

متى؟

حين تميلُ الشّمسْ
مكسورة الظَّهرِ
أقول : كنّا أمسْ
في أوّل الدهرِ

* * *

حين تميلُ الشّمسْ
يا أُمَّ أولادي

أقول : كنـّا أمس
في أسفل الوادي

* * *

أُمـّي على الدربِ
محلولة الشـَّعرِ
تقول : يا ربـّي
متى تميل الشمسْ
مـكسورة الظهرِ ؟

حلول

أطلـعُ في الأمطار
أطلـعُ في البرق الأزرق
في النسمة ، في الإعصار
أطلـعُ من جرحٍ فتحتهُ قذيفه
في صدر جدار
أطلـعُ من عطش الآبار
أطلـعُ من قنطرةٍ صامدةٍ
في وجه الريح

من نصبة لوزٍ صامدةٍ
في وجه النار
أطلُعُ من توقيع الحاكم في ذيل التصريح
من ظلِّ عصيّ الشرطة أطلُع
من محرمةٍ لم تعرف غير الأدمُع
من عَشب الأرض المسروقه
من حقد الشفة المحروقه
من زحف مظاهرةٍ عفويّه
من قذفِ زجاجٍ وحجاره
في وجه الريح الوحشيه
أطلُعُ من غيظ رفيق
أعرفه وقت الضيق

* * *

من لحمك .. أطلُعْ
من رعبك .. أطلُعْ
فبأيِّ إله بعد اليوم تلوذ ؟

سمعتهم

قالوا ،
سمعتهمو .. وهم يتقلبون
من الحريق الى الحريق :
لا بدَّ من يافا .. وإن طال الطريق !

الجواب

جعلوا جرحي دواةً
ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيَّه !

اذا لم

كل الذي يُقال ،
لغوٌ ،
اذا لم يصنع الرجال !

أبدية

تتبدّل الأوراق منْ آن لآن
لكنّ جذع السنديان ..

خبز

القصّة الميراث
والأغنية القديمه
خبزٌ على مائدةِ الديمومه
فلتدخل الأدمغة الخواء
ولتدخل الحناجر السقيمه
في ساعة الوضوء ،
حمّاماتك الدميمه

يا قلعة البكاء
يا مدينة الجريمه !

وطن العجائب السبعين

الحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين
والفقر موسيقى ،
وقتل الله في كمين
خبزٌ ،
واستاذ اللغات الجهبذ العلّامه
والفقه والحكمةِ ،

في تكيَّة السلامه
جحش جحا ،
والحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين !

ركض في الساحات

يوم وُلدنا وُلد الرفضُ
فاستبشري أيتها الأرضُ
عيوننا مفتوحةٌ في الدجى
ضلّ على شطآنها الغمضُ
ويعبرُ التاريخ .. أحزانُه
ركضٌ ، وفي ساحاتنا ركضُ
نقول للمرهق في ليلنا

لا يصمدُ الليلُ .. اذا ومضُ !
نحن هنا .. نحن هنا .. فاهدأي
واستبشري أيتها الأرضُ !

قصائد مهربة

(في ميناء حيفا ، صادرت السلطات كل
ما أحضره الشاعر الآتي من مهرجان صوفيا،
من مطبوعات ومخطوطات وصـــوَر ..
ولكنهـــا لم تستطع مصادرة وشم الذكرى
وهدير الهجس !) .

١ ـــ وداع ١٩٤٨

– عندما ودعتهم ، قالوا : « غبي أو فقير !
يرفض الرحلة للأرض المضيئه
ريثما تغسل آثار الخطيئه »
كان هذا ، أمس ، من عشرين عام
كان هذا أمس ،
واليوم يقولون لأبراج الحمام :
« عجباً ! نحن تركناه صغير

كيف صار اليوم نسرا ،
يتحدى القمم السود وأنواء المصير » ؟
– إسألوا حبي الذي ربيته عشرين عام
أيها الناس !
الذي ربيته من أجلكم عشرين عام
إسألوا حبي لكم
.. والحزن .. والسجن الكبير !

٢ ـ فلسطينية ، في صوفيا

تعرفين جميع الفصول
تعرفين الحديث الطويل
عن غد ضائع في تواريخنا المرعبه
تعرفين الذي أشتهي أن أقول
فارحميني !
ارحميني ..
ارحمي قامتي المتعبه !

لهجتي المتعبه
رايتي المتعبه
وتعالي .. نعش أو نمت ،
ساعة في العناق
طال .. طال الفراق
وأنا عائد بعد حين
للبلاد التي حزنها ياسمين
عائد .. للوثاق !

٣ ــ الجواب

قلت لي : « هل ترى تعيش
إن أنا شئت ، في الألم ؟ »
فإذا بي ، بلا جيوش
أقهر الريح والحمم !

قلت لي : « هل ترى تموت
ان أنا شئت ، في الألم ؟ »
استعارت فمي البيوت

وأجابت معي : « نعم ! »

لست أختار ، فالهوى
سيدي . شئت أم أبيت
في دمي غاص ، وارتوى
وبأحزانه ارتويت !

٤ ــ وداع في صوفيا

لا تقولي : الوداع !
فغداً نلتقي
والذي قال لي قبل عشرين عام :
« المآسي شراع ! »

ولذا ، لم أبع زورقي
ولذا .. لا تقولي الوداع
فغداً نلتقي !

٥ ـ حدث في الخامس من حزيران

يذكر القارىء ،
أو لا يذكر القارىء ،
ما كنا رويناه مرارا
في الدواوين القديمه

يذكر القارىء
أو لا يذكر القارىء ،
لكننا أعدناه مرارا
في عبارات سليمه :

ضربة البرق التي تنقض في عرض الطريق
تغمر العابر بالضوء ،
ولو كان الحريق !

. . .   .

يذكر القارىء ،
أو لا يذكر القارىء ،
لكني ، لكي يفهم كل الناس ما قلت ،
أعيد :
نحن ، في الخامس ،
من شهر حزيران ،
ولدنا من جديد !

٦ ـ يا قيصر الروم

يا قيصر الروم ! قالوا : « الجار للجارِ »
وأنت دارٍ بما حملّتني .. دارِ
دمي يسيل ، ووجهي ضائع ، ويدي
مشلولة ، وفمي سدّوه بالقارِ
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارِ
فاربط كلابك ، خذ عني جراجمة
يطلون بالموت أبوابي وأشجاري

ماذا تريد ؟ وهذي جزيتي .. ذهبٌ
من بيد نجد الى أعتابكم جار
يا قيصر الروم ! قالوا : « الجارِ للجار »
وأنت لي .. حطب التاريخ في ناري !

٧ ــ طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس

ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء .. روائعه بلا حدّ
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !

لا بدَّ أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت !!

قتلي محض باطل

طمئنوا الغدر المبيَّتْ
ان صوتي ليس يكبتْ
وعلى موطيء نعلي ،
كل صخرٍ يتفتَّتْ

* * *

طمئنوا النار الغبيَّه
إن ناري أبديّه

وعلى حضن رمادي
تولد الشمس الوفيه !

* * *

طمئنوا هوج الرياحِ
إنها بعض سلاحي
رغمها ،
– تأتي لحقل ضربته –
باللقاح !

* * *

طمئنوا كل مطاولْ
ان قتلي – محضُ باطلْ
فأنا باقٍ ..
الى ما شئتُ ..
أحيا .. وأقاتل !

قسمات

عنيدٌ أنا .. كالصخور

اذا حاولوا عصرها

وقاسٍ أنا كالنسور

إذا حاولوا قهرها

وصلبٌ أنا .. كالجسور

إذا أثقلوا ظهرها

وحين أثور

تعيد البراكين لي سرّها!

* * *

ولكنني طيب .. كالسنابل
إذا نشدوا خيرهـــا !
وسمح أنا .. كالخمائـــل
ولو أتعبوا زهرهـــا
وعندي سخاء المعامل
وبين أصابـع كفي
تسيل – إذا أسعفتني – جداول !

* * *

وأغفر ذنب العيون
إذا أيقظت سحرهـــا
وراحت من الشرفات تغازل
وأغفر ذنب الجدائل
اذا استرسلت في المجون

وشاءت تقاتل !
وطفل أنا حين ألعب ،
وعاصفة حين أغضب

. . . .

وحين أثور ،
تعيد البراكين لي سرها !!

مكافأة

مكافأتي للرياح العنيده –
غداة تهزّ الخشب
غداة تبلّ وريده
– قطوف العنب !
فقولوا لها أن تبادر
وأن تحمل الماء في دربها
وتبني البيادر

وأن تحفظ الخصب في صلبها

* * *

مكافأتي للرياح العنيده

مهبّ جديد

لدنيا جديده !

أنا ضمير المتكلم
الذي التحم بالفعل الماضي الناقص

شهوة الكدح من الفجر ، وموّال الإياب
مسرب الوعر ، وآلاف الأكف السمر
ترتاح على مقبض باب
والمواعيد أنا ، زغرودة الميلاد
والدمع على تطريز منديل اغتراب
وأنا نعناعة التل

أنا النبع وغصن الورد
والمزراب والمدفأة المهجوره
السطح .. أنا سنبلة الحقل
الشجيرات .. ودوريّ القباب
كنت راعي الغنم الأسمر
والارغول ،
كنت النسمة المبتلة الاردان في البحر
الصواري . الرحلة الليلية .. الشط
انتظار الطفل في باب الغياب
وأنا قطعة أرض ،
سكةٌ .. همة فلاح
رحيلٌ في التراب
فإذا بيارة تطلع من لحمي
وأطفال وخبز وكتاب !

. . . . . .

كنت أستاذ الرياضيات
والأعمى المغني والربابه
كنت فيما كنت .. حطاباً وصيادا
وصيحات وغابه
سائس الخيل .. النواطير .. الكروم
قارىء الأنهار ،
تلميذ الليالي والنجوم
سكنت تحت لحائي كل أصوات القبائل
سكنت تحت لحائي القرية التبنى
بريق العشب ،
رنات المذاري والمعاول
عبرت وجهي القديم
عربات البن والمسك
وآلاف القوافل
وضلوعي ،

قبل أن تصبح مصفاة لبترول أرامكو
أنجبت جسراً ،
لآثينا ونيسابور والهند القديمه
عبرته الكتب الصفراء ،
في رحلتها المسكونة الدرب
بأشباح القرون المطفأة
وأضاءت فكرتي أحداق أوروبا البهيمه
فلماذا يغمرون الجسر بالنابالم
بالدمع .. بأشلائي .. بحقدي ؟
ولماذا يطردون الشمس عن ليل الجريمه ؟

. . . . . .

منذ أدمى جبهتي عام وراء الأربعين
أيها العالم ، صارت رئتي
كير حداد حزين
واستحالت لغتي

جمرة .. سوطاً .. فدائياً .. كمين
أيها العالم ، هل تسمع ؟
صارت زنبقاتي ،
زنبقاتي — آه — أبواقاً تدوي
لاحتراقي في خيام اللاجئين
وأنا كنت مربيها .. قروناً وقرون !

. . . .

يسقط العام على العام
ووجهي في الغبارِ
يسقط العام على العام
ويمتد حواري
لهجتي جامحة كالفرس
وفمي كالجرس
لم يهذبه احتباس الصوت في القاعات ..
قاعات الوفود الكثر والياقات والوسكي

ولا استقبال أسياد كبار
يحملون الكوكب الأرضي تحت الابط
من باب مطار لمطار
لهجتي كالفرس
وفمي كالجرس
ولذا تصنع من جلدي السجاجيد
الستارات المماسح
في مقر الأمم المتحده
ولذا تنهش أطفالي الجوارح
ولذا يكتب اعدامي على كل اللوائح

. . . . . .

حسناً .. للمرة العشرين : شكرا !
ذات يوم ،
في مقر الأمم المتحده
يضع العالم اكليلاً من الشوك

على ذكرى صقور ومذابح
ذات يوم ،
بيدي أحسن تغيير الملامح !

انتظرني

عنقي على السكين يا وطني
ولكني أقول لك : انتظرني !
ويداي خلف الظهر يا وطني
مقيّدتان ،
ولكني أغني
لك .. آه يا جرحي .. أغني !
« أنا لم أخنك .. فلا تخني

أنا لم أبعك .. فلا تبعني ! »
وطن المزامير التعيسة والوجوه الضائعه
وطن الجذور الحاقده
وطن العواصف والصواعق والليالي البارده
وطن البساتين السبية والأكف الضارعه
وطن القرى الأطلال والدم والبكاء
أأشد أزرك ،
أم تراك تشد يا مغدور أزري ؟
وطن الأكاذيب القديمة والروى والأنبياء
أأكون سرك ،
أم تراك تكون يا مغدور سري ؟
وطن التمزق في المنافي والمذابح والملاجيء
وطن الحقائب والمطارات الغريبة والموانيء
وطن الغضب
وطن اللهب

يا من يبوس يديك عبر دموعهم مليون لاجيء !
وطن المذلة والأسى والكبرياء
آمنت بالحب الذي يعطي ،
ويفنى في العطاء ..
ولذا ، أقول لك : انتظرني !
عنقي على السكين ، لكني أقول لك :
انتظرني !!

بطاقة تذكير

أنت لا تجهل عنواني وتاريخي واسمي
يا ابن عمي
فلماذا تسكب السمّ على بركة سمي ؟
أنت لا تجهل أصفادي وأصفادك يا هذا !
ولا تجهل سجانك ، يا هذا ، وسجني !
فلماذا تسكب الزيت على جمرة حزني ؟
يا ابن عمي
أنا لا أشعر بالنقص .. ولكني أقول

لا لكم .. لكن أقول
للقرى الأطلال ، للوادي المدمى ، للسهول
ليس حسبي
انني أعلنت حبي
لبلادي ولشعبي
وأنا أعلم أن الموت بالمرصاد ،
في عطفة درب !
ليس حسبي
انني أعلنت حبي
وأنا أعلم أني
ما دفعت الثمن الكافي لقبر في الوطن !
ليس حسبي أضعف الإيمان
لكني أغني ..
نحن ما زلنا .. وما زال الزمن !

الموت في الوعي الكامل

حين تغوص السكة الغريبه
في لحمي المسبي يا ترابي
تسيل من لحمي أنا الدماء
وتغرق الأشياء في الضباب
ويولد البكاء
في لغة الأسرار والعجيبه !

عـــاد

عاد من رحلته الفصول
بالأناشيد والوعود
ويشيعون انه كان أيامها يقول :
في شقوق الدجى أعود !

. . . . . .

ويشيعون انهم ،
سمعوا في الدجى عويل

وعواء من الحدود :

مَن ترى يعرف القتيل ؟

آخر ما سمعته منه

لا تقل : « أخطأت فاغفر خطأي ! »
لا تتكلم !
لا تقل .. للمرة العشرين ،
أبصرت إلهاً يتحطم
آن أن نصنع شيئاً ما
بلا لغط .. أتفهم ؟
آن أن نتقن أسرار جهنم

* * *

ومضى .. لا تسألوا أين ؟
فإني لست أعلم !
آه .. لو يعرف اني بعده
اتقنت أسرار جهنم !

وصية

اسندوني .. اذا قتلت .. بصخره
وارفعوا لي وجهي إزاء الرياح
واتركوني أفنى لآخر ذره
في غيوم الدجى وعشب الصباح !

* * *

وإذا متّ في الفراش ، ادفنوني

عارياً .. فوق قمة من بلادي
وليرحني النسيان .. أو فاذكروني
إن ذكرتم .. أجمل الأعياد !

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

نُشرت هــذه القصيدة « الملحمة » في جزئين في جريدة الاتحــاد التي تصدر في مدينة حيفا من الأرض المحتلة ١٩٧٠ .

- ١ -

مُتلثماً بالريح ،
ملتفاً بخارطتي الرحيبه !
أُلقي التحية ،
كاظماً جرحي وحقد الغنغرينه
وأقول في ثقة لكل الأصدقاء
وأقول في ثقة لوالدتي الحزينه
خلو المحارم والبكاء
لطقوس عودتيَ القريبه
متلثماً بالريح ،
ملتفاً بخارطتي الرحيبه !

- ٢ -

صمتي .. وبيداء تميد ، ترق ، تحملني ،
تموج

صمتي .. وصاعقه تزلزلني
إلى دهر العباءات الفصيحة والقباب
– أين البيارق والسروج ؟
جهزتْ عمارتنا ،
وبحر الروم يضْمر شرَّه ،
وتهر آلاف الكلاب .

. . . . . .

صمتي وبيداء تموج

في حفلة الكوكتيل .. والقبطان يغمزها

فتأتي

– هل تأذنين برقصةٍ ؟

هل تشربين ؟

من أين أنتِ ؟

ويصيح تركي بدين :

– كل الذين عرفتهم ماتوا ،

وآخر أصدقائي

ضبطوه مختلساً نقود البنك ،

كان مقامراً وغداً يموت على النساء !

ومهاجر ضاقت به البلجيك

كالاسفنج يشرب ، وهو يجأر بالغناء :

« ناءٍ . أنا يا بنت ناءِ »

والجاز يصخب ، آه . يسقط ، آه ،

يحملني ، يهيج

صمتي وبيداء تموج
ويلح بحار عجوز
ـ من أين أنت ؟ وما لديك ؟
ـ أنا من بلاد الله ، أبحث عنه في بلدٍ
غريب

ـ وإذا عثرت عليه ؟
ـ أسرد قصتي
ـ أصغي إليك !
ـ رافقتُها طفلاً ، لمدرسة السموم
الطائفيه

قبّلتُها سراً ،
ونمنا خلف سور العائليه
عاديّة كانت ،
وكنت زميلها في الكارثه
يوم اكتشفت سقوطها في ملجأ الأيتام ،
فجأه !

فعقدت – قبل الأربعين – قراننا
وبدون حب جارف ..
في ملجأ الأيتام . فجأه !
يوم اكتشفت سقوطها البحري ،
والبري ،
والجوي .. فجأه !
وسقطتُ مطعوناً ،
ونجم سينمائي يداعب لحمها
ويبيح دفئه
في حفل إل. اس. دي. وصودا كاويه
والمخرجون يقهقهون ،
ويبسم الكومبارس في بلهٍ
فتسقط دمعتي جمراً على شفتي
وذقني كعب نعل في التراب

. . . . . .

مَن قال ، وجه مستعار يشتري شرفي
بمالٍ مستعار
مَن قال ، يسقط ألف باب
وتظل مائدة القمار
مَن قال ، في لحمي تمد جذورها السوداء
مائدة القمار
مَن قال ، توضع زوجتي رهناً ،
وتأخذني الصحاري والبحار ؟
– وغداة ادركك الصباح ،
ماذا فعلت بما غنمت من المذلة

والجراح ؟
– زكيت أحزاني باغنية وزهرة .

برتقال

ووقفت في ريح الشمال
عذباً كحد السيف ، في ريح الشمال !

ـ ماذا تقول الأغنيه !

ـ بعنا ثمار الصيف يا حبي ،

بأوراق الخريف

بعنا ربيعك . بالخريف

بعنا شتاءك .. بالخريف

بعنا خريفك بالخريف .

بعنا الوصية بالزكيبه

بعنا أغاني الحاصدين ، بأم كلثوم العجيبه .

بعنا صغارك بالسعال .

والفقر والزهري . في أحضان عاهرةٍ

غريبه .

فلنبك يا حبي دماً .

ولنبك ، آهٍ ، كالنساء .

ملكاً مضاعاً

لم نصن حرماته مثل الرجال !.

– وسقطت ؟.

– انهض في المُحال !.

- ٣ -

قدمي تدق بلاط أوروبا .
ووجهي في رمالك يا جزيره .
ويداي في اشجارك العادت تنـوّر يا
جزائر .
وفمي بلال في مآذنك العتيقة يا يمن
ودمي يسح على جدارك يا كنانه .
ليطل سنبلة تهجي درسها .
لشهيد حقلٍ في عدن .
ويشق صلصال العراق
يشقه عن اقحوانه ..

قدمي تدق بلاط أوروبا
وزادي .. ما تبقى
مني ، اوزعه واشقى !.

- ٤ -

ابواب اسطنبول تجهلني ،
وتجهلني المواخير الكئيبة والمآذن .
وتشيح عن وجهي الوجوه الغارقه .
في الشاي والحزن المداهن .
وتميل عن دربي الصبايا .
والمقاهي والمداخن .
ويخونني حمّال امتعتي .
ويشتم سائق التكسي أبي
لم يعجب البقشيش حضرته ،
فمال عليّ ، بياع حزين :

– اليوم شرَّف بيتنا الأسطول ،
شرَّفنا الجنود الشقر
فالأسعار شيءٌ آخر ،
ما سعر زوجتك الفقيده ؟
هأ . هأ هأ . ههأ . ما سعرها ،
أرغيف خبز .. أم قصيده ؟
وأجوس أرصفة الشوارعِ
باحثاً عن وجه صاحب
ارتاح في ظل المساجد ،
بين أقدام الأجانب
وأنام ، من تعبي أنام
على التمزق والحقائب ..

. . . . .

– هذا الفتى البدوي ،
يسأل عن صديق باسم ناظم

عيناه من بوسفورنا
ويداه جذعا سروتين !
ويقول أن صديقه يأتي المدينه كل عام
متفقداً شوق الفصول الى المواسم
لا علم لي ، وعصي شرطتنا تلوح في الظلام !
لا علم لي . يا أيها البدوي .
بالدم والعقيده
ما زال جلد الكبش بدلتي الوحيده !

. . . . .

. . . . .

انسان اسطنبول يجهلني ،
ويجهل زوجتي !

- ٥ -

هذا أنا .. فعمي صباحاً يا أثينا
ومعي اليك تحيه
من ابن رشد وابن سينا
لم يطلبا كتباً ،
فقد سمعا تفاصيل المصيبه
واستنكرا تعذيب جالينوس
في « يورا » الرهيبه ..

. . . . . .

هذا أنا .. فعمي صباحاً ،
واغفري لي إن سألتك عن صديق

باسم ميكيس !
كسروا على كتفيّ ارغولي ،
فقلتُ أقوم أقصد صاحبي
فلعل ناياً عنده ، لم يكسروه على جبينه !
– من أنت ؟
من طول البكا عشيت عيوني يا غريب
وتمزقت رئتي
وقصوا جبهتي رتبا
على أكتاف قواد المظليين والبوليس
أصحاب الفخامة واليخوت
وأنا معلقة على برج الكنيسةِ
آه . من شعري معلقة . أموت
من أنت ؟
أبنائي ذباب في شراك العنكبوت
حزن وأوزو يومهم

والعالم سرتاكي وحزن !

. . . . . .

– لم تعرفيني يا أثينا !
لم تعرفيني . فالوداع . الى غدٍ
يا أنتجونا !!
سقراط هذا العصر ، يرفض كأسهُ
ويموت باسمٍ آخرٍ
في ساحة الاضراب ،
في المنفى ،
أو السجن الذي سيصير يوماً مدرسه !!

- ٦ -

برلين تعرفني ،
وتذكرُ قامتي ودمي وصوتي
برلين تشهد انني
في ليل بوخنفالد ، كنت شريكها
في ليل نكبتها بموتي .
فلتُعطي يدها ،
أقبلها . وأمنحها جبيني
وأقول يا أختي التي خبرت عذابي
باركيني !

. . . . . .

برلين تعرفني ،
وتعرف زوجتي ،
وهموم بيتي !

- ٧ -

ليلاً .. أحج اليك يا حبي القديم
ليلاً .. بلا باقات أزهار ،
بلا تحف ثمينه
يا جدتي ،
يا جدة العرب الحزينه !
في حلـَّة الأفرنج ، يا حبي القديم
أدلجت . لا كتبي مشرّعة على حدِ الأسنه
أدلجت . تثـُقل كاهلي المطعون محنه
والجرح رحماني الرحيم
يا زاد أجدادي وزادي ،

في الطريق الى النعيم ..
شلت دمشق يديَّ ، لكني شفيت
يوم استرحت على يديكِ
حبيبتي .. يا قرطبه !
فقأتْ كنانةُ بؤبؤيَّ
فرددت لي بصري معافىً عاشقاً
يا قرطبه !
ضيَّعت في بغداد صوتي . ثم كان ،
أنـَّا التقينا في شوارعك الرؤى
يا قرطبه !
سلطانة الحزن المعرِّش ياسميناً
فوق أكتاف الزمان
كوني لنا .. يا قرطبه
كوني لهم .. يا قرطبه
لا بأس .. ما دامت جذورك

صحيةً في مهرجان !
– ردَّ الشباب اليّ ،
أن أعطي مغني القافله
صوت القرون الحافله ،
زاداً على درب القرون الحافله ،
لكنني ، بدَّلت يا ولدي
أناشيدي
وألواني
وإسم العائله !
– لا بأس ، ما دامت جذورك
صحية في مهرجان !
– ما خطبُ زوجتك الفقيده ؟
هل بدَّلت صوتاً
وألواناً
وإسم العائله

ـ حبي لها ،
ولذا أصدِّرُ للنساء الآخريات
لحمي وأشعاري وأرغفتي
وأعواد الثقاب ..
حبي لها !
ولذا ، تربي قامتي ظفراً وناب
وتغيبُ في كل الجهات
وتعودُ من كل الجهات
ليكون ميلاد ،
وتطلعَ عشبة ،
وينشقّ باب !!

رحلة السراديب الموحشة

- ١ -

لم تمثُل الريح روضتها ، بغبار

طلْعي

غدرت بعاشقها الجميل
فالمحل غلته لهذا العام ،
والصبر الطويل ..
لم تمثُل الريح التي روضتها ، بغبار

طلعي

وقشور اشجاري مشققة ككفي
والنسغ منذور لصيف

فلتبك زوجتيَ الحبيبه
إن زرتها في السجن ،
محنياً على أزهار شمعٍ !

- ٢ -

لم تمثل الريح التي روضتها من ألف عام
فتكاثروا .. وتكاثروا ..
يا أمة الصلبان ، يا سكان مملكة الخيام
نعم الوكيل ، وكالة الغوث الكريمة ،
والمطابع
عسلاً تدر ،
على بريق الدفعة الأخرى من الأوطان ،
كرتات الأعاشه !

- ٣ -

لم تمثل الريح التي ..
شكراً لكم .. شكراً ،
على هذي الصناديق المليئة بالدواء
والحزن .. والسردين .. والظل والمقعد ..
والثياب
وأقول شكراً مرة أخرى
إذا جدتم ببعض الأغطيه
فالبرد فاكهة الشتاء ..
شكراً لكم .
باسم البساتين الخطايا

باسم حزن الأوديه
باسم الشوارع والمدارس والمخازن
باسم المعاول والمقابر والموانىء
ومراكب الصيد التي نسيت كلام الأغنيه
شكراً لكم ،
شكراً لكم ،
من طحلب تمتد قامته
لتصعد من ظلام الأقبيه !.

- ٤ -

نضد ملفات القرارات ..
القديمة والجديده
خذ قلب خفاشٍ
وعيني بومة
وجناح قاذفة
وسعلة طفلة ،
ستموت في سل الرئه ،
وأكسر عليها بيضة العنقاء ،
وأقذفها لقعر البئر ..
تحترق الخيام

ويصير نسلك متعة للناظرين
وترفُّ أجنحة السلام
وتعود للبلد الأمين !

. . . . . .

أمح العناوين القديمة والجديده
أمح الإذاعة والجريده
وأكتب على الجدران ، باجير ، الرواية
والقصيده
وأرسم على الجدران ،
خارطه
وعصفوراً
وزهره
واحلم قبيلَ النوم مره
ليعود للأرض السلام

وتعود في الناس المسرّه !

. . . . . .

إنس القرابين القديمه
إنس القرابين الجديدهِ
واذكر ، قبيل الأكل ، مرات ثلاثاً في
النهار
كل التقارير المهينة من خطوط المعركه
والنوم في عز الحراسه
والسطو في عز الظهيره
والأخوة الجبناء ، سراً ،
والأراجيف الحقيره
واذكر صغاراً يخمدون على نفايات الكناسه
واذكر وجوه النائمين على غبار الأرصفه
والساهرين على محطات القطار
والمائلين على منصات السياسه

واذكر سقوط أميرة الأزهار
في وضح النهار ..
لتصير قربان الفصول القادمه ..
في الليل منشقاً بسيف ، صك من
نور وثأر !

- ٥ -

في العالم السري ، تختلف الطقوس
عن عالم النابالم ، والأنباء عن قتلى
المعارك
في العالم السري تختلف الطقوس
عن عالم الدم والهبوط على القمر
قبل الهبوط على الحقيقه
في العالم السري تنغلق الحديقه
ليصير دمعي أول الشوط الطويل إلى
الثمر
وتنال راحتها الجميلة في اللغات

قبل الرجوع الى السفر
في حقل ألغام الجهات

. . . . . .

من كل أطفال العواصم
والأقاليم البعيده
زوج .. وكركرة رشيقه
من كل أزهار الحدائق والبراري والمياه
زوج .. وأجنحة سعيده
تلهو بدون بطاقة رسمية
من سلطة الأمن المريده
وترف صاعدة ، على شرفات أقواس
القزح
لتنام في شعر الإله
وتعود قبل الفجر ، حاملة زواويد الفرح

. . . . . .

من كل نوع . آه . زوج
آه . يا نبض الحياه
في العالم السري .. آه !!

- ٦ -

حلت صنوبرة ضفائرها ، وظللت الجنود
العائدين من الحدود
شمس الظهيرة في بنادقهم وأتربة الخنادق
– الجو خانق !
– أبصرته متحفزاً ،
أبصرت في كفيه موتي
جمدت يداي على حديد البندقيه
لم يطلق النار .. اقتربنا .. ازداد
حجم السنديان
بادلته تبغاً بماء .

ماذا يقول الادعاء
في نص أنظمة الطوارىء والشؤون
العسكريه ؟
– لكنهم حمقى . برابرة . حفاه !
– الموت في بيتي ،
وبين يديك يا أمي الحبيبه
أحلى لدي من الحياه
في جرح أرصفة غريبه !
. . . .
حلت صنوبره ضفائرها وظلات الجنود
الميتين على الحدود
– في جيبه المثقوب عند القلب ، صورة
أسرته
– في جيبه قرط وفي آخر صورة لخطيبته

في أذنها اليسرى شقيق القرط ، منتظراً
شقيقه
– منديله . عنوانه . ورسالة من طفلته ،
مبتلة بالدم ، بين حروفها اشتعلت حريقه
– لم يبق غير ذراعه ،
وحذائه المعجون بالدم والتراب
– لم يبق منه غير ابزيم الحزام ..
ورتبته
ويصيح بياع رمادي ضئيل
مستبشراً بالخبز ، وهو يجد في رفع العقيره
ليبيع سم ملاحق الصحف الحقيره
(عدد خصوصي مثير
قتلى بلا عدد . وأسرار مثيره
أنباء معركة أخيره
من قلب خط النار ..)

– من قلب الجنون على الشفير !!

. . . .

حلت ضفيرتها على النعش المجلل بالسؤال :
من قال ، يحمل في حقيبته الصباح
صوتاً لساحات المدارس
فيعود محمولا على كتف المساء
ذكرى لساحات القتال
وبطاقة مطبوعة .. من قائد الأركان
تحمل للقتيل وسام فارس !

. . . .

(في سالف الأزمان ،
كان الورد مرسال الحبيب
لحبيبه .. ولكل زهرة
معنى .. تراك تحبني ؟

غيران !

يا حبي اذكريني !

في حاضر الأزمان ،

صارت كلها .. كل الورود

صيحات حزن فوق تابوت ،

يغل فتى وفكره ..

. . . . . .

(لا . لا تموتوا .

يا شيوخ مدينتي . لا . لا تموتوا .

فالورد لا يكفي لغير الميتين على الحدود .)

. . . . . .

(يا موت ! كيف أتنتها ؟.

يا موت ! كيف عرفتها ؟.

يا موت !.

هل أعطتك وصف طريقها هذي
البيوت ؟!) .

. . . . . .

حلت ضفيرتها عليه
وبكت .. وكان بكاؤها
يأتي ويصعد غارقاً في الدم ، من كل الجهات
فالحزن تعرف سره وطريقه كل اللغات ..

- ٧ -

مستلقياً في النهر .
مغموراً بأحزان الطحالب .
أو مائلاً في غمرة البيداء .
مدعوماً بأعمدة الرمال الغاضبه
أو واقفاً في الريح ،
مشحوناً بأجيال تحارب
اسكندرون يتم سمفونيته
اسكندرون يفك انسانيته

من برجك المرصود ، يا أرض الشموس
الغاربه !

. . . . . .

باسم الهواء الطلق
والحب المغمس بالتراب
باسم ارتطام الفجر بالسكك التقية والمعاول
باسم الشواهد والسنابل
باسم الأغاني . الياسمين . الضحك في فيء
المنازل
وشقائق النعمان . والزيتون . والقصب
الملوّح في الضفاف
باسم الحنين الى الطفوله
باسم الحنين الى الشباب
باسم الجنازة والزفاف
اسكندرون يريد زوجته ،
ويحلم بالسلام ...

أطفال رفح

- ١ -

للذي يحفر في جرح الملايين طريقه
للذي تسحق دباباتـــه ورد الحديقه
للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل
للذي يشعـــل بستانـــاً ، ومتحف

ويغني للحريقه !
للذي ينـْحلُ في خطوته شعر الثواكل
ودوالٍ تتقصَّف
للذي يصدم في الميدان دوري الفرح
للذي تقصف طياراته حلم الطفوله
للذي يكسر أقواس قزح
يعلن الليلة أطفال الجذور المستحيله
يعلن الليلة أطفال رفح :
نحن لم ننسج غطاءً من جديله
نحن لم نبصق على وجه قتيله
بعد أن ننزع أسنان الذهب
فلماذا تأخذ الحلوى ،
وتعطينا القنابل ؟
ولماذا تحمل اليُتم لأطفال العرب ؟

ألف شكراً ،
بلغ الحزن بنا سن الرجوله
وعلينا أن نقاتل !

- ٢ -

كانت الشمس على سنجة فاتح
جثةً عاريةً ممتهنه
تنزفُ الصمت على حقد المسابح
ووجوهٍ حولها محتقنه
صاح محتل خرافي الملامح :
« لن تنوحوا ؟..
حسناً .. حظر تجول ،
منذ سا .. »
وانشقَّ عن صوت علاء الدين
ميلاد الحساسين الجوارح

– أنا ألقيتُ على سيارة الجيش الحجاره
أنا وزّعتُ المناشير ،
وأعطيتُ الاشاره
أنا طرّزتُ الشعار
ناقلاً كرسيَّ والفرشاه
من حيٍّ .. لبيتٍ .. لجدار
أنا جمّعتُ الصغار
وحلفنا .. باغتراب اللاجئين
أن نكافح ،
طالما تلمع في شارعنا ، سنجة فاتح !
. . . . . .
لم يزد عمر علاء الدين ،
عن عشر سنين ..

- ٣ -

شجر الفتنة مكسور ،
وأبواب رفح
ُختمت بالحزن
أو بالشمع
أو حظر التجول ..
وعليها كان أن تنقل خبزاً وضمادا
لجريح ، بعد نصف الليل عادا
وعليها كان أن تقطع شارع
رصدته أعين الأغراب
والريح ،

وفوهات المدافع ..

. . . . .

شجر الفتنه مكسور ،
وكالجرح انفتح
باب بيت في رفح

. . . . .

قفزة ... في حضن فنائه
قفزة ... واحتضنتها
في رصيف الرعب نخله
حاذري ، في كل نقله !
قفزه ،
دوريَّة ،
أنوار كشافٍ ،
وسطه !
– من تكونين ؟

ـ قفي !
خمس بنادق
جحظت من حولها ، خمس بنادق

. . . . . .

وغـُداة انعقدت باسم الغزاه المحكمه
حضروا بالمجرمه

. . . . . .

آمنه ،
طفلة في الثامنه !

- ٤ -

باسم أمن الفاتحين
ألقوا القبض عليه من شهور
باسم أمن الفاتحين
لم يزل زوجك مجهول الإقامه
لم يزل زوجك .. ميتاً أو سجين
من شهور ، باسم أمن الفاتحين
فأعجني دمعاً وصلصالاً ،
إذا عزّ الطحين
واطبخي حزناً وصباراً وطين

باسم أمن الفاتحين !

. . . . . .

هيه يا زوجة مجهول الإقامه
ما الذي تنتظرين ؟
صلوات العودِ للمنزل في باص السلامه
نفذتْ .. ماذا ترى تنتظرين ؟
نفدتْ .. من كل دين !

. . . . . .

أوصت الجارة خيراً ،
بابن مجهول الإقامه
واشترت تذكرة حمراء ،
من سوق الغضب
واستعاضت عن قطار في محطات
السلامه
بقطارٍ ،

صاعدٍ عبر محطات اللهب !

. . . .

ساعة مرَّت ،
ومرت ساعة أخرى
وساعه ،
قبل أن ترجع ،
في حمالةٍ مصبوغةٍ بالدم ،
حناء الشجاعة !

. . . .

قضي الأمر ،
فهل تملك أهلاً آخرين
في خيام اللاجئين
يا ابن مجهول الإقامه
وابن من ملَّت محطات السلامه ؟
– قضي الأمر ؟

وكالوحش الجريح
حملت أطرافه هبة ريح
في يدٍ، دميته – كان اشتراها
منذ أعوامٍ من القدس، أبوه
وهو في الدرب الى الشام،
وفي عمان لاقاه صديق تونسي
زار بيروت،
وأمضى عطلةً في القاهرة –
في يدٍ دميتهُ – كان اشتراها مذ .. –
وفي الأخرى دواة – صُنعت في مصر –
كالوحش الجريح
حملت أطرافه هبة ريح !

. . . . . .

وعلى منعطف الشارع،
في أقصى المدينه

كان أطفال التواريخ الحزينه
يجمعون الكتب والأخشاب واليتم ،
البراويز ، وأوتاد الخيام
علّها تصبح متراساً ،
يسد الدرب في وجه الظلام
علّها تقلق أفواج الضغينه
ريثما يغسل عينيه السلام
من غبار الحقد والحرب الهجينه !
ومع الكتب ، مع الأخشاب واليتم
البراويز وأوتاد الخيام ،
أعطت المتراس صمتاً عصبياً .. دميتُهْ
واستعدَّتْ بدواةٍ ، قبضتُهْ

. . . .

وغداة انغلقت أبواب أمن الفاتحين

كان في المعتقلين
ابن مجهول الإقامه

. . . . . .

حاشيه :
عمرُهُ تسع سنين ..

فهرست

دخان البراكين

طلب انتساب للحزب

ارم

في انتظار طائر الرعد

دمي على كفي

سقوط الأقنعة

قصائد مهربة

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج